الطريق

جريدة أسبوعية شاملة

المدير المسؤول : عبد الواحد المهتاني - رئيس التحرير : يزيد البركة - الجمعة 28 غشت 2020 م / 9 محرّم 1442 هـ - العدد : 332 - الثمن : 5.00 دراهم

مجلس المنافسة يدخل جلباب القصر

17

التطبيع بين السرية والعلنية

26-25

هل أفلست الدولة فعلا في زمن كورونا ؟؟!!

من ص5 إلى ص21

أين الثروة ؟

NABIL

41 الهجرة وصدام القيم الثقافية.

42 ثريا المسرح المغربي.

34-33 المكان محاصر.. المراقبة الرقمية.

16-15 مملكة الفوسفاط المغربي.

الافتتاحية : الحاجة للإنقاذ قبل فوات الأوان

بعد مرور عقدين من الزمن، ظهر الفرق واضحا وكبيرا بين نموذجين في تدبير الشأن العام والتنمية في إفريقيا، نموذج رواندا، ذلك البلد الإفريقي الصغير الذي تحول من بلد تمزقه الحرب الأهلية والمجاعة إلى دولة صاعدة بأعلى نسبة نمو، بفضل قيادة وطنية، ديموقراطية وحكيمة خصصت أكثر من 40% من ميزانية الدولة للصحة والتعليم، وأعادت هيكلة مجتمع قبلي على أسس الحرية والمواطنة والديموقراطية والعدالة الاجتماعية، وبذلك تحولت إلى نموذج ناجح يحتدى به عالميا. أما "النموذج المغربي" فقد انطلق في نفس الفترة مع ما سمي بالعهد الجديد، لكن برؤية مخزنية هاجسها الدائم الانفراد بالقرار، والتحكم في المجتمع، بما صاحب ذلك من الاستمرار في اختيارات طبقية ضيقة الأفق وإن بصيغة جديدة، موجهة بالأساس لخدمة مصالح طبقة ريعية لا هم لها إلا مراكمة الثروات بكل الطرق على حساب الاغلبية الساحقة من الشعب المغربي.

هكذا، وبدل إنجاز انتقال ديموقراطي حقيقي، كما حدث سابقا في إسبانيا وبلورة خطط تنموية شاملة ومتكاملة، تم اللجوء لسياسات ترقيعية، كأسطورة التنمية البشرية، وخطط قطاعية متضاربة عمقت الاختلالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بالرغم من التطوير النسبي للبنيات التحية والتي كلفت مبالغ خيالية. لكن القطاعات الحيوية مثل التعليم والصحة والإعلام العمومي والثقافة تعاني الإهمال المقصود، والدفع المستمر بها لخوصصة خدماتها، في انصياع تام للمؤسسات المالية الدولية.

في هذا السياق، تغولت لوبيات الفساد ونهب المال العام في جميع القطاعات مستفيدة من تواطؤ الإدارات البيرُقراطية والمرتشية. بعد مرور السنوات ،ظهرت النتائج واضحة ومكشوفة بشهادة تقارير المنظمات الدولية وبعض المؤسسات الرسمية نفسها، مثل المجلس الأعلى للحسابات، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، والمجلس الأعلى للتعليم والبحث العلمي ومجلس المنافسة، بمعطيات صادمة تنشرها التقارير الدورية لهذه المؤسسات. فالفوارق الاجتماعية والمجالية ازدادت اتساعا، وتدهورت أوضاع المأجورين بشكل غير مسبوق، وتوسعت ظواهر البطالة و الفقر والهشاشة، بدليل اضطرار الدولة لتقديم الدعم المباشر خلال أشهر الحجر الصحي لحوالي 70% من الأسر المغربية، أي مايزيد عن ثلثي الأسر. وهذا المعطى وحده كاف لفضح فشل الاختيارات الرسمية، ناهيك عن تضخم أنشطة ما يعرف بالاقتصاد غير المهيكل.

وجاءت جائحة كورونا، فعرت هشاشة الدولة والمجتمع، وألقت بسبب حالة الطوارئ الصحية بملايين الأسر في الفقر والعجز عن تلبية الحاجات الأولية من الغذاء والدواء، ولجأت الدولة لإحداث صندوق خاص لمواجهة تداعيات الجائحة لمدة ثلاثة اشهر، وهي مبادرة حدت من الكارثة، لكن نفس الوقت ارتكبت الدولة وحكومتها أخطاء فادحة في التدبير، الشيء الذي زج بالبلاد في نفق المجهول، بعدما تدهور الوضع الوبائي عند رفع الحجر الصحي، عكس كل التوقعات.

هكذا أصبح المغرب تحت ضغط غير مسبوق، ومطالب بوقف الإنتشار السريع للوباء، وإنعاش الدورة الاقتصادية، وتأمين إنتاج المواد الغذائية والأدوية، وكل مستلزمات العيش لكافة المواطنين والمواطنات. وهذا ورش كبير، يتطلب تعبئة استثنائية لكل الطاقات الوطنية، واسترجاع الأموال المهربة، ومحاربة حقيقية لأوكار الفساد، ووضع استرتيجية وطنية شاملة متعددة الأبعاد والسنوات لإنقاذ البلاد من الإفلاس والانهيار.

الطريق

الطليعة.. لا يمكن للدولة أن تلقي عجزها على ظهر الشعب المغربي

توصلنا ببيان صادر عن الكتابة الوطنية لحزب الطليعة الديموقراطي الاشتراكي، بتاريخ 22 غشت 2020، بخصوص التطورات المقلقة للوضعية الوبائية، التي عرفت تدهورا خطيرا، بسبب تجاهل الدولة والحكومة للمخاطر المترتبة عن الاحتفال التقليدي بعيد الأضحى، والذي سبق لحزب الطليعة أن حذر منه دون جدوى. مؤكدة المسؤولية الكبرى للدولة بالنظر لتدبيرها اللامسؤول والمرتبك بين الخطاب الشعبوي للحكومة والواقع الكارثي لهذه المرحلة الحساسة، مما سبب في انتقال الوباء من المدن الكبرى إلى جميع مناطق المغرب بما في ذلك البوادي النائية، في غياب تواصل حقيقي مع المواطنات والمواطنين وإشراكهم في معركة مواجهة الوباء. في ذات السياق ذكر حزب الطليعة بالعجز المهول الذي تعاني منه المنظومة الصحية في استجابتها لتحديات وباء كرونا المستجد. فإصرار نظام الحكم على الخوصصة القسرية لقطاعي التعليم والصحة خلال العقود الماضية، أدى ذلك إلى إفلاسهما وحرمان الشعب المغربي من خدماتهما الضرورية. وقد فضح البيان سياسة الدولة بالتهرب من المسؤولية، وإلقاءها كاملة على ظهر الشعب المغلوب على أمره، واعتماد المقاربة القمعية لمواجهة الاحتجاجات الاجتماعية المترتبة عن مطالب ضحايا السياسة اللاشعبية واللاديمقراطية، مما سيزيد الأوضاع تأزما واحتقانا، مع ما قد سيترتب عن ذلك من انفجارات غير مأمونة العواقب.

في النهاية جددت الكتابة الوطنية لحزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي مطالبتها بتصفية الأجواء، وإطلاق سراح باقي المعتقلين السياسيين، وإيقاف المتابعات في حق النشطاء الحقوقيين والمدونين والصحفيين، وضرورة تدخل السلطات العمومية لإيقاف التسريحات الجماعية للعمال والعاملات، وفرض تطبيق مدونة الشغل مع توفير كل وسائل الوقاية من الوباء. وثمنت الدعم الكبير الذي قدمه المغرب للشعب اللبناني الشقيق، على إثر الإنفجار المهول الذي حدث بمرفأ بيروت. كما ندد حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي باتفاق الخيانة والعار الذي أبرمته الإمارات مع الكيان الصهيوني، وأكد على رفضه أي تطبيع مع العدو الصهيوني العنصري الفاشي، وجدد دعمه كفاح الشعب الفلسطيني لاسترجاع حقوقه التاريخية والمشروعة.

فيدرالية اليسار الديمقراطي تدين التطبيع الإماراتي-الصهيوني

في بيانها الصادر في 14 غشت 2020، تلقت الهيئة التنفيذية لفيدرالية اليسار الديمقراطي باستغراب واستنكار الإعلان عن توقيع اتفاقية بين الإمارات العربية المتحدة والكيان الصهيوني تحت اشراف ورعاية الولايات المتحدة الأمريكية في سياق مطبوع بانشغال الشعوب العربية بالكوارث والمآسي التي تتخبط فيها بلدان المنطقة، واعتبرت الاتفاق طعنة مؤلمة للشعب الفلسطيني، وإنكارا لحقوقه التاريخية المشروعة، وكهدية مجانية لترامب ونتنياهو، وخطوة أخرى في تنفيذ صفقة القرن المشؤومة.

وقد ثمنت فيدرالية اليسار الديمقراطي إجماع مكونات الشعب الفلسطيني على رفض اتفاقية الخزي والعار هاته، وتعتبر هذا الإجماع الوطني السلاح الاساسي لافشال كل المؤامرات التي تحيكها أطراف التحالف الصهيوني الإمبريالي الرجعي ضد الشعب الفلسطيني المقاوم.

تعزية

تلقت جريدة الطريق، بأسى وحزن عميقين، خبر وفاة المناضل الكبير محمد بوراس الفكيكي، عن سن تناهز التسعين سنة بمدينة تارودانت، والفقيه من أوائل المقاومين في المغرب الشرقي وقائد جيش التحرير بالمنطقة، ومن مؤسسي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، والذي كان له دور قيادي في الحركة المسلحة التي بدأ الإعداد لها منذ اغتيال الشهيد المهدي بنبركة إلى نهاية 1973، وكان قد بدأ كتابة مذكراته راجين أن يكون قد أتمها قبل وفاته، بهذه المناسبة الأليمة، نتقدم بأحر التعازي الصادقة لأسرته وكل عائلة بوراس ولكل أصدقاء العائلة.

بصوت مرتفع

هل ندع ما كاد ينهار لينهار؟

• محمد امباركي

في لحظات العجز عن ضبط إيقاع اتساع وباء كورونا تتواصل مخرجات الاستراتيجية السهلة : اتهام الهامش المقهور بالمسؤولية عن انتشار الوباء عن سبق إصرار وترصد ومطاردته من خلال قصفه بقرارات أقل ما يقال عنها أنها تزيد من ارتماء ذلك الهامش في المجهول..

إن العجز الرسمي عن صناعة مغرب أكثر عدلا وديمقراطية في زمن كورونا ليس اكتشافا جديدا، طالما أن أسبابه معروفة وتاريخية، وفي الوقت الذي ظلت العديد من القوى والفعاليات السياسية تدق ناقوس الخطر وتنبه إلى خطورة السياسات النيوليبرالية المتوحشة على مستقبل البلاد والعباد، ظلت ساعة النظام السياسي تشتغل بشعار "لمن تحكي زابورك يا داوود"، و في بعض الفترات بشعار "شاوره ولا تعمل برأيه"، كما يحدث خلال الاستشارات الانتخابية، حيث يحضر كل شيء إلا قواعد التباري الديمقراطي، أو خلال الاستنجاد بقوى الصف الديمقراطي أثناء بعض اللحظات الحرجة التي تمر منها القضية الوطنية..، وسرعان ما تعود حليمة الى عادتها القديمة في مراكمة الثروة والسلطة واحتكارهما وصناعة نخب سياسية واقتصادية من ريعهما. وتحول الريع إلى آلية ابستمولوجية ضرورية لفهم وفك طلاسم وألغاز المشهد السياسي العام في بلادنا..

المسألة تقتضي استفاقة كل القوى الحية والديمقراطية، للخروج من بوتقة التشخيص والنقد الافتراضي إلى المرافعة الصريحة في تحديد المسؤوليات والدفاع الملموس عن الصحة العقلية والجسدية للوطن والمواطن.. لأن الاستخفاف بالمدرسة والصحة مقامرة خطيرة بمصير البلاد والعباد..

إن نقد الإجراءات الرسمية والمساهمة الواعية في مواجهة الجائحة من موقع الفعل هي معركة كل القوى والفعاليات الغيورة على مصلحة الوطن والمواطن، وذلك من داخل كل جبهات النضال والتأثير الاجتماعية والسياسية والجمعوية والمدنية.. فليس من حقنا ان نترك شعبنا ونحن جزء منه فريسة لسياسة "دع المنهار ينهار"، أو كما قال الشاعر محمود درويش في ديوان مديح الظل العالي "دع كل ما ينهار منهارا ولا تقرأ عليهم أي شيء من كتابك" رغم اختلاف السياق والمعنى.. إذن فلابد من استحضار التجارب الرائدة التي نتجت عن الإرادة الوطنية الصادقة، كتجربة طريق الوحدة التي كانت مشروعا لبناء الإنسان، والتي لعب فيها الشهيد المهدي بن بنبركة الدور الحيوي والرئيسي، حيث كان يخاطب الشباب المتطوع بالقول "نحن نبني الطريق والطريق تبنينا".. لكن تحالف الاستعمار والقوى الرجعية أجهض الأهداف المباشرة والرمزية لهذا المشروع ومشاريع وطنية وتحررية أخرى.. ولازلنا نؤدي ثمن منطق اغتيال الديمقراطية والتحرر الوطني، الذي سبب الفقدان الشبه التام للثقة في المؤسسات وعلى رأسها مؤسسات السلطة..

نعم، إن الحاجة إلى النقد من موقع الممارسة والرؤية الاقتراحية مسألة حيوية ومطلوبة.. ومن مداخل هذه الاستراتيجية البديلة الدعوة إلى حوار وطني بتعبئة كل القوى والطاقات الحية، على أرضية تصفية الجو السياسي بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين والصحفيين ومعتقلي الرأي والحركات الاحتجاجية، والقطع مع منطق استثمار المرحلة الوبائية في مدح السلطة لذاتها ثم قمع الرأي المخالف، وأخيرا رمي الكرة في ملعب المجتمع الذي ظلت غالبيته الساحقة في عداد المنسيين في اختيارات وبرامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية طيلة اكثر من خمسة عقود..

إن ظروف مواجهة القوة القاهرة تستلزم التعبئة المجتمعية الشاملة، لكن بالقدر الذي لا يسمح فيه للدولة بالاستمرار في منطق التدبير الانفرادي للمؤسسات والملفات الاستراتيجية، ولما يصطدم هذا المنطق غير الديمقراطي بحائط الفشل يتم رمي الكرة في ملعب المجتمع، وكل نقد لهذا الفشل يعرض صاحبه للقمع والتنكيل والتكميم، وهي تعبئة لا يجب فيها بالنسبة لقوى الصف الوطني والديمقراطي وكل الفعاليات الغيورة على مصلحة الوطن والمواطن أن تترك "الحبل على الغارب" بالاكتفاء بالتنديد والتقوقع في انتظارية قاتلة.. وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا اليوم بصوت مرتفع أن من مقدمات الفعالية السياسية والأثر الاجتماعي في معركة نقد السلطة وبناء الديمقراطية، هي أن تضع قوى الصف الوطني والديمقراطي وخاصة قوى اليسار الديمقراطي وبشكل أخص فدرالية اليسار، سؤالا عريضا في جدول أعمالها في المرحلة وهو : ما الجدوى من مسلسل انتخابي يظل بعيدا عن الحدود الدنيا من الشروط الديمقراطية لإنتاج القرار السياسي في بلادنا، ولا يساهم في تفكيك مصادر ومشروعية السلطة والثروة لإعادة بنائهما على أسس ديمقراطية وعادلة، ويترجم عجزه البنيوي في تصاعد الحركة الاحتجاجية، التي لا شك أن كل المؤشرات تدل على أنها مقبلة على التمدد السوسيومجالي، في غياب شبه تام للتأطير والتوجيه؟، آنذاك فقط سيفرض علينا الإنصات الى الخطاب البئيس حول موت النخب وترهل الأحزاب السياسية التي يتم وضعها في سلة واحدة بشكل مقصود ومخطط له؟.. إن تراكمات ما قبل كورونا وخلالها وبعدها لا يمكن إلا أن تجعل البلاد مفتوحة على هبات واحتجاجات غير مسبوقة، كما شخص ذلك بشكل عميق وصريح الباحث السوسيولوجي الدكتور"خالد أشهبار" في كتابه "عالم ما بعد كوفيد 19 الحمل الكاذب"، حيث يقول "إن التضامن المؤسساتي - الذي رافق كوفيد19- - بالمغرب، في تقديرنا، لم يكن محكوما سوى بهواجس أمنية خالصة. لقد كان مجرد استراتيجية وقائية موجهة بالسعي الحثيث لتجنب وقوع انفجار اجتماعي، تبدو كل خمائره متوفرة، وكل عناصره الكيميائية جاهزة، قد يبيد الأخضر واليابس، ويأتي على الحرث والنسل، ويهدم بشكل خاص سقف المعبد على رؤوس صانعي بؤس المغاربة، ومصاصي دمائهم، وناهبي ثرواتهم، خاصة اذا استحضرنا ارتفاع درجة منسوب الاحتقان الاجتماعي في المغرب خلال السنوات الأخيرة.." (ص 117).

إن طرح السؤال حول جدوى المسلسل الانتخابي في هذه الظرفية بالذات ليس تكفيرا بأهمية اللحظة الانتخابية، بل إنه ينبع من قلب استراتيجية الفيدرالية في الربط الجدلي والخلاق بين الواجهة المؤسساتية والواجهة الجماهيرية، وفهم تحولات الديناميات الاحتجاجية الصاعدة والدور الحيوي للعمل السياسي الممانع والمنظم في اتجاه الضغط أكثر لفرض الشروط الدنيا لصراع الأفكار والبرامج، والتأسيس لتعاقد سياسي واجتماعي يقوم على التوزيع العادل للثروة والسلطة، ومن ثمة يضمن للبلاد المناعة الكافية في مواجهة جميع أنواع الأمراض والأوبئة، والانتصار على قوى التخلف والاستبداد والفساد باعتبارها أصل الداء والانهيار.

عمر بين خطين

هل كان البلد في هذا التوقيت المفصلي بحاجة إلى اعتقال عمر الراضي بذلك الشكل الذي يثير شبهات كثيرة متعلقة بالشطط في استعمال السلطة، وبالتضييق على المدافعين عن حقوق الإنسان؟

بدأت الحكاية أول الأمر بتقرير لمنظمة العفو الدولية يحمل مزاعم متعلقة بشبهات حول اختراق هاتف عمر الراضي عبر برنامج إسرائيلي تنتجه شركة "إنزو"، وهو التقرير الذي طرح إمكانية اقتناء الدولة المغربية لهذا البرنامج بغاية مراقبة المعارضين والنشطاء المدنيين والحقوقيين والصحفيين.

رد الحكومة المغربية غلب عليه الاندفاع وغياب اللباقة في التعامل مع منظمة وازنة دوليا، وفضلا عن المصداقية التي تحظى بها، وكونها تعتبر مرجعا في أدبيات الحركة الحقوقية العالمية، فإن لها صوتا مسموعا في الهيئات الحقوقية الأممية، كما في الصحافة الدولية المؤثرة.

كان من الممكن تجنب آثار هذا التقرير بخسائر قليلة، لو كان رد الحكومة اكتفى بالنفي، مع الوعد بفتح تحقيق في الموضوع، كما تفعل دول عديدة في مثل هذه الحوادث، وكما كانت السلطات المغربية تفعل بدورها في محطات سابق.

لكن للأسف دخلت الحكومة المغربية في صراع بمعادلة صفرية، ولئن نجحت في إحداث اختراقات داخليا عبر تجييش إعلامي يستند على مقولة "التعبئة الوطنية لمواجهة الاستهداف الخارجي"، فإنها خسرت خارجيا، وبمتابعة بسيطة لتغطيات القنوات والصحف والمواقع المؤثرة دوليا سنكتشف انحيازا لصالح سردية أمنستي، تصل أحيانا حد التبني.

لقد كانت تقارير سابقة تدين المغرب بالتجسس على مواطنيه عبر برنامج كانت تبيعه شركة "هاكينغ تايم" الإيطالية، ودعوى شركة واتساب التابعة للعملاق فيسبوك ضد شركة ن.س.و الإسرائيلية تتضمن المغرب من بين دول تعرض مواطنوها لاختراق حساباتهم، وهي وقائع طرحت في دورتين من دورات مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة بجنيف، تسير ضد سردية الدولة المغربية.

إن استدعاء عمر الراضي لتحقيقات ماراطونية مباشرة بعد تقرير أمنستي وتبعاته، يحمل شكوكا حول شبهة "الانتقام" أو "تحوير" الاهتمام من قضية تجسس على مواطن إلى تجسس هذا المواطن على دولته. ترافقت هذه الاستدعاءات المتكررة والمتقاربة زمنيا، مع حملة تشهير تعرض لها عمر وأسرته وأصدقاؤه والمنبر الذي يشتغل فيه، وسط حياد سلبي لمؤسسة النيابة العامة"، وهو حياد للأسف. "

من خلال تسريبات محاضر الاستماع لعمر الراضي أمام الفرقة الوطنية للشرطة القضائية يتبين أن التهم الموجهة له لا تستند إلى أي مرجعية قانونية أو أخلاقية حتى، ذلك أن المؤسستين اللتين تعامل معهما، هما مؤسستان قانونيتان، وأنشطتهما علنية، ولم يسبق أن وجهت لهما تهمة الارتباط بأجهزة استخباراتية، الأولى مؤسسة ربحية استشارية، والثانية مؤسسة مدنية غير ربحية، والمشروع الذي كان يشتغل عليه عمر الراضي معها، كان بناء على إعلان موجه للصحافيين في العالم كله، لدعم مشاريع تحقيقات صحفية مرتبطة بقضايا الأرض والسكان الأصليين، وتقدم عمر الراضي كما تقدم صحافيون مغاربة آخرون بمشاريعهم للتباري على ثلاثين منحة موزعة على القارات الخمس، وكان عمر من بين هؤلاء الثلاثين الذين اقتنعت اللجنة المكلفة باختيار المشاريع بجدية وأهمية ما اقترحه.

لقد كان واضحا أن عمر يمتلك ما يكفي من الأدلة لدحض تهمة التخابر السخيفة، والتي ليست في صالح المغرب وصورته وعلاقاته الدبلوماسية.

لقد تحركت بغباء مواقع معينة لاتهام المخابرات البريطانية في توقيت يحتاج فيه المغرب لدعم علاقاته مع إنجلترا للاستفادة من ثمار البريكسيت اقتصاديا وبعد ذلك سياسيا، بما يخدم الموقف المغربي في قضية الصحراء.

في غفلة من الجميع ستظهر حكاية الاغتصاب، وإذا كان من حق أي مواطنة أن تتقدم للقضاء لكي ينصفها أمام هذه الجرائم البشعة، كما يجب أن يتمتع الضحايا بدعم حقوقي مبدئي، إلا أن توقيت الاتهام وملابساته وتذبذب التصريحات وانتفاء الأدلة والشهود والتقرير الطبي وعديد من الأمور، كل هذا مترافق مع تكرار هذه الاتهامات في مواجهة الصحفيين الذين يتم تصنيفهم في خانة المزعجين، كل هذا لا يجعل هذه الاتهامات محط علامة استفهام فقط، بل يضر مستقبلا بأي اتهامات جدية متعلقة بالاعتداءات الجنسية، ذلك أن الرأي العام سيميل إلى التشكيك عوض دعم الضحايا.

ولنلاحظ أن الجمعيات الحقوقية الدولية التي عادة ما تميل لجهة المشتكيات في قضايا سابقة، خرجت هذه المرة لتشكك في الأمور، بل أصبحت تعبر صراحة عن شكوكها في إمكانية توظيف الدولة المغربية لأجساد النساء لتصفية حسابات عبر فبركة وقائع غير جدية.

في المحصلة، يعيش المغرب وضعا صعبا على مستوى تطور الحالة الوبائية وتبعاتها الاقتصادية والاجتماعية، مما يتطلب تعبئة وطنية، تعبئة لا يمكن أن تنجح بأدوات سلطوية في ظل خصاص على كل المستويات، وانتهاء بإمكانية شراء السلم الاجتماعي.

ولذلك فإن انفراجا سياسيا وحقوقيا يمكن أن يكون مدخلا مساعدا على تنفيس الاحتقان، ومن ثمة محاولة بناء عناصر ثقة بين الدولة والمجتمع، ثقة تعتبر ضرورية لعبور جسر الجائحة بأقل خسائر ممكنة.

أما استثمار حالة الطوارئ الصحية في التضييق على الحقوق والحريات فلا يقود سوى لطريق مسدود.

للتذكير، ففي الوقت الذي اعتقل فيه الراضي، كان هناك عفو ملكي على نشطاء من حراك الريف، كنا أمام خطين متوازيين لا يلتقيان في الهندسة التقليدية.

فبقدر ما احتضن الجميع خط العفو، بقدر ما تخوفوا من خط الاعتقال.

◆ خالد بكاري

ملف العدد

أين الثروة ؟!!

تقديم

كانت نبرة الخطاب الرسمي، تعجبية وتساؤلية، أدخلت محللي علم السياسة في حيرة من أمرهم، وأعلى سلطة في البلاد يتساءل :

أين الثروة ؟!!

هل السؤال حول عدم تمكن الدولة من ضبط تواجدها، أم أنها لم تتعرف على من نهبها، أم من بدد صرفها، أم من هربها، أم من هيمن عليها..

كلها اتجاهات للبحث، وتمحيص الأجوبة، فتحت فيه جريدة الطريق ملفا خاصا، لنضع الأجوبة الصريحة أمام المغاربة بكل شفافية، وحتى نضيء كل احتمالات طرح سؤال : أين الثروة ؟

المغرب يتربع على أكبر احتياطي عالمي للفوسفاط العالي الجودة وثروة معدنية مهولة، المغرب يمتد على طول 3500 كلم على بحرين من أغنى بحار العالم من ناحية الثروة السمكية، المغرب يتوفر على أجود الأراضي الفلاحية وفرشة مائية مهمة وكل أنهاره تنبع وتصب في أراضيه، المغرب يزخر بطاقات بشرية تعتبر ثروة رافعة للمستقبل وللتقدم والتطور، المغرب يمتلك أيضا موقعا جغرافيا استراتيجيا ولوجستيكيا كجسر بين أوربا وإفريقيا وكواجهة بحرية مغاربية، زيادة على مؤهلات المغرب ليكون مركزا لجلب العملة الصعبة خارج موارد المهاجرين المغاربة، فلنتساءل بدورنا، عن مَنْ وكيف يتم تهريبها.

فهل بكل هاته الثروات، يمكن التساؤل : أين الثروة ؟

وسط الاجتياح الصارخ لوباء كورونا ببلادنا، وتصريح أعلى هرم الدولة بإفلاس الدولة في تدبير المعونات للأسر المغربية المتضررة، وانهيار المنظومة الصحية والتعليمية، وحتى لا نبقى حبيسي توصيف الحالة واجترار نقدنا لتدبير الدولة، نطرح مشروع خطة برنامجية أمام الشعب المغربي، بحكم الصمم المتكرر والمعتاد لِآذان الدولة، ولو كانت برامجنا متقدمة للخروج من الأزمة :

- الاستعداد لاعتبار مدة سنة القادمة، حاسمة بتدبيرات استثنائية على جميع مناحي الحياة، ابتداء من فاتح شتنبر 2020.
- تخفيف الدولة لكل القيود الضريبية على دخل المواطنين وخصوصا المأجورين المستمرين في العمل، وسن قانون استثنائي يجنب أصحاب قروض السكن والاستهلاك جشع المؤسسات البنكية، باعتبار هاته السنة استثناء.
- اعتبار السنة الدراسية المقبلة استثنائية بتخفيف الدروس والاعتماد على ترتيب الأولويات في الكفايات الأساسية واعتماد التفويج في الحالات الضرورية جدا، وعلى فترات متباعدة، مع اعتماد الدراسة عن بعد كأساس.. وتأجيل الدراسة إلى منتصف أكتوبر، ووضع مقياس لأداء الأسر في المؤسسات الخاصة، ومراعاة تعميم نفس المنهج والدروس في كل المؤسسات العمومية والخاصة.
- وضع سلم لأغنياء البلاد، وحصر مقاييس لثروتهم الداخلية والخارجية، وذلك للمساهمة الإجبارية في تمويل مصاريف هاته السنة الاستثنائية.
- المساهمة المتضامنة للشركات الكبرى في تمويل هاته السنة الانتقالية.
- استرداد الدولة لمتأخرات متهربي الضرائب من الملاكين الكبار وأصحاب الثروات، والذين تثبت حالتهم الاقتصادية القدرة على سداد ديونهم، وضبط مقياس جديد وفعال لاسترجاع العملة المهربة.
- تحمل الأحزاب والمنظمات وجمعيات المجتمع المدني لمسؤولياتهم في التعبئة الشاملة والالتصاق عن قرب بالمواطنين لرفع الوعي في معركة محاربة الوباء ونشر ثقافة مدنية صحية.
- رفع رهان سنة فلاحية قوية بمردودية كبرى، وذلك بوضع مخطط دقيق للوصول لهدف تحقيق الاكتفاء الغذائي المحلي أولا، واعتبار التصدير في المرتبة الثانية. وكذا دعم الصناعات الغذائية والدوائية.
- فتح اوراش كبرى في الصيد البحري وصناعات التعليب السمكي ومرافئ الصيد الحديث وتعزيز أسطوله المغربي، تستهدف السوق الداخلية، مواجهة للبطالة وضمانا للأمن الغذائي والتشغيلي السمكي للمغاربة، خصوصا مع مخاطر توسع الأزمة العالمية.
- التسريع بالإعلان الرسمي على تحول شركة "لاسامير" لشركة وطنية برأسمال مغربي للدولة، تتحمل مسؤولية استيراد وتكرير وتصنيع البترول، وتُهيكَل بأطر مغربية عليا وتُعطَى لها صلاحيات كبرى لتحديد مقايسة سعر المحروقات في السوق المحلي لتحقيق الأمن الطاقي وعدالة الأسعار.
- تأجيل كل الاستحقاقات الانتخابية، والعمل على خلق لجان جهوية مختلطة بتدبير تشاركي للخطة الانتقالية لهاته السنة الانتقالية على صعيد الجهة، بمنطق تشاركي مع قوى حقيقية ممثلة للمواطنات والمواطنين والهيئات الجدية، تكون بمثابة حكومات جهوية محلية تدبر الأزمة ولها صلاحيات القرار الاستثنائي.
- ضخ الدماء في الجسم الإعلامي الحقيقي والجدي لمواكبة حملة الإنقاذ، بعيدا عن الأبواق المأجورة، والتي تفتعل معارك هامشية تلهي عن المعركة الحقيقية لمواجهة الأزمة، وكذا تصفية الأجواء بإطلاق سراح كل معتقلي الرأي، وإدماج الجميع في معركة واحدة موحدة لمواجهة آثار الجائحة، فالمقاربة الديمقراطية التشاركية تغني عن المقاربة الأمنية.
- جرد كل الفضاءات محليا ووطنيا التي يمكن تحويلها إلى مستشفيات فعلية أو ميدانية بوضع مخطط استعجالي لتجهيزها بشكل استباقي، لمواجهة تزايد الحالات.. مع وضع مخطط صارم لاحترام الضوابط الصحية، تلعب فيه منظمات المجتمع المدني دورا أساسيا للوصول لتملكه بشكل حضاري من طرف كل المواطنات والمواطنين.

الطريق

تهريب العملة وآثاره على الاقتصاد الوطني

• عبد المجيد مصدق

يُمَيِّزُ علم الاقتصاد بين مصطلحي الثروة والدخل، فالثروة أو المدخّرات هي متغيّر المخزون، أي أنه قابل للقياس في تاريخ معيّن وتُعرف الثروة بأنّها وفرة في الموارد القيّمة أو المواد والممتلكات ذات القيمة الاقتصاديّة، أو حالة السيطرة، أو الحيازة، وعادة ما تكون في شكل أموال أو عقارات أو الممتلكات الشخصيّة، أما تعريف الأمم المتّحدة للثروة فهو تعريف شامل إذ إنّه إجراء نقديّ يشمل مجموع المقدرات الطبيعيّة والبشريّة والماديّة، ويشمل رأس المال الطبيعي، كالأراضي والغابات وموارد الطّاقة والمعادن، أمّا رأس المال البشريّ فهو تعليم السكّان ومهاراتهم، ويشمل رأس المال الماديّ المصانع، والآلات والمباني والبنية التحتيّة..

أصبح رأس المال المادّي كما هو معروف اليوم يتألّف من رأس المال الطبيعي، ورأس المال الأساسي، فالطبيعة هي مصدر كل الثروات، المواد الخام، الزراعة الأرض والماء والهواء.. وعن طريق قوة العمل يتم تحويل مكنونات الطبيعة إلى سلع عن طريق العمال. فالأرض في الصحراء لا ثمن لها، والملح في البحر والأكسجين في الهواء، والماء في الأنهار، والأسماك في الماء، والحيوانات في الصحراء، والحديد والمعادن الأخرى في بطون الجبال، الطبيعة إذن ـ وليس العمل أو الإنسان - هي المصدر الحقيقي لكل الثروات، كما انه يجب أن نفرق بين معنيين للثروة، الثروة الطبيعية، والثروة الاجتماعية.

أما آدم سميث فقد وصف الثروة في كتابه (ثروة الأمم) بأنّها: الإنتاج السنويّ للأرض والعمل في المجتمع، وهذا الإنتاج هو الأبسط والذي يرضي احتياجات الإنسان الذي يرجو منه الفائدة. في حين يشمل مفهوم الدخل: الأموال النقديّة، والممتلكات غير النقديّة التي يحصل عليها الأشخاص، أو الكيانات القانونيّة؛ وذلك نتيجة الأنشطة خلال فترة زمنيّة مُحدّدة، ويُعرّف الدخل الفرديّ بأنّه: مُجمَل ما يحصل عليه الشخص، أو الأسرة من أيّ شكل من أشكال الدخل، كالاستثمارات، والرواتب، والمكافآت، والتعويضات، والضمان الاجتماعيّ، وأرباح الأسهم إلى غير ذلك. ويؤكد ماركس من جانبه أن الرأسمالية قد أدت إلى مستويات لا يمكن تصورها من تركز الثروة، إلا أنها لم تكن قادرة على استخدامها بتوزيع عادل بين الجميع، نظرا للهوة الطبقية الاجتماعية والسياسية، فتراكم الثروة منظم لمصلحة الطبقة الرأسمالية بدلاً من المجتمع ككل.

ما المقصود بتهريب الأموال أو العملة ؟

تهريب الأموال بصفة عامة هو القيام بنقل الأموال بطرق مخالفة للقانون، ذلك أن المشرع المغربي حدد في العديد من النصوص القانونية الجهات المخول لها القيام بالوساطة فيما يتعلق بتحويل الأموال وعلى رأسها مؤسسات الائتمان والهيئات المعتبرة في حكمها والمنصوص عليها في القانون رقم 34.03.

تاريخيا ظهر مصطلح التهريب إثر اعتماد القصر الملكي في فرنسا "ضريبة الملح" منذ بداية القرون الوسطى واعتماد ضريبة "الهندي" إثر اندلاع الثورة الفرنسية وكذلك إثر الرفع في مختلف الرسوم الضريبية من طرف بريطانيا. وقد أفضت هذه الإجراءات، بصفة آلية، إلى التهرب من دفع الرسوم الجمركية من خلال تهريب البضائع الخاضعة لها.

تكلف عمليات تهريب الأموال نحو الخارج خسائر كبيرة على مجموعة من المستويات ويتكبد الاقتصاد أضرارا فادحة، إذ تحرم ميزانية الدولة من ضرائب تقدر سنويا بملايين الدراهم، حيث يتملص المعنيون من الضرائب المستحقة عليهم من

خلال تهريب أموالهم الطائلة إلى ملاذات ضريبية آمنة، عوض أداء الواجبات الضريبية التي تعد موردا رئيسيا لقيام الدولة بخدماتها العمومية نحو المواطنين إضافة إلى أن بقاء تلك الأموال داخل البلد سيساهم في التنمية.

فأغلب المتملصين هم من لصوص المال العام والثروات الوطنية بطريقة غير شرعية، ولتفادي أي رقابة أمنية أو قضائية تصبح عمليات تهريب الأموال خارج البلاد منفذا لتشجيع الجريمة و الفساد داخل البلد، علما أن القانون المغربي ينص على ضرورة الحصول على تصريح من مكتب الصرف بالأموال التي يريد أي شخص تحويلها إلى الخارج، ويعمل هذا المكتب على مراقبة البنوك التي فوضها بسلطة القيام بجميع عمليات التسديد المالي للحسابات الخارجية، والمتعلقة بعمليات التصدير والاستيراد والنقل الدولي والتأمين وإعادة التأمين والمساعدة التقنية والسفر ومتابعة الدراسة، أي انه ليس هناك فراغ قانوني بقدر ما هناك إحساس وضمير فارغ من الحس الإنساني والوطني.

تهريب العملة وآثاره على الاقتصاد الوطني

• عبد المجيد مصدق

أين الثروة الوطنية؟ سؤال أطلقه الخطاب الرسمي.. هل لا يملك فعلا جوابه ؟

إن تهريب العملة الصعبة يعد من بين عوامل أخرى السبب الرئيسي لتفقير البلاد والعباد فكيف تتم عمليات التهريب...؟

المغرب في عين إعصار وثائق بنما

تعتبر حوالي 40 دولة في العالم جنات ضريبية بحسب تصنيف منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية المبني على أربعة معايير: المعيار الأول هو الضرائب المنخفضة أو عدم فرض ضرائب إطلاقا وهو معيار غير كاف لوحده، ويترافق هذا المعيار مع ثلاثة عوامل أخرى هي غياب الشفافية عن النظام الضريبي، وعدم تبادل المعلومات الضريبية مع دول أخرى، واجتذاب شركات وهمية تشكل غطاء للأموال،

وبهذا الخصوص وعلى إثر كشف أكبر عمل صحفي استقصائي دولي في العقد الأخير، حول قائمة قادة الدول المستفيدين من الملاذات الضريبية بإنشاء شركات فيما يعرف ب"جزر النعيم الضريبي"، بالعالم، أوردت المعطيات مسؤولين كبار في أعلى هرم السلطة في المغرب، ضمن تسريبات" وثائق بنما، هذا العمل الذي شاركت في إعداده أزيد من 100 مؤسسة صحفية، عبر 370 صحافيا، اشتغلوا جميعا على نحو 11 مليون وثيقة تتعلق بعمليات "إخفاء ثروات"، قام بها رجال أعمال ومسؤولون في عدد من الدول من بينها المغرب، بعد الكشف عن هذه الفضيحة وحتى يتم امتصاص الغضب الشعبي دفع محامي القصر، هشام الناصيري، إلى التصريح بأن "الأنشطة المالية التي قامت بها الشركات المملوكة لمنير الماجيدي، في جزر "الملاذات الضريبية" المشبوهة، "مطابقة للقانون وأعمالها مسجلة في السجلات العامة.....!". وبقي الملف طي الكتمان رغم المطالبة المتعددة بفتح تحقيق وافتحاص هاته الحسابات والوثائق المسربة.

وهذا الملف واحد من مئات ملفات المسؤولين ورجال الأعمال المغاربة الذين كشف عنهم التحقيق، وبغض النظر عن الشق الأخلاقي المرتبط بالمواطنة في الموضوع، تطل علينا علامة استفهام حول خرق القوانين الوطنية المنظمة للضرائب والصرف التي تمنع تحويل الأموال إلا وفق إجراءات قانونية محددة وليس ملاذات ضريبية مشبوهة ؟؟؟؟

جزر "الملاذات الضريبية" أو "الأوف شور"، هي مشروع للمتملصين ولصوص المال العام تساعدهم على "التهرب الضريبي"، من البلد مصدر الثروة، دون أن يدفعوا ضريبة عنها، بل ويتعدى الأمر ذلك من الجانب الاقتصادي إلى الشق السياسي، فهي شكل حديث من الاستعمار، فالي جانب الشق الإجرامي هناك أيضا الجانب القانوني المرتبط به، بيد انه عموما فالعمل التجاري والاقتصادي في جزر الملاذات الضريبية، يشوبه الغموض والسرية وعدم الشفافية، ولا يمكن النظر إليه بعين الارتياح عبر التشريعات المتعلقة بمساطر تنظيم الضرائب والتهرب عن تأديتها.

وقد كشفت الوثائق في تحقيق صحفي هو الأضخم في تاريخ المعاملات المالية، أن شركة "موساك فونيسكا" للخدمات القانونية التي تتخذ من بنما مقرا لها، وتُعتبر إحدى أكثر الشركات التي تحيط أعمالها بالسرية تساعد المسؤولين في عدد من الدول على إخفاء الأموال المهربة،

علما أن التجارة بجزر "الأوف شور" ليست دائما غير قانونية خصوصا بالنسبة للأشخاص الذاتيين والمعنويين الذين ينتمون لأغلب دول الشمال، والتي تراقب وتضرب بيد من حديد على يد المافيات التي تشتغل في تهريب العملة والتهرب الضريبي. يعتمد الأشخاص الذين يهربون الأموال إلى الخارج على شبكات محترفة تعتمد على وسائل وتقنيات يصعب رصدها، ولها علاقة بمسارات متشعبة يصعب اقتفاء أثرها، رغم الإجراءات الصارمة الشكلية في الغالب في دول الجنوب ومنها المغرب، فالتقارير الدولية التي كشفت عن عمليات تهريب أموال مهمة من المغرب نحو الخارج، وتعدد العمليات، بشكل شبه يومي، أكدت على أن هناك عدة طرق وتختلف معها قيمة ما يتم تهريبه وعلى أن الأشخاص الذين يقومون بهذه العملية محترفون، أن تحويل رؤوس الأموال، إلى جزر الملاذات الضريبية المشبوهة، هو وجه من أوجه التهرب الضريبي واستعمال الثغرات القانونية للتملص من واجب تأدية الضرائب، ويتم في بعض الأحيان تحت ستار الاستثمار في الخارج بواسطة شركات "وهمية" لجلب العملة الصعبة.

ما هي الشركات الوهمية التي تغطي التهريب وكيف تعمل؟

تعرف هذه الشركات في ألمانيا على سبيل المثال بأنها "شركات العنوان البريدي"، دلالة على أنها ليس لها وجود قانوني سوى من خلال امتلاك عنوان بريدي، حيث توجد الشركة الوهمية، أو شركات العنوان البريدي، على الأوراق فقط، فليس لها نشاط اقتصادي، وليس لها سوى حساب بنكي، وعادة ما تؤسس الشركة الوهمية في إحدى الملاذات الضريبية مثل بنما أو الجزر

العذراء البريطانية أو جزر كايمان البريطانية غرب بحر الكاريبي وذلك بمساعدة محامين أو شركات خدمات متخصصة في هذه الأماكن، عن ذلك يقول الخبير الألماني في القانون الاقتصادي ألكسندر زاوكن، إن لكل من هذه الشركات مدير تنفيذي ليس له عمل سوى أن يدفع رسوم السجل الضريبي لهذه الشركة في الوقت المناسب مرة واحدة كل عام، ولإخفاء تحركات الأموال يتم غالباً تحويل الأموال إلى هذه الشركات الوهمية عبر عدة حسابات في بلدان مختلفة ولا يمكن تقريباً اكتشاف من يقف وراء هذه الشركة.

الملاذات السويسرية لتهريب العملة

في ذات السياق فقد تفجرت فضيحة أخرى بمنسوب أكبر، وتتعلق بالسرية المصرفية في سويسرا، والتي عرفت باسم "سويس ليكس، بعد سنوات من التحريات في وثائق سربها خبير المعلوماتية "أرفيه فالشياني" في عام 2007، عندما كان موظفا في مصرف أتش.أس.بي.سي سويس في جنيف، وكشفت الوثائق في تحقيق صحفي هو الأضخم في تاريخ المعاملات المالية، أن شركة "موساك فونيسكا" للخدمات القانونية التي تتخذ من بنما مقرا لها وتُعتبر إحدى أكثر الشركات التي تحيط أعمالها بالسرية، أنها تساعد المسؤولين في عدد من الدول على إخفاء الأموال المهربة.

وقد احتل المغربُ الرتبة السابعة والثلاثين بين البلدان التي تملكُ حسابات في مجموعة بنكيَّة بسويسرا، وقد جاء وراءه كل من هونغ كونغ وروسيا مباشرة في الترتيب، فيما كلٌّ منْ إيران ورومانيا وسوريا التي حلَّ عملاؤها في المركز الأربعين بالترتيب، بالرُّغم من الأوضاع التي تعيشها بلادهم.

، وحريٌّ بالذكر "HSBC"تعدُّ المجموعة البنكيَّة الثانية عالمياً، حيثُ تشكل ائتلافاً بين بنوك كثيرة، موازاةً مع البنك البريطاني للشرق الأوسط أنه يتخذُ من العاصمة البريطانيَّة مقرًّا له.

إن ما يعرف بفضيحة "سويس ليكس" التي جرت ملوكا ورؤساء دول ومسؤولين ورجال أعمال كبار منهم مغاربة، بتهمة تهريب المال العام والتهرب الضريبي، ليست سوى سحابة صيف فوق بحر نهب الثروات وتهريب مقابلها بالعملة الصعبة خارج الحدود، وهو ما يشكل جريمة ضد الإنسانية في ظل ما تعيشه بعض الدول من عجز خانق في الميزانية العامة، وانهيار للقطاعات الاجتماعية من صحة وتعليم.. فأن يقوم مسؤولون بالدولة بتهريب أموال هي من حق الشعب المغربي، دليل على استبداد حكم الأوليغارشية وتجويع الشعب، لذلك فكلما هبت نسائم انتفاضات شعبية قد تطيح بالفاسدين، يعمدون إلى ضمان مستقبلهم بتهريب العملة خارج الوطن.

تهريب العملة وآثاره على الاقتصاد الوطني

• عبد المجيد مصدق

تقريران صادمان يكشفان هول تهريب العملة من المغرب

ولعل بعض التقارير من جهات خارجية تفضح المستور بغض النظر عن الحسابات السياسية وراء الكشف عنها، فقد صدر تقرير أمريكي عن مؤسسة بوسطن الاستشارية، «ذا بوسطن كونسلتين جروب»، وهي شركة عالمية متخصصة في توفير الاستشارات الإدارية والمالية وتخطيط الأعمال، لها 77 مكتبا موزعا على 42 بلدا من بينها مكتب بالدار البيضاء بالمغرب، تتعامل مع العملاء في القطاع الخاص والحكومي والغير هادف للربح في جميع المناطق، لتحديد فرص لهم ذات القيمة العالية والتعامل مع أكثر التحديات الحرجة التي يواجهونها، يشير التقرير أن أكثر من 30 في المائة من الثروات التي تمتلكها الأسر المغربية الغنية بالمغرب موجودة خارج البلاد، وأن سويسرا تعتبر أكبر مركز جذب خارجي للثروات النقدية الخاصة القادمة من المغرب تليها المملكة المتحدة، التقرير الأمريكي الذي أصدرته مؤسسة بوسطن لم يبتعد زمنيا إلا بأشهر قليلة عن تقرير آخر لمؤسسة أمريكية أخرى، يشهد لها أيضا بالنزاهة والكفاءة لكونها أيضا مؤسسة غير ربحية، قدمت نفس الصورة القاتمة عن تهريب الأموال بالمغرب، واعتبرت أن هذه المبالغ المهربة تكفي المغرب لسد ديونه الخارجية، تشييد الطرق السيارة، وتغطية خصاصه من البنى التحتية والخدمات الاجتماعية كالمستشفيات والمدارس. ويشير التقرير أن الثروات المهربة جُمعت من قطاعات ترتبط ارتباطا وثيقا بصناعات استهلاكية، كصناعة المواد الغذائية الموجهة للاستهلاك الداخلي وبعضها موجه للتصدير، وخلص التقرير أن أقوى عائق يقف في وجه النهوض بالوضعية الاقتصادية بالمغرب للخروج بها من عنق زجاجة (الأزمة) : هو النزيف المالي الناتج عن تهريب الأموال، فهاته الأموال حسب خبراء المركزين الاقتصاديين كفيلة بالنهوض بالاقتصاد المغربي وإخراجه من أزمته، ومادام المغرب مستمرا في فقدانه هذه المبالغ المالية الكبيرة سنويا، فتقدمه الاقتصادي وازدهار مستوى معيشة سكانه يظل صعبا إن لم يكن مستحيلا، بحيث يتحدث التقرير الأمريكي عن استنزاف حوالي 34 ألف مليار سنتيم من الثروة النقدية الوطنية، مما أفقد المغرب ما لا يقل عن 56 في المائة من ناتجه الداخلي الخام.

فقد وضع التقرير اليد على الجرح عندما أكد أن الأموال التي تهرب إلى بنوك بدول أجنبية يساوي ضعف المبالغ التي تدخل المغرب، مستعينا بلوبياته المختلفة من أجل الحصول عليها في إطار برامج المساعدات الإنمائية الخاصة بالتنمية، فالمغرب يخسر 10 دولارات على كل دولار واحد ممنوح في إطار المساعدات الخارجية الخاصة بمشاريع التنمية التي تمنحها المؤسسات الكبرى وفي مقدمتها البنك الدولي للتنمية، مما يعني أن المغرب يخسر ما يقارب عشر دولارات مقابل أن يحصل على دولار من المؤسسات المالية العالمية التي تقدم قروضا أو مساعدات مالية في إطار المساندة في تنمية الدول النامية.ولحد الآن لم يصدر أي تكذيب أو افتحاص من المجلس الأعلى للحسابات حول هاته التقارير.

أساليب شيطانية للتملص الضريبي وتهريب العملة

كما أن تقريرا آخر اعتُمد في إعداده على نموذجين في البحث والدراسة معمول بهما في البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، حيت توصل إلى أن المغرب خسر على امتداد 38 سنة، أي من سنة 1970 إلى 2008، ما يفوق 33 مليارا و850 مليون دولار من الأموال التي تم تهريبها بطريقة غير شرعية في اتجاه دول أجنبية. وكنموذج عن الخطط الشيطانية التي تلجأ إليها بعض الشركات المغربية والأجنبية من أجل تهريب الأموال إلى الخارج بالعملة الصعبة وبطريقة قانونية في الظاهر، فإن الشركات المتهمة توهم الجهات المختصة بأنها عقدت صفقات مع شركات بالخارج من أجل استيراد السلع، فتحصل على إذن مكتب الصرف من أجل تحويل المبلغ المطلوب إلى حساب الشركة المتعامل معها بالخارج، لكن في المقابل تستورد سلعا بقيمة مالية حقيقية أقل بكثير جدا مما تتضمنه الأوراق، لتحتفظ بالفرق لنفسها بالبنوك الأجنبية وبالتواطئ مع تلك الشركات، وبصمت مكتب الصرف ؟؟

انهيار احتياطي العملة في المغرب بتبني سياسة "عفى الله عما سلف"

هذا النهب للثروات الوطنية وتهريب الجزء الأكبر منها على شكل عملة صعبة إلى الخارج كان ولا يزال سببا في مآسي اقتصادية واجتماعية تعيق النمو والتقدم، ولتغطية هذا النهب وخوفا من الانهيار الحتمي لدواليب الدولة، تلجأ هذه الأخيرة في كل مرة إلى طلب القروض الأجنبية، إضافة إلى القروض المحلية، أو ما نسميه بالدين الخارجي والدين الداخلي لتغطية جرائم تهريب العملة الصعبة، والاستمرار في إثقال كاهل الشعب والأجيال القادمة بالقروض وخدمتها وفوائدها.

فعندما اشتدت الأزمة المالية والاقتصادية وبدأت جائحة كوفيد 19 تجرف الأخضر واليابس ماليا واقتصاديا واجتماعيا، لجأت الدولة إلى استخدام خط الوقاية والسيولة لصندوق النقد الدولي، بسحب مبلغ يعادل ما يقارب 3 مليار دولار، لأنه ليس لديها احتياط نقدي بالعملة الصعبة، حيث جف ضرع بنك المغرب من احتياطي العملة بفعل تهريبها إلى الخارج، وقبل ذلك تم إطلاق إجراءات تحفيزية لاستعادة بعض الأموال المهربة إلى خارج البلاد بطريقة غير شرعية، تشمل العفو عن

تهريب العملة وآثاره على الاقتصاد الوطني

• عبد المجيد مصدق

أصحابها وإعفائهم من الغرامات، حال إعادتها خلال مهلة زمنية لا تتعدى سنة.

وقد ورد ذلك في القانون المالي لسنة 2020، وتقوم العملية على إعلان حجم الأموال والممتلكات في الخارج بمساهمة إبرائية تساوي 10 في المائة من المبلغ الإجمالي للمداخيل العقارية المكتسبة، مقابل إعفائهم من أداء الضريبة على الدخل، وكذا إلغاء الزيادات والغرامات المنصوص عليها في المدونة العامة للضرائب.

في الواقع لم يكن هذا الإجراء إلا إعلانا لتسوية طوعية بشأن الممتلكات والموجودات المحتفظ بها خارج المغرب من قبل الأشخاص الذين أخلوا بالتزاماتهم (المهربون) تجاه مكتب الصرف، وتسوية طوعية جبائية في الداخل وفق الإجراءات المتخذة ضمن قانون الموازنة للسنة 2020، الذي نص على إعفاء أصحاب الأموال الخارجة من البلاد بطريقة غير شرعية، من العقوبات والغرامات، مقابل إعادة أموالهم إلى البلاد، ومنحت للأشخاص المعنيين، مهلة تبدأ من أول يناير حتى 31 أكتوبر 2020، للقيام بالتصريح وإرجاع الأموال، ويستفيد من قام بإرجاع الأموال من إعفاء من الرسوم المفروضة على دخول الأموال بنسبة 5%، في حال أودع 75% من أمواله في حساب بالعملة الصعبة و25% بالدرهم المغربي، كما يستفيد من اختار تحويلها إلى الدرهم المغربي من إعفاء الرسوم بنسبة أكبر.

وهنا تطرح علامة استفهام كبيرة حول وجود ودور ومسؤولية مكتب الصرف الذي يملك معطيات دقيقة حول تهريب الأموال من المغرب، وله آليات وتقنيات تمكن من التتبع الجيد للعمليات التي يشتبه فيها والتحري حول ما إذا تم استرجاع المداخيل الناتجة عنها بأكملها وأن التحويل ناجم بالفعل عن عمليات حقيقية، كما يعرف خريطة وطرق التهريب برا وجوا وبحرا، والأشخاص المهربين من الرأس إلى أخمص القدمين، ومع ذلك فان النزيف لم يتوقف.

وللتذكير فالعملية الأولى للعفو عن مهربي الأموال، التي نفذت سنة 2014، قد مكنت المغرب من استعادة نحو 27.8 مليار درهم (3 مليار دولار) من الأموال المهربة إلى الخارج خلال العام ذاته، وانقسمت تلك الأموال المسترجعة بين السيولة النقدية بقيمة 8.5 مليار درهم (923 مليون دولار)، والممتلكات العقارية بقيمة 9.5 مليار درهم (1.03 مليار دولار)، والاستثمارات المالية (الأسهم والسندات) بقيمة بلغت نحو 9.8 مليار درهم (1.06 مليار دولار)، مع العلم أن العقوبات والغرامات التي كان سيتعرض لها المساهمون في تهريب الأموال خارج البلاد تصل إلى ستة أضعاف المبلغ الذي يتم تهريبه، بالإضافة إلى عقوبة الحبس ما بين شهر وخمس سنوات، وذلك في حالة إحالة الملف إلى القضاء.

وفي إطار الحد من ظاهرة تهريب العملة على عموم المواطنين، فقد تم الإعلان في نهاية 2019، عن تدابير تهم قانون الصرف، بما يتيح للمغاربة الإقبال على فتح حسابات مصرفية بالعملة الصعبة في مصارف محلية، وذلك في ظل سعيه لتفادي إيداعهم أموالهم المتحصلة من عقارات أو من عمليات تجارية أو مالية في مصارف أجنبية خارجية، وتطويق تهريب الأموال، وسيمكن هذا التدبير الجديد بالنسبة للذين يتوفرون على أموال تتعلق بمصاريف السفر من أجل السياحة بفتح حساب في المصارف الأجنبية، كما سيخول للشركات التي تكون وضعيتها سليمة مع إدارة الضرائب بفتح حسابات من أجل عملياتها بالعملة الصعبة، ولا يطال هذا التدبير المغتربين المغاربة. إن هذه العملية يراد من ورائها تفادي عمليات تحويل العملة الصعبة إلى الخارج، في الوقت نفسه تهدف إلى دعم الموجودات المحلية من العملة الصعبة.

خلاصة :

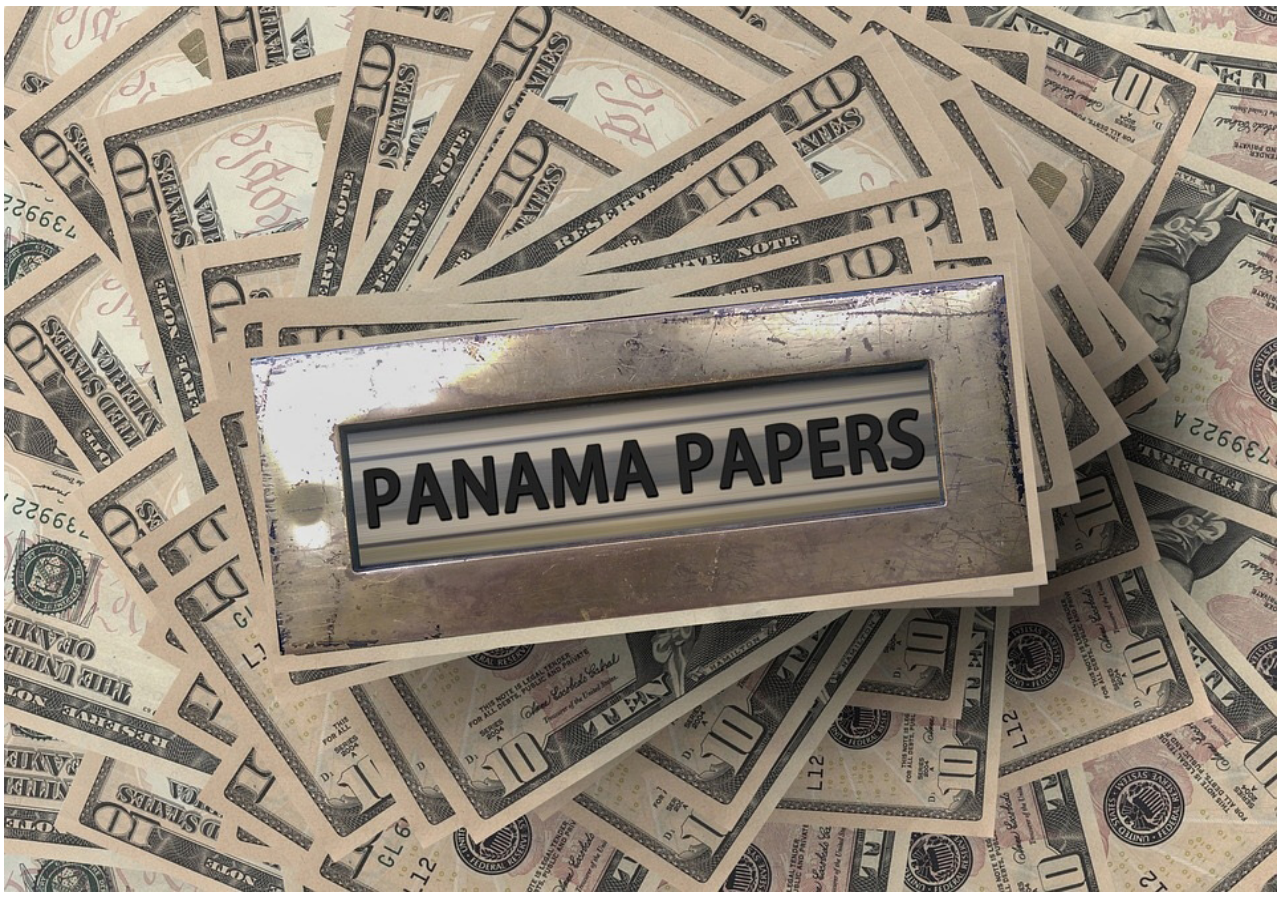

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الدول، تعمد إلى تغيير عملتها للحد من ارتفاع معدلات تهريب الأموال إلى الخارج، وهذه الإجراءات المتخذة في عمومها تهدف للحد مظهريا من نزيف تهريب العملة، ولا تعني أن ما تم تهريبه قد عاد إلى قاعدته سالما كما يقول المثل، فما تم تهريبه يفوق عشرة أضعاف ما تم استرداده، والإجراءات بطبيعة الحال لن تسري على من تصدرت أسمائهم من المسؤولين وحاشية الدولة المخزنية قائمة "وثائق بنما" و "وسويس ليكس" وغيرهما، لأن ربط المسؤولية بالمحاسبة ليس إلا شعارا في دولة استبدادية.

من جهة أخرى يُستفاد من عدة مصادر أن احتياطيات المغرب من النقد الأجنبي تتأرجح ما بين الارتفاع والهبوط خلال الأسابيع الأخيرة التي تتزامن مع استمرار انتشار جائحة فيروس كورونا، والتي تسببت في أضرار بالغة للاقتصاد المغربي وتأثرت مصادر العملة الصعبة الرئيسية للبلاد، حيث بلغت الاحتياطيات من العملة الصعبة إلى غاية 5 يونيو 2020 ما مجموعه 287.7 مليار درهم، والتي تكفي فقط لتأمين 5 أشهر من الواردات من السلع (الغداء) والخدمات، حسب مؤشرات البنك المركزي.

عموما فإن تهريب الأموال جريمة أخلاقية قبل أن تكون قانونية وسياسية، فمثلا مغاربة المهجر يكدون طول السنة للادخار وجلب العملة الصعبة من الباب لتنشيط منظومة الاقتصاد، فيما يقوم لصوص المال العام بسرقتها وإخراجها من النافذة بكل أريحية نحو دول تعتبر جنات ضريبية كسويسرا التي تعرف تطورا في اقتصادها بشكل كبير، بفضل السيولة الكبيرة التي توفرها الحسابات البنكية للمهربين. ويبقى غياب الإرادة السياسية الحقيقية بالمغرب أبرز عائق لمحاربة تهريب الأموال نحو الخارج، على اعتبار أن المهربين هم أنفسهم النخب السياسية والمالية الحاكمة و كبار المسؤولين في الدولة، لتكون الطبقات الاجتماعية الأكبر تضررا من عمليات التهريب بالنظر إلى أنها هي التي في حاجة إلى خدمات القطاعات الاجتماعية العمومية.

وقد كشفت معطيات رسمية أن المغرب فقد خلال 4 عقود حوالي 14 ألف درهم بالنسبة لكل مغربي، بأدنى معدل للرأسمال القابل للاستثمار والتوظيف المجدي والمنتج داخليا، وذلك نتيجة تهريب الأموال إلى الخارج بطريقة غير شرعية إذ أضاع المغاربة عموما ما يفوق 56 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي بسبب هذه الجرائم الاقتصادية والاجتماعية المقترفة في حق أجيال المغرب، في الوقت الذي تظل الطبقة الحاكمة هي المستفيد الأول من تهريب الأموال، إذ أن حجم هذه الأخيرة يفوق حجم المساعدات المالية الخارجية المرصودة للتنمية ويتجاوز أيضا حجم المديونة. والأكيد أن تهريب الأموال وخاصة المتعلقة منها بالعملة الصعبة له آثار وخيمة على الاقتصاد الوطني لما له من تأثير على الاحتياطي النقدي وعلى الميزان التجاري وما يترتب عنه من نقص في العملة الصعبة التي تعتبر أداة التعامل على صعيد الاقتصاديات العالمية. فتهريب الأموال أو تحويلها غير القانوني غالبا ما يؤثر على العملة الوطنية في مقابل العملات الصعبة، ولعل كميات التحويلات غير القانونية التي تتم عن طريق التهريب المباشر أو غير المباشر تضرب في العمق الأنشطة الاقتصادية الوطنية في مختلف أبعادها، لذلك باتت هذه الآفة تنخر جسم الدولة خلال فترات الرخاء وأيضا الأزمات فغياب العملة الصعبة يشكل خطرا على السيادة الوطنية، وبوابة فقدان استقلال القرار الاقتصادي والسياسي ورهنه بمؤسسات القروض العالمية.

ثروة الماء والأرض وهيمنة المخزن

◆ محمد بنطاهر

في التعريفات المتداولة والتي لها أسس، أن المغرب بلد فلاحي، بلد الزراعات المتنوعة والغابات الواسعة والأنهار والوديان كما الجبال خزان للثلوج. هذا المعطى الطبيعي تعرض للإتلاف بقوة وعمق، ما جعل المغرب يفقد صفة البلد الفلاحي بامتياز فمن المسؤول؟

المسؤولية مشتركة بين الإنسان والطبيعة وإن كانت مسؤولية الطبيعة تشتمل إلى حد كبير مسؤولية الإنسان. فبالمجمل نقول إن المسؤولية الرئيسية تعود للإنسان.

فالماء ملك عمومي، ولا يمكن أن يكون موضوع تملك خاص. هذا ما نصت عليه المادة الأولى من القانون رقم 10-95 المتعلق بالماء في المغرب. صدر هذا القانون في غشت 1995، أي بعد مرور شهور قليلة على ميلاد المنظمة العالمية للتجارة بمراكش في يناير 1995 والمصادقة على الاتفاق العام حول تجارة الخدمات، والذي يحث الدول على تحويل الخدمات العمومية ومنها توزيع الماء الصالح للشرب من القطاع العمومي إلى الشركات متعددة الجنسيات. ويبدو أن النظام المغربي التزم أكثر بتوصيات منظمة التجارة العالمية وجعل من الثروة المائية ببلدنا ملكا خاصا للرأسماليين الأجانب والمحليين الذين استنزفوها ولوثوها لتنمية أرباحهم الخاصة على حساب الفئات الشعبية المفقرة في المدن والقرى.

وهاهم الآن يحاولون حجب مسؤوليتهم في تدميرها ويلقون باللوم على الجفاف والتغيرات المناخية، وسطروا خططا لمواجهة ندرة المياه عبارة عن أوراش جديدة للرأسمال الخاص، مسنودة باستثمارات عمومية باهضة تضخم المديونية في غياب تمحيص لجدواها الاجتماعية والبيئية.

وتطرح إشكالية الماء في المغرب مفارقة متميزة، حيث يعد من بين بلدان شمال إفريقيا التي تتوفر على موارد مائية غير

◆ محمد بنطاهر

مرتبطة بالخارج وهو في نفس الوقت من البلدان التي ستواجه مستقبلا مشكل ندرة المياه، هكذا إذن لجأ المغرب لتطبيق توصيات البنك التوجه العالمي بتشجيع الشراكات بين القطاع العام والقطاع الخاص بشراكات تؤكد مبدأ خوصصة الأرباح و تشريك الخسائر الذي طبع مسلسل الخوصصة بالمغرب منذ انطلاقه سنة 1993.

الثروة المائية المغربية

حاليا يتوفر المغرب على إمكانات هدروغرافية تقدر ب 29 مليار متر مكعب، منها 19 مليار قابلة للاستغلال بينما يتبخر 10 مليارات و ينصرف الجزء الآخر منها إلى المحيط أو البحر، 15 مليار متر مكعب من هذه المياه سطحية و 4 مليارات من المياه الجوفية. ترجع هذه الوفرة من المياه إلى مجموعة من المعطيات كالخزان المائي الذي توفره جبال الأطلس، وأنهار دائمة الجريان كنهر أم الربيع، بالإضافة إلى وجود فرشات مائية باطنية، وزخات مطرية قوية في فصل الشتاء.

صراع المواطنين ضد زواج المخزن – الشركات العالمية

لكل مواطن الحق في الماء ويُعد الماء عنصرًا أساسيًا للتمتع بحياة كريمة وعاملا حيويًا لإعمال العديد من الحقوق الأخرى مثل الحق في الصحة والحياة والتمتع بمستوى معيشي لائق، وتعترف به مجموعة واسعة من القوانين الدولية لحقوق الإنسان. ويحق لكل شخص الحصول على كمية كافية من مياه الشرب لمنع فقدان الجسم للسوائل والمحافظة على الصحة الأساسية، مع إيلاء اهتمام خاص لأشد الفئات ضعفًا في المجتمع، وهي الطبقات الفقيرة من عمال وفلاحين وكادحين في المدن والقرى. وكما هو مفروض على الدولة إعطاء الأولوية لتوفير إمدادات المياه للاستخدامات الشخصية والمنزلية، لا بدّ أيضًا من اتخاذ التدابير اللازمة لضمان توافر الماء لاستخدامه في إنتاج الغذاء، وضمان الصحة البيئية، وتأمين سبل العيش، والتمتع بالممارسات الثقافية ذات الصلة. وتعتمد كفاية الماء على السياق الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والمناخي والبيئي السائد. وينبغي النظر إلى الماء على أنه سلعة اجتماعية وثقافية لا على أنه سلعة اقتصادية بالدرجة الأولى.

ومن خلال هذه المواجهة بين حقوق المواطنين في الماء ومسؤوليات الدولة المخزنية، نستقي هاته الحالات التي تجسد حدة الإخلال بمصالح المواطنين من جراء سياسات تبعية تسطو على الأخضر واليابس:

ثروة الماء والأرض وهيمنة المخزن

• محمد بنطاهر

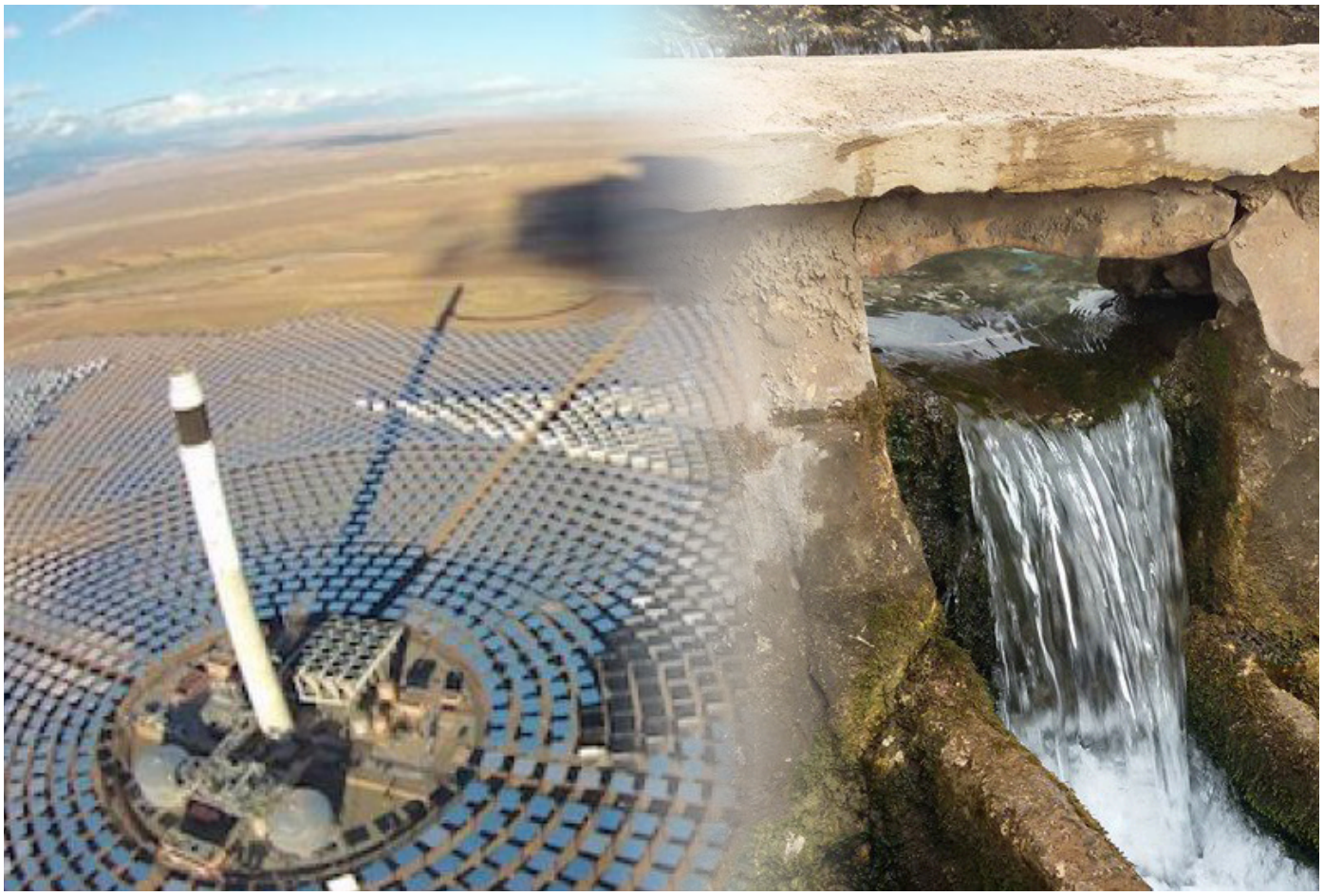

1. قرية بن صميم.. حرب الماء

تقع قرية بن صميم في منطقة إفران بجبال الأطلس المتوسط، يبلغ عدد سكان القرية حوالي 3000 نسمة، أغلبهم يعيش من الزراعة المعيشية، وتربية الماشية "حوالي 5000 رأس من الأبقار والأغنام"، تقع القرية قرب إحدى آخر غابات الصنوبر بالمغرب، منذ 2001 كانت القرية مسرحا «لحرب الماء» بين سكان القرية الذين يعتبرون العين مصدرا حيويا ووحيدا للماء لحاجاتهم اليومية والمعيشية، وبين مقاولة عالمية اشترت من الحكومة المغربية حق استغلال هذه العين لتعبئة مياهها في قنينات وتسويقها داخل وخارج المغرب. فمنذ سنة 2007، تاريخ بداية أشغال بناء المصنع، نظم السكان احتجاجات، أصبحت نموذجا عالميا لمشكل الماء و إشكالية تبضيعه.

عين بن صميم تنبع من منحدر جبلي قرب إفران، ويتدفق صبيب مائي منها على سطح الأرض، في السافلة وعلى طول المنحدر شيد سكان القرية منذ عقود سواقي إسمنتية لسقي حقولهم، وبذلك يعتبر هذا المورد المائي مصدر الحياة لأزيد من 3000 نسمة، إضافة إلى ما يتوفرون عليه من مواشي ودواب...، وقد استكان سكان هذه القرية لوضعيتهم وكيفوا ظروف حياتهم على ذلك، لكن في السنوات الأخيرة قل الماء بشكل ملفت، ولم يجد السكان من حل غير سقي حقولهم بالتناوب، كل سنة يحولون الماء إلى نصف الأراضي فقط...، ليتفاجأوا ابتداء من 2002 برغبة مستثمرين خواص في تحويل المجرى المائي إلى مال يحولونه إلى جيوبهم...، في البداية كان يتم الحديث عن مستثمر أجنبي اسمه "نيكولا" له شركة تدعى "أورو-أفريكان للمياه"، بينما ظهر أن ذلك لم يكن إلا واجهة حسب بيان صادر عن جمعية العقد العالمي للماء، صدر في 26 يونيو 2010 تندد بذلك وتعتبره "عملية تحايلية، أما المستفيد الحقيقي فهي شركة "براسري" وتعود ملكيتها لمجموعة «كاستل» الدولية، ومن المرتقب أن تعبئ الشركة الماء في قناني تحث علامة تجارية.

وقد دخل أغلب سكان القرية منذ البداية في احتجاجات قوية دفاعا عن موردهم المائي، ولم يكن رد فعل السلطة أقل من ذلك، ما أدى إلى محاكمات بعض السكان صدرت في حق ستة منهم أحكام بالسجن لمدة ثلاثة أشهر موقوفة التنفيذ وغرامة مالية حددت في 70000 درهم يؤدونها بالتضامن فيما بينهم، وذلك عن ابتدائية مكناس في 29 يونيو 2009، وما تزال قضيتهم جارية أمام استئنافية مكناس ومن المرتقب أن يعرضوا أمام أنظار القضاء ثانية.

ساندت السكان في مطالبهم مجموعة من الجمعيات الوطنية والدولية، كجمعية العقد العالمي للماء (بما فيها المجموعات الدولية)، وأطاك المغرب، وجمعية المحامين الشباب، والجمعية المغربية لحقوق الإنسان، والمنظمة المغربية لحقوق الإنسان،...، ودأبت على تنظيم قافلة سنوية نحو قرية بن صميم، وأحيانا مسيرة بمشاركة السكان إلى منبع الماء كما حدث في 20 ماي 2008، وسبق أن راسلت مختلف المسؤولين المعنيين بالموضوع، كما عقدت "جمعية العقد العالمي للماء" لقاء مع وزير العدل السابق في مقر الوزارة في 15 يوليوز 2009، وبعث مغاربة وفرنسيون عرائض احتجاجية عبر سفارة المغرب بفرنسا، وأثيرت القضية في مجلس النواب عبر وضع سؤال شفوي من طرف أحد النواب، وقد ركز الوزير الذي تلا الجواب على المعطيات التي يتم باستمرار قولها، كتفويت حصة الدولة المقدرة في 40%من الماء للشركة المعنية، والحرص على مراقبة ذلك باستمرار بينما أدانت "جمعية العقد العالمي للماء" في بيانها المشار إليه ذلك واعتبرته نوعا من "التضليل والخداع في ضرب حق السكان في ملكيتهم لمنبعهم"... وأثارت الجمعيات التي تساند السكان مشكل تحيين المعطيات المائية التي تشرف عليه "وكالة حوض سبو"، مبرزة أن المخزون المائي في المنطقة يقل باستمرار بسبب حفر الآبار وضخ الماء... كما لوحظ في السنوات الأخيرة حصول تغير في موقف غالبية السكان، وهناك من يرده إلى ضغوطات مورست عليهم، وهناك من يرى بأنهم قد اقتنعوا ب"جدوى" المشروع، وما يمكن أن يدره عليهم من فائدة، سواء في التشغيل أو في منح ضرائب للجماعة القروية، حيث يظهر أن بعض الشركات ترى في بيع الماء مصدر ربح كبير، في ظل التزايد عليه، وإمكانية تصديره إلى الخارج، وتفضل الشركات "المستثمرة" في هذا القطاع مصادر الماء المعروفة وسهلة الاستعمال، والقريبة من شبكة الواصلات، ولا تعير اهتماما لمصلحة السكان، والمخاطر البيئية، وتبقى فقط بعض الجمعيات بإمكانياتها البسيطة من تواجه لامبالاة المسؤولين وعدم إصغائهم لمطالب المواطنين، وانحيازهم الفج لذوي النفوذ الاقتصادي والمالي لتكريس سياسة اقتصاد الريع وهذا ما يفند بالملموس كل الادعاءات والشعارات المرفوعة من طرف الأجهزة الرسمية وأبواقها، وتظهر بجلاء ضرورة إخلاء سبيل المتابعين قضائيا في إطار الترهيب الذي مورس على السكان.

2. محطة ورزازات ـ إميضر : خدعة حلول الشراكة

تكشف محطة ورزازات للطاقة الشمسية خدعة الحلول الخضراء التي تحمل في طياتها منطق تدمير بيئي واجتماعي جديد مادامت مبنية على الربح الرأسمالي. فغير بعيد عن ورزازات، مازالت ساكنة إميضر تعيش على خلفية نضالات مريرة منذ 1986 ضد الشركة الملكية القابضة لمنجم الفضة (أكبر منجم إنتاجا للفضة بإفريقيا) ضد استنزاف فرشتهم المائية وتلويثها ومن أجل حقهم في الأرض والثروة المعدنية التي يتم نهبها، وكعادتها تسخر الدولة أجهزتها لقمع هذه المقاومات واعتقال رموزها

3. عين بني مطهر، الأراضي السلالية، الماء وسياسات ترك الحبل على الغارب

عين بني مطهر تقبع في حضن النجود العليا، حتى أن البعض أصبح يصنفها عاصمتها الأبدية وفي أعقاب التقسيم الإداري المعتمد من قبل الوزارة الوصية عام 1992 تم فصل عين بني مطهر إلى قسمين المركز و قروية بني مطهر. سحب المواطنون الثقة من من يستغلون نفوذهم بغرض الهيمنة على قطاع أراضي الجموع من أجل المصلحة الذاتية الضيقة والمقيتة التي تقتل التنمية والمشاريع الإنمائية التي يمكنها أن تشمل كافة أبناء الجماعة السلالية على حد تأكيدهم، كونها إذا تم إصلاحها وخدمتها يمكن أن توفر الأمن الغذائي و الكلأ للماشية، وذلك بأن تتم الاستفادة بطريقة جماعية منها وأن تتقاسم الساكنة المنتوج الفلاحي والزراعي، كما أن تأمين الغذاء لا يشمل فحسب المنطقة وحدها بل كافة المناطق المغربية ولما لا التصدير إلى الخارج.

عقدت ندوة الأراضي السلالية في 9 مارس 2013 ووجهت بمعارضة المواطنين المتضررين من نهب الأرض والماء في زمن تفقيرهم والسطو على أرضهم التاريخية. فتحرك المنتفضون اللذين أغلبهم مستضعفون فوق

ثروة الماء والأرض وهيمنة المخزن

• محمد بنطاهر

أجل تسطير أجندة بإمكانها تحديد الأولويات بشأن إتاحة الفرصة لأبناء قبيلة بني مطهر على غرار كافة الجماعات السلالية ببلادنا للانكباب على أراضيهم لخدمتها والاستفادة منها، كون أن عين بني مطهر لديها فرشة مائية تعتبر الثانية على المستوى الإفريقي.
في خضم هذا الحدث رأى الكثير من أبناء الجماعة السلالية أن بعض منظري الندوة الموجهين من طرف الدولة يضمرون دس السم في الدسم باعتماد أفكار مآلها إقصاء المواطنين من الحق في الأرض وفي الطاقة المائية، فووجهوا بانتفاضة احتجاجية حادة اعتبرت من أهم التحديات التي نهجها أبناء الجماعة السلالية، التي دعوا من خلالها إلى تبني الإنصاف بخصوص أراضيهم السلالية بصون الكرامة الإنسانية لأنها مصدر الرزق الوحيد للكثير من ساكنة بني مطهر.
و قد أكد المحتجون أمام خيمة الندوة التي أفاضت الكأس بأن المسؤولية الاجتماعية و البيئية ترجع إلى المخزن، في وقت أن جماعة بني مطهر تعرف تدفقا لقنوات الصرف الصحي من بلدية عين بني مطهر والتي ستنذر في المستقبل بكارثة إيكولوجية يصعب

أرضهم الغنية بالثروة المائية، وشددوا على أن الأمر لا ينحصر في كيفية اختيار وانتخاب نائب للأراضي السلالية بجماعة بني مطهر، بل الأمر يكمن في اليد الأمنية التي تمسك بالمسؤولية في تدبير هذه الأراضي في إطار التنمية والتعاطي مع التشاركية بشكل منصف، وقد أوضحوا بأنه آن الأوان لتحريك ملف الأراضي السلالية على واجهة قبة البرلمان بغرض وضع النقاط على الحروف من التغلب عليها، كونها تؤثر على الضيعات الفلاحية وعلى المحيط البيئي بشكل كبير، وتفرخ في فصل الصيف أسرابا من الحشرات الطائرة تغزو الدور السكنية في غارات ليلا و نهارا ناهيك عن أمراض خطيرة كالحساسية و الربو و اللشمانيا التي عرفت في السنين الأخيرة حالات كثيرة.

خلاصة القول أن أقلية مخزنية نهبت الأراضي. وحتى الأحراش التي كانت تتمتع بثروة الوحيش لم تنجو من النهب إذ استحوذ عليها محسوبون على نفس المافيا، مستغلين الفرشة المائية التي تحتوي عليها والعين. وهُمش كل من دافعوا عليها وقاوموا الاستعمار وضحوا من أجلها.

4. زاكورة، الأرض ومافيا الماء والعقار

تعيش أراضي الجموع بإقليم زاكورة، على وقع احتقان كبير بسبب خروقات نواب الأراضي السلالية، وهو ما دفع المتضررين من الوضع إلى تنظيم وقفة احتجاجية أمام مقر العمالة في مارس 2020 شهدت مشاركة مكثفة لمختلف الشرائح والأعمار واستمرت لعدة ساعات، أعلن فيها المحتجون رفضهم القاطع لعملية تقسيم الأراضي السلالية وتوزيع رخص حفر الآبار وجلب الماء التي تتم ضدا على القانون، واعترض المحتجون على فوضى التراخيص المُسلمة لبعض الأشخاص والمتعلقة بحفر آبار، مشيرين إلى الضرر الذي تخلفه على الفرشة المائية والتي تعمل على استنزافها، وكذا ما يعتبره باقي الفلاحين بالمنطقة حيفا مسهم جراء خروقات توزيع تلك الرخص، والتي تقع بمنابع الساقية ما يؤثر على منسوبها، وما ينعكس سلبا على الفلاحة والفلاحين. ومن الأمور التي كشفها المحتجون، قضية تقسيم الأراضي السلالية، التي تحولت إلى عملية بيع وشراء من قبل بعض السماسرة. وكشف المتضررون في الشكاية نفسها، أنه يتم تسريب رخص وتسليمات لمجموعة من البقع بهذه الأراضي لفائدة أشخاص مقابل مبالغ مالية، وهو ما يمس بالحقوق العقارية لذوي الحقوق، خصوصا فئة الأرامل والمحتاجين الذين حرموا من الاستفادة، وذلك بمباركة بعض المسؤولين المحليين والسلطات المختصة بالمنطقة، والتي تسمح وتسهل عملية نهب أراضي الجموع تحت غطاء شهادات الاستغلال المسلمة لأصحاب الجاه والنفوذ.وشدد المشتكون على أنهم تقدموا بعدة طلبات لقائد قيادة ترنانة والجماعة النيابية، من أجل تقسيم أراضي الجموع لقبيلة أولاد عيسى، لكن مسؤوليها يتحججون في كل مرة، الشيء الذي فتح الباب للنهب والسرقة أمام مافيا العقارات بالمنطقة.

5. سبت الكردان - إقليم تارودانت: تفويت الماء العام للخواص

في سابقة أولى من نوعها في المغرب تم تفويت خدمات سقي محيط سبت الكردان بإقليم تارودانت لشركة خاصة تدعى أمنسوس لمدة 30 سنة. و يتضمن هذا المشروع بناء و استغلال المنشئات المائية من أجل سقي 10 ألاف هكتار وذلك بإنشاء قناة رئيسية يبلغ طولها 90 كلم ستربط بين المنطقة و سد أولوز ثم سد المختار السوسي إضافة إلى 345 كلم من القنوات الثانوية للسقي و هو ما سيسمح بتزويد المنطقة بحجم إجمالي من الماء يقدر ب 45 مليون متر مكعب سنويا.
تجدر الإشارة إلى أن الشركة المستفيدة من هذا التفويت تتكون من مجموع من الشركات ترأسها الشركة الأخطبوط أونا، ثم صندوق التدبير و الادخار، بالإضافة إلى شركتين فرنسيتين أنفرامان وب.ر.ل، علما أن القنوات التي سيتم وضعها لن تكون مصنوعة من الإسمنت المسلح هذه المرة، ولكن من مادة البوليستير المقوى بخيوط زجاجية و ستتكلف بصنعها شركة أمنتيك التي تملكها أونا، كذلك بشراكة مع شركة سعودية «إعمالا بمبدأ خيرنا و خير بلادنا ما يديه غيرنا». وقد حصلت هذه الشركة على صفقة أولى بمبلغ 360 مليون درهم، وهي في انتظار صفقة ثانية بالنسبة لنفس المشروع الذي خلقت من أجله وبفضله في الحقيقة. !!

وتبلغ التكلفة المالية لهذا المشروع 987 مليون درهم تساهم فيه الدولة بدعم عبر صندوق الحسن الثاني بلغ 237.5 مليون درهم، إضافة إلى قرض بنسبة 1 في المائة لمدة 20 سنة من طرف نفس الصندوق!!! في حين تبلغ مساهمة شركة أمنسوس 432 مليون درهم أم الباقي فسيتحمله الفلاحون المستفيدون من هذا المشروع بحيث يبلغ ثمن الربط بشبكة السقي 8000 درهم للهكتار.
فلاحو سبت الكردان سيجدون أنفسهم كذلك مجبرين على دفع 1.48 درهم للمتر المكعب الواحد عوض 0.25 درهم التي يؤديها نظراؤهم في مناطق أخرى من المغرب.

ثروة الماء والأرض وهيمنة المخزن

• محمد بنطاهر

أزمة الماء على الأبواب

أكدت دراسات أصدرها مركز الدراسات والأبحاث التابع للمكتب الشريف للفوسفاط عام 2018، أن مستقبل المياه في البلاد يدق ناقوس الخطر، إذ يُعتبر المغرب، حسب الأمم المتحدة، ضمن المناطق «جد الهشة» في ما يتعلق بوفرة المياه. في هذا الصدد، صنف تقرير صدر عن منظمة الأمم المتحدة للتغذية والزراعة، عام 2016، المغرب، ضمن ست دول معنية أكثر من غيرها في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، بندرة المياه وتراجع منسوبها في السنوات المقبلة. المخاوف المؤرقة التي يتحدث عنها التقرير، تعززها دراسة المكتب الشريف للفوسفاط بالأساس، إلى ارتفاع درجات الحرارة مستقبلا وتراجع التساقطات المطرية، ناهيك عن توقعات بعدم انتظام المناخ الذي سيؤدي إلى سرعة ذوبان الثلوج وتراجع المخزون الجوفي من المياه. الدراسة، تشير إلى أن معدل الحصة السنوية للفرد من الماء، تراجعت منذ 1960، من 3500 متر مكعب إلى 750 مترا مكعب، وأن الحصة اليومية لكل مواطن من الماء، ماضية في الانخفاض خلال السنوات الخمس المقبلة. رقم مؤرق إذا ذكرنا مرة أخرى بأن المعدل العالمي محدد في ألف متر مكعب سنويا للفرد الواحد؟؟

من جهتها، أصدرت مندوبية المياه والغابات، عام 2013، تقريرا يبرز أن توزيع حصة المياه هذه ليس متساويا في كافة أنحاء المغرب؛ فحصة الفرد في المناطق الشمالية يمكن أن تتجاوز في السنة 2000 متر مكعب، بينما لا تتجاوز في المناطق الجنوبية، 150 مترا مكعبا للفرد الواحد سنويا. ونسبة إلى ذات التقرير، تتوزع 70 بالمائة من الموارد المائية الحالية للمغرب على 27 بالمائة من مجموع التراب الوطني وحسب، مما يفيد أن ما يربو عن 13 مليون شخص بالمغرب، سيعانون من ندرة المياه ابتداء من سنة 2020.

قطاع الفلاحة يعد وفقا للمكتب الشريف للفوسفاط، أكثر المجالات التي تستنزف المياه المستهلكة بالمغرب بنسبة 90 بالمائة، فيما يأخذ الاستعمال المنزلي من معدل الاستهلاك هذا، نسبة 9 بالمائة، بينما يذهب الباقي إلى الأنشطة الصناعية؛ أي 1 بالمائة.

هكذا، تدعو دراسة المكتب الشريف للفوسفاط، المغرب، إلى تخصيص ما بين 9 و 15 بالمائة من استثماراته للتأقلم مع التغيرات المناخية، على اعتبار أن سكان المغرب يرتقب أن يبلغوا بحلول سنة 2050، 42 مليون نسمة، ستتمركز بالأساس في المدن الساحلية، ما يعني ضرورة إحداث محطات لتحلية مياه البحر.

خطر تغيير المعطيات الأساسية للأرض

لنتناول الموضوع بحالة ملموسة وهي حالة منطقة سوس، وما تعرضت له هذه المنطقة نجده في جميع المناطق بأشكال مشابهة إلى هذا حد كبير، فمنطقة سوس مشهورة بأراضيها الجيدة وبغابات شجرة الأركان التي شكلت الغطاء الطبيعي والمناسب للمنطقة، بهاته الشجرة الفريدة من نوعها في العالم. مع دخول الاستعمار- إقحام الرأسمالية في الزراعة تم اقتلاع شجرة أركان وتحويل ألاف الهكتارات إلى ضيعات لزراعة الحوامض، واستبدال شجرة أركان الغير مستهلكة للماء بشجرة غريبة تتطلب أن تكون ساقها في الماء ورأسها في الشمس. كان يكفي ثمانون أو مائة سنة من هذه الزراعات الدخيلة حتى تنقرض الفرشة المائية التي تشكلت منذ ألاف السنين. ومن أجل ضمان سقي هذه الزراعات شيدت دولة الاستقلال الشكلي سدودا هي اليوم قي حالة تلف كبير جدا، ثلث حقينتها وبعضها نصفها مطمور بالأوحال ولم تتعرض لأي عملية إزالة أو (دراكاج) لتلك الأتربة، تنضاف إليها إشكالية انهيار نسبة الملء نتيجة توالي سنوات الجفاف. حيث تعيش سوس تحت خطر عطش الساكنة والكسيبة وتوقف سقي الزراعات.

لمواجهة هذه الحالة يواصل الفلاحون حفر وتعميق الآبار بدون كبير استفادة، اللهم التسبب في زيادة ملوحة مياه آبارهم لأنها وصلت إلى عمق المياه الجوفية المتسربة من المحيط الأطلسي.

في خطوة يطبعها كثير من التخبط والتسرع وبدون معالجة أسباب هذا الجفاف الناتج عن السياسات الفلاحية لمائة سنة الماضية، أقدمت الدولة على الشروع في انجاز مشروع وحدة تصفية مياه البحر وتزويد شبكتين، الأولى خاصة بالماء الصالح للشرب والأخرى موجهة للسقي. من المقرر إنهاء الأشغال بها في سنة 2021.

من دون شك ستصفق البرجوازية الكبيرة والمعمرون الأوروبيون الذين يستغلون خيرات سوس لهذا المشروع لأنه سيمدهم بالماء لسقي مزارعهم المدمرة للأرض وللطبيعة. إنهم غير معنيين بالتغير الذي ستحدثه هذه المياه عندما ستتسبب في ارتفاع ملوحة الأرض. لأنهم سيغادرون سوس إلى جهات أخرى من المغرب أو خارجه.

هكذا يتضح أن تغيير معطيات الأرض الأساسية في اتجاه تفقيرها وإتلاف خصوبتها هو بالأساس من صنع الإنسان وخاصة الطبقات البرجوازية وملاك الأراضي الكبار والدولة المستبدة راعية مصالحهم. إن الفلاحة الرأسمالية تدمر الأرض والطبيعة إلى جانب تفقير الفلاح الفقير والصغير وتحويله إلى عبد تشغله كعامل زراعي في الضيعات أو تهجره إلى ضواحي المدن، لينضاف إلى جيش احتياطي لليد العاملة هناك.

خلاصات

خلاصة 1 : ضغوط ندرة الماء تعقد آفاق السياسات المائية، من أجل تدبير معقلن للموارد المائية

لن يكون بمقدور المغرب التصدي للتحديات الإنمائية الجسيمة للقرن الحادي والعشرين، وهي الحصول على مياه شرب آمنة وخدمات صرف صحي للجميع، ومدن صالحة للعيش فيها، وأمن غذائي، وأمن طاقي، وفرص عمل من خلال النمو الاقتصادي، وأنظمة إيكولوجية سليمة، إلا إذا نجح في تحسين الطريقة التي يدير بها مختلف موارده المائية. وسوف تتفاقم الضغوط المائية الحالية بسبب زيادة تعداد السكان والنمو الاقتصادي فضلا عن زيادة تقلبات المناخ. والدولة المغربية بوصفها المسؤولة رقم واحد في مجال إدارة الموارد المائية، يفترض فيها العمل على التصدي لهذه التحديات من خلال نهج خطة مشتركة بين القطاعات تتضمن تطوير البنية التحتية وتقوية المؤسسات، مع التركيز على الفلاحين الفقراء وإنهاء الفقر المدقع وتعزيز الرخاء المشترك لأفقر المواطنين القرويين والمهمشين بدون أرض أو بدون أي أفق في خدمة الأرض وتسييرها.

خلاصة 2 : سياسة السدود واستنزاف الفرش المائية

منذ الاستقلال الشكلي عن فرنسا عام 1956، شكل بناء السدود، الذي ارتبط بتملك الأرض، توجها تابتا في السياسة الرسمية للدولة. لقد بدأ هذا المسلسل منذ 1967 حيث قرر الحسن 2 توجها ثابتا في السياسة الرسمية للدولة. لقد بدأ هذا المسلسل منذ 1967 حيث قرر الحسن الثاني آنذاك العمل لتصل المساحات المسقية إلى مليون هكتار بحلول سنة 2000، و هو الأمر الذي تحقق منذ 1998، وتابع ابنه محمد السادس نفس السياسة.

الخطاب الرسمي يبرر هذا التوجه بشح المياه بالبلاد ومن اجل استقلال المغرب الغذائي وتوفير الماء الضروري للشرب وللصناعة، لكن رغم الميزانيات الضخمة المخصصة لبناء السدود ظل المغرب يستورد جل حاجياته الغذائية الأساسية وهو ما يشكل عبئا إضافيا على الميزان التجاري، كما أن السدود التي تم بناؤها لا تسقي سوى حوالي 15% من مجوع

ثروة الماء والأرض وهيمنة المخزن

• محمد بنطاهر

الأرضي الصالحة للزراعة، رغم أن تكلفتها ساهمت بشكل كبير في الرفع من المديونية العمومية. وظلت عدة مناطق من المغرب تشكو من ندرة المياه الصالحة للشرب (زاكورة، تالسينت، اهرمومو، بني ملال، أزيلال، وزان، صفرو، طنجة ..الخ)، وبعض من هذه المناطق لا تشكو من نقص في التساقطات الشتوية. لذلك يمكن أن نتساءل ما جدوى هذه السدود؟ وما الهدف منها؟ ومن المستفيد من تشييدها؟؟

خلاصة 3 : التوزيع العادل للأرض هو الشرط الأول لأية سياسة مائية في خدمة المواطن

بعد رحيل المستعمر، بدأت الدولة المغربية باسترجاع ارضي الاستعمار الرسمي، وبعد ذلك باسترجاع أراضي المستعمرين الخواص الذين تم تعويضهم عن الأرض التي استولوا عليها، وهي حالة استثنائية جدا حيث يتم تعويض المستعمر بعد سنوات من النهب. لقد تأخر الاسترجاع الرسمي للأراضي الزراعية من المستعمر و لم يتم الشروع فيه إلا سنة 1963، أي بعد سبع سنوات من الاستقلال بعد تفاهمات بين الحاكمين والمستعمر، و استمر هذا المسلسل بعد إصدار ظهير 1973 في الموضوع. وقد شكلت مسألة الاسترجاع هاته نقلة نوعية في تاريخ ملكية الأرض بالمغرب. فبعد أن تمكن المقاومون من دحر الاستعمار وفرضوا عليه الرحيل، لم يتم توزيع الأراضي المسترجعة على أصحابها الأصليين الذين كان الاستعمار قد انتزعها منهم بالقوة.

إن محيط الأسر المتنفذة، راكمت ثروات طائلة خلال عهد الحسن الثاني بالسطو والهيمنة على الأملاك العقارية، فتحولت لأكبر لوبي رأسمالي بالمغرب. لقد بدأ استحواذ الملاكين الكبار على الأرضي الخصبة، وبدأت سطوة هاته الأسر تتزايد مع مرور الوقت : فمنذ منتصف السبعينات إلى غاية 1996، تقلص عدد المالكين للأرض ب22%، وانخفض عدد من لا يملكون أرضا أو يتوفرون على أقل من هكتار واحد بنسبة 85 بالمائة. لقد تمت البلترة السريعة لفقراء الفلاحين وتم الدفع بهم للهجرة أو العمل في الضيعات الكبرى.

وللإشارة فهذه الضيعات تتوفر على مواصفات الزراعة العصرية، حيث حظيت الفلاحة الاستعمارية بمختلف أشكال الدعم المالي والتقني وتوفير البنيات التحتية الضرورية من سدود وطرق.

من الواضح أن توزيع التركة الاستعمارية لم يتم بدوافع تنموية، إنما كان يرتهن إلى الشروط الاجتماعية والسياسية لتلك المرحلة التي مر منها المغرب آنذاك. لقد كان توزيع الأرض يهدف بالأساس لكسب النخب وخلق بورجوازية فلاحية لدعم النظام، خاصة أن الصراع لازال قويا مع المعارضة الوطنية على طريقة صناعة القرار أي على طريقة الحكم. لهذه الأسباب شكلت الأراضي الزراعية رشاوي عينية، ف "الإصلاح الزراعي" لم يكن عملية اجتماعية، وبذلك لا يمكن أن تكون له تأثيرات اقتصادية حاسمة، لقد كان عملية سياسية لتدجين بعض النخب.

خلاصة 4 : نهب الموارد المائية في سياق نهب الأرض

في إطار الاستحواذ على الخيرات المائية، شكلت السدود بالنسبة للنظام أداة رئيسية في مغرب ما بعد الاستقلال لكسب ود و دعم كبار الملاكين للأراضي الفلاحية، فبعد الاستحواذ على الأرض من قبل كبار الضباط والمسؤولين الأمنيين والعسكريين، فضلا عن كبار الأعيان والأسر المخزنية، جاء الدور على الاستحواذ على الماء عبر بناء السدود، مما سمح بمنح امتيازات كبيرة لهذه النخب على حساب الشعب الكادح، الصراع إذن يتجه نحو استرجاع السيادة المائية من طرف عموم الشعب بكل طبقاته وفئاته من يد البورجوازية الكمبرادورية وحلفائها من العسكر والضباط الذين نهبوا أموالا طائلة ترجع إلى الشعب المغربي ولا زالوا يستغلون أراضيه وخيراته.

خلاصة 5 : سياسة السدود ودور المغرب كحديقة خلفية لأوربا

كرست سياسة السدود دور المغرب كحديقة خلفية لأوربا، و تم القطع، منذ بداية السبعينات، بين الإنتاج الفلاحي العصري من جهة وحاجيات الاستهلاك الداخلي ومتطلبات السوق الوطني من جهة أخرى. وأصبح المغرب يستورد ما يستهلك ويصدر ما ينتج. و هكذا فقد كرست الدولة إمكانياتها لإنتاج المواد الغذائية، ذات القيمة المضافة "العالية"، حسب التعبير الرسمي، مقابل تجاهلها، في برامجها، للزراعات الموجهة للسوق الداخلي و التي يحتاجها المواطنون/ات في استهلاكهم اليومي كالحبوب و الزيوت وغير ذلك. ونتيجة لذلك ارتفعت صادرات كبار الرأسماليين في مجال الفلاحة نحو الخارج مما ساعد على زيادة مراكمتهم للثروة بسرقة ماء البلاد (ماء السدود الموجه لضيعاتهم)، وبالمقابل ازدادت واردات المغرب من المنتجات الفلاحية والمواد الغذائية المصنعة. وتسمح أيضا عملية الاستيراد هاته باغتناء المستوردين على حساب حاجيات الساكنة. لقد ساهمت سياسة السدود غير المعقلنة في عجز الميزان التجاري الفلاحي المغربي، مما ساهم في تعميق أزمة المديونية و في فقدان المغرب لسيادته الغذائية، وأصبحت سياسته الفلاحية موجهة أكثر فأكثر لخدمة أقلية من كبار الملاكين، خاصة بعد السياسة الجديدة للدولة في المجال الفلاحي والتي بدأت سنة 2008 بوضع ما سمته المخطط الأخضر في مجال الفلاحة.

انطلاقا من هذه المعطيات، يصبح تأميم السدود وتدبيرها بسياسة وطنية و ديمقراطية مهمة من مهام المرحلة. وبفك الارتباط مع اقتصاد النهب الذي ينهجه المخزن وكبار ملاكي الأراضي، بمنع التراكم في استغلال الماء والأراضي، وهو شرط من شروط التحرر الوطني العاجل

خلاصة 6 : القروض وسياسة استدامة التبعية

الدولة المخزنية لجأت إلى الاقتراض الذي له كلفة عالية بالنسبة لعموم المواطنين والمواطنات، لأنه يساهم في الرفع من مديونية البلاد والتي يتحمل الفقراء كلفة تسديدها وفقدان استقلالية القرار أمام المؤسسات المالية الدولية. و بسبب تضخم هذه الديون، دخلت الدولة في دوامة الديون الجهنمية التي لا تنتهي و هذا ما سهل على حكومات الشمال بدعم من المؤسسات المالية الدولية فرض اختيارات ليبرالية تسببت في تدمير ما تبقى من مكتسبات الصحة والتعليم والخدمات الاجتماعية و فتحت البلاد للاستثمار المحلي والأجنبي في شروط ليست في صالح الأجراء و عموم المواطنين، ومن هنا يتحول الصراع ضد التبعية إلى صراع من أجل رفع الضغط الاجتماعي والاقتصادي الذي تعاني منه الطبقات الشعبية وعلى رأسها الطبقة العاملة وعموم الفلاحين والكادحين، وتستفيد منه بشراهة بورجوازية تبعية وكمبرادورية لا تهمها إلا أوضاعها.

خاتمة

سياسة توزيع الماء بالمغرب وطريقة تدبيره لا تمثل حلا لعدد هام من المغاربة في مجال الشرب ولأغلبيتهم في مجال السقي، لأنها لا تخدم أساسا، سوى اقليه من الناهبين. لذلك تظل مسألة الإصلاح الزراعي ببعديها المجالي والمائي مطروحة على جدول الأعمال، إصلاح يراعي مصلحة السواد الأعظم بإعادة توزيع عادل للأرض و الماء.

المراجع: سيتم إيرادها في النسخة الإلكترونية بموقع الجريدة
www.attarik.net

مملكة الفوسفاط المغربي

كلما خرجت الجماهير الشعبية في مظاهرات إلا وكان من شعاراتها "فلوس الفوسفاط فين مشات، الفوسفاط وجوج بحورا والعيشة مقهورة"، وقد كانت حركة 20 فبراير في كل مظاهراتها ترفع شعارات عن مآل الثروة "الفوسفاطية"، هي شعارات لها دلالاتها السياسية والاجتماعية في القرن الواحد والعشرين بالنسبة للشعب المغربي. إنها شعارات تعكس الحس الشعبي حول مآل مداخيل الفوسفاط كما تجسد المطلب الديمقراطي في التوزيع العادل للثروات الوطنية. فمن يمتلك الفوسفاط بالمغرب؟ ومن يحاسب القائمين عليه، وأين تذهب عائداته؟ إنها أسئلة مشروعة تتطلب الوقوف على هذا القطاع وعلى سياسة امتداده.

◇ صفي الدين البدالي

الفوسفاط والا كتشاف

قام الباحث الجيولوجي Brives بين سنوات1901 و1907 باستكشاف جيولوجي لمختلف مناطق المغرب، لحساب شركة فرنسية تسمى (Compagnie marocaine) تبين منه وجود طبقات من الفوسفاط لها نفس التركيبة الجيولوجية لمناجم الفوسفاط بالجزائر وتونس. وسيلاحظ كومبلاس Combelas أحد العاملين بشركة فوسفاط قفسة بتونس، سنة 1912، وجود طبقات جيولوجية من معدن الفوسفاط بمنطقة قريبة من البروج، على بعد 150 كلم جنوب الدار البيضاء، وما أن شاع خبر اكتشاف مناجم للفوسفاط حتى سارعت شركات أجنبية بوضع طلبات التنقيب المنجمي على مستوى الأراضي غير الخاضعة لأحكام السلطان، وهي أراضي بعض القبائل والعشائر التي انتفضت ضد منح أي امتياز للتنقيب. فاضطرت حكومة السلطان إلى إعداد مشروع الظهير المنظم للتنقيب والاستغلال المنجمي وذلك بالاستعانة بخبراء في القانون من ألمانيا وإنجلترا وإسبانيا، فتم إصدارالظهير الشريف بتاريخ 19 يناير 1914، بالجريدة الرسمية. والذي نص بوضوح على الطابع "المنجمي" للفوسفاط. وعلى إحداث لجنة تحكيم دولية للبث في طلبات التنقيب وفك النزاعات. لكن فرنسا استفردت بالأمر لأنه كان من بين أهدافها استغلال الثروات الوطنية من أجل بناء وتنمية بلادها. فبعد اكتشاف الفوسفاط ومنافعه في القرن التاسع عشر من طرف الاحتلال أو ما يسمى بالانتداب في مصر وسوريا ثم تونس والجزائر راهنت فرنسا على اكتشاف الفوسفاط بالمغرب في كل من خريبكة وواد زم. وأدرك الجنرال ليوطي، المقيم العام بالمغرب، الطابع الاستثنائي لاحتياطات الفوسفاط التي يتوفر عليها المغرب، فقرر بناء على نتائج البحث إصدار ظهير 27 يناير 1920 الذي بموجبه تم إسناد عمليات الاستكشاف والاستغلال إلى "الدولة الشريفة ولحسابها"، من أجل منع القوى والشركات الأجنبية من بسط يدها على هذه الثروة. فتم تأسيس المكتب الشريف للفوسفاط Office Chérifien des phosphates، وتم تعيين أول مدير عام للمكتب الشريف للفوسفاط، وهو ألفريد بوجي (Alfred Beaugé)، وهو عالم مُتخصص في العلوم التقنية ولديه خبرة كبيرة كمسؤول في مناجم الفوسفاط بشركة قفسة في تونس وقد تم اختياره من قبل الجنرال ليوطي.

الاستغلال بعد الا كتشاف

يخضع استغلال الفوسفاط المغربي لاحتكار الدولة التي عهدت به إلى المكتب الشريف للفوسفاط، وهو مؤسسة عمومية أنشئت في مارس 1920، وفي شتنبر من سنة 1924، كانت المرة الأولى التي يزور فيها عاهل مغربي منشآت المكتب الشريف للفوسفاط، وقد تم نشر خبر جولة السلطان مولاي يوسف على الصفحة الأولى لصحيفة السعادة، وهي جريدة تصدر باللغة العربية وهي مقربة من سلطات الحماية. بعد ذلك، قام السلاطين الأربعة الذين عرفهم المغرب منذ تأسيس المكتب الشريف للفوسفاط، على التوالي، بتدشين وافتتاح أهم منشآته الصناعية والمنجمية. وستتحول هذه المؤسسة إلى "مجموعة المكتب الشريف للفوسفاط" (مجموعة م.ش.ف.) في 1975، وقد انطلقت بداية استغلال مناجم الفوسفاط من طرف سلطات الاستعمار في أول مارس 1921 ببوجنيبة ناحية خريبكة، حيث لم يتم احترام المادة 112 من معاهدة الجزيرة الخضراء التي توصي باحترام الثروات الوطنية للبلد تحت الحماية الفرنسية.

ومع بدء اشتغال كيماويات المغرب بأسفي، ستصبح المجموعة أيضا مصدرا لمشتقات الفوسفاط. وستمر المجموعة سنة 1998 إلى مرحلة جديدة بالشروع في إنتاج الحامض الفسفوري المخلص وتصديره، وبالموازاة ستعقد المجموعة شراكات متعددة مع فاعلين صناعيين في القطاع من داخل المغرب ومن خارجه.

مملكة الفوسفاط المغربي

• صفي الدين البدالي

مؤسسة خارج السياق

في كل سنة يتم استخراج أكثر من 23 مليون طن من معدن الفوسفاط، حيث يتوفر المغرب على ثلاثة أرباع الاحتياطات العالمية من هذه المادة. ويتم استخراجه بمواقع خريبكة وبنجرير واليوسفية وبوكراع والعيون. ويخضع معدن الفوسفاط للمعالجة عبر عملية واحدة أو سلسلة من العمليات، حسب الحالة، ثم يتم تصديره كما هو أو يسلم لوحدات الصناعة الكيماوية التابعة للمجموعة بالجرف الأصفر أو آسفي لكي يتم تحويله إلى منتجات مشتقة قابلة للتسويق، كالحامض الفسفوري العادي أو الحامض الفسفوري المخلص أوالأسمدة الصلبة. وبهذا تكون مجموعة المكتب الشريف للفوسفاط (م.م.ش.ف) تتصدر الدول المنتجة للفوسفاط والمصدرة له، وتبلغ كمية الفوسفاط الخام المسوق 13,39 مليون طن (الولايات المتحدة الأمريكية 2,5 طن واسبانيا 1,7 مليون طن والمكسيك مليون طن).

كما تصدر المجموعة حوالي نصف الكمية المستخرجة في شكل معدن خام إلى ما يناهز أربعين بلدا عبر العالم، وقد سجل رقم معاملات المجموعة 5,48 مليار درهم خلال سنة 2017.

كيف توسعت مداخيل الفوسفاط؟

بعد إحداث المكتب الشريف للفوسفاط في السابع من غشت سنة 1920، انطلقت عملية الاستغلال سنة 1921، أولا باطنيا بناحية وادي زم في ركازة أولاد عبدون ، وفي 1931 بدأ الاستخراج الباطني باليوسفية (لوي جانتي سابقا)، ثم إنشاء أول وحدة للتحميض باليوسفية، وانطلاق أول قطار للفوسفاط من اليوسفية نحو ميناء أسفي سنة 1936، فأصبح استنزاف الثروة الفوسفاطية من لدن الاستعمار يغطي كل المناطق التي يوجد فيها فوسفاط.

في سنة 1951 انطلقت عملية استخراج الفوسفاط بالطريقة المكشوفة بسيدي الضاوي (خريبكة)، مع البدء في إنجاز منشآت التجفيف والتحميص بخريبكة والبدء في تقويم الفوسفاط مع انطلاق الإنتاج بمعمل كيماويات المغرب بأسفي سنة 1965، وإدخال المكننة للمناجم الباطنية بخريبكة سنة 1967، ثم إعطاء الانطلاقة لأشغال تشييد المركز المنجمي ببنجرير سنة 1974. هذا ومنذ اكتشاف مناجم الفوسفاط بالمغرب تمت عملية استكمال البنية التحتية لجودة الإنتاج ولم يحظ الشعب المغربي بأدنى حق من حقوقه في ثروته الوطنية حتى أصبح يعتقد بأنها مملكة فوسفاطية والحديث عنها أصبح من الطابوهات.

الاستغلال المزدوج للمملكة الفوسفاطية

لقد وقفنا وباختصار شديد على حجم استغلال مناجم الفوسفاط وأرقام المعاملات التي تتحقق يوما عن يوم. لكن هناك استغلال الإنسان المغربي لتحقيق مزيدا من الأرباح قبل وبعد الاستقلال.

ـ أولا: استغلال اليد العاملة التي تقوم بالحفر واستخراج الفوسفاط بطرق بدائية يتحمل فيها العامل العبء الأكبر في استخراج هذه المادة التي تتسبب له في أمراض الصدر، في غياب شروط مناسبة للعمل. هكذا ويسري على عمال الفوسفاط إبان الاستعمار الفرنسي ما يسري على عمال مناجم الفحم بفرنسا، وكلهم من المستعمرات الفرنسية الذين كتب عنهم الكاتب ZOLA في روايته Germinal، والذي يصف فيه محنة العمال في هذه المناجم وعنونها مناجم الجحيم Les mines de l'enfer. لقد استغلت فرنسا الوضع العام في المغرب الذي يتميز بالأمية والفقر والسيبة لتستغل اليد العاملة أبشع استغلال. فرغم المجمعات السكنية القريبة من المناجم لتوفير شروط الاستقرار للعمال ومدارس لأبنائهم، فإن ذلك كان بطريقة هندسية تعمل على عزل العمال من الاختلاط بالمواطنين، خوفا من أي انتفاضة احتجاجا على ظروف العمل القاسية. واستمر استغلال العمال في غياب تنظيم نقابي قوي أو سند سياسي.

ثانيا : استغلال الفلاحين الصغار حيث انتزعت منهم أراضيهم التي توجد بحاضرة الفوسفاط، وانضموا إلى صفوف البطالة أو الباحثين عن عمل بالمدن، مما ضاعف من الهجرة نحو مدن الدار البيضاء والرباط والمحمدية والقنيطرة، وليسكنوا في دور الصفيح "الكاريانات". ولم يستفد الشعب المغربي من عائدات الثروة الفوسفاطية، بل المستفيدون هم الأطر العليا للمكتب الشريف للفوسفاط من حاشية الأسر النافذة، والشركات الريعية التي تم تأسيسها للتجهيز والبناء والنقل واللوجستيك.

و غداة الاستقلال استمر الحال على ما هو عليه. و قد سبق للجماهير الشعبية أن تداولت بعد عودة محمد الخامس على أن ثروة الفوسفاط تستطيع تمكين كل مواطن صباح كل يوم من 1000 فرنك أي 10 دراهم ـ بمستوى معيشة تلك الفترة ـ لقد عاش المواطنون والمواطنات هذا الحلم. لكن التحليل السيكولوجي المرتبط بهذه المعلومة يبين مدى أهمية ثروة الفوسفاط عند الشعب المغربي، لكن الحقيقة الثابتة أن الفوسفاط هو مملكة محصنة، وخارج رقابة واستفادة الشعب المغربي. فاستمر بذلك الاستغلال على شاكلة الاستغلال الفرنسي وستذهب أحلام المغاربة أدراج الريح.

قطاع خارج نظم المحاسبة والمسائلة

لقد تعالت أصوات الجماهير الشعبية والمعارضة اليسارية طالبة بالكشف عن الثروة الفوسفاطية وعن مآل الأرباح التي تراكمها سنويا، لكن تلك الأصوات ظلت كصيحة في واد. لأن الفوسفاط يعتبر مملكة تعيش تحت رعاية النظام السياسي حتى لا يمسها سوء ولا تقربها يد المحاسبة أو المسائلة. بل أنه حتى البرلمان يلتزم بالحياد في هذا الموضوع، بالرغم من كونه حق للمواطن المغربي. فالصفقات التي يعقدها المكتب الشريف للفوسفاط تظل داخلية ولا تلتزم بقانون الصفقات العمومية، بل هناك عدة شركات لأشخاص نافذين في القطاع هي التي تحظى بكل الصفقات بدون منافسة تذكر. وما يقوم به المكتب الشريف للفوسفاط من بعض الأعمال الاجتماعية من خلال قوافل دون هدف يذكر، إنما هي أعمال لتبديد مالية الفوسفاط ولتغطية حقيقة ما يجري داخل هذه المؤسسة، لأنه ليس هناك ضابط محاسبتي أو مراقب متتبع لعملية التصدير والمصاريف وتحديد النفقات حسب الحاجيات. وفي هذا الصدد اكتفى قضاة المجلس الأعلى للحسابات، خلال افتحاصهم للمكتب الشريف للفوسفاط، بمراقبة النشاط المنجمي بكل من موقع خريبكة، وموقع الكنتور، دون التطرق للجانب المتعلق بالتدبير المالي والإداري لإمبراطورية المكتب الشريف للفوسفاط.

وقد انحصرت مهمة مراقبة التسيير المالي والإداري والمحاسبات التي أنجزها المجلس الأعلى للحسابات لدى المجمع الشريف للفوسفاط أساسا على النشاط المنجمي بكل من موقع خريبكة (الذي يضم مناجم لمراح وسيدي شنان وسيدي الضاوي وبني عمير)، وموقع الكنتور (الذي يضم مناجم ابن جرير وبوشان ومزيندة). فانصبت مهمة قضاة المجلس الأعلى للحسابات بشكل خاص على الجوانب المتعلقة بالتخطيط والبرمجة، وكذلك معالجة الفوسفاط عن طريق الغسل والتعويم، واستخدام وصيانة المعدات المستعملة في الاستغلال المنجمي بالإضافة إلى الجوانب البيئية المتعلقة بهذا النشاط. ولم يتناول التقرير بتاتا جوانب التدبير الإداري والحسابات المالية، من مداخيل وتكاليف وديون والنفقات ومجال صرفها، كما لم يشر أيضا إلى الصفقات التي عقدها المكتب الشريف للفوسفاط، ولم يستطع رئيس المجلس الأعلى للحسابات كشف حقيقة ميزانية المكتب الشريف للفوسفاط أمام البرلمان، مدعيا أن المعطيات لها حساسية فلا يجب الإدلاء بها، وبهذا الموقف من رئيس مؤسسه دستورية وفي إطار الدستور الجديد تأكد بأن ثروة الفوسفاط سرية، وبعيدة بفعل فاعل عن رقابة واستفادة الشعب المغربي.

بما أن هده المؤسسة الفوسفاطية هي ملك للدولة منذ النشأة في 1920 فإنها أولى بالمراقبة عن طريق البرلمان بغرفتيه. بل لا توجد هناك رؤية واضحة حتى بالنسبة لوزارة المالية حول تدبير مالية الشركات التي تمتلكها الدولة، لأن هذه الوزارة هي المسؤولة عن التتبع عن طريق المديرية المكلفة بشركات الدولة والمؤسسات العمومية. فكل المؤسسات الدستورية لا تستطيع الاقتراب من جيوب مملكة الفوسفاط. ويكتفي المكتب الشريف للفوسفاط، بتقرير مالي يبين الإيرادات من تصدير الفوسفاط نحو الخارج مثلا في سنة 2016، حيث اكتفي بإعطاء أرقام عامة فقط، مثل مبلغ أزيد من 42 مليار درهم، أي ما يزيد عن 4 ملايير دولار كإرادات، لكن دون ربطه بحجم التكاليف أو الأرصدة المالية للمكتب.

إننا بحق أمام مملكة داخل مملكة؟؟؟

متى يخلع مجلس المنافسة جلباب القصر ؟!

شركة سامير ثروة وطنية تستوجب معركة موحدة لإعادة تشغيلها في حضن الوطن

◆ محمد بوتخساين

مجلس المنافسة مؤسسة دستورية حسب الفصل 166، والذي اعتبرها هيئة عمومية تتمتع بالاستقلالية الإدارية والمالية، تعنى بدراسة أداء الأسواق ومحاربة الممارسات غير الأخلاقية والمنافية للمنافسة الشريفة، يحدد تركيبته واختصاصاته القانون 20.13، الذي منحه صلاحيات واسعة لاتخاذ القرار، وأكد على الدور الأساسي للمجلس في تطبيق قانون المنافسة و منع الممارسات اللاأخلاقية في السوق، بالإضافة إلى توقيع الجزاءات على مخالفة قواعد المنافسة، هذا بشكل عام دور ومهام مجلس المنافسة، والذي كان من المطالب الأساسية لليسار المغربي قصد ضبط الاستثمار الداخلي والخارجي وتنقية الإدارة والمؤسسات من جيوب الفساد، ورغم إقرار الدولة بجدوى هذا المجلس في المغرب، تماشيا مع توصيات مجلس المنافسة العالمي، فقد بقي مشلولا لعقد من الزمن حتى تعيين إدريس الكراوي رئيسا عليه شهر دجنبر 2018.

شهرا بعد تعيين إدريس الكراوي رئيسا لمجلس المنافسة، توصل بإحالة عليه من طرف المنظمة النقابية الكونفدرالية الديمقراطية للشغل تشكو احتمال وجود ممارسات منافية للمنافسة من طرف الفاعلين في قطاع المحروقات، مما سبب ضررا بليغا بالقدرة الشرائية لعموم المواطنين والمستهلكين وبالاقتصاد الوطني وبالمقاولة النقلية، وذلك بعد قرار متسرع للحكومة خلال ولاية رئيسها السابق عبد الإله بنكيران القاضي بتحرير أسعار المحروقات شهر دجنبر 2015.

تفعيل مهام مجلس المنافسة المرتبطة بضبط السوق استجابة لأحد مطالب حركة 20 فبراير، المتمثلة في محاربة الفساد والريع والاحتكار، جاء عبر تمرين صعب و حقيقي حملته أول إحالة من نقابة كدش، التي فتحت نقاشا عموميا حول أدوار مجلس المنافسة، خصوصا بعد تشكيل لجنة ملكية للنظر في التناقضات الحاصلة بين أعضائه الثلاثة عشرة، فلم يعد الأمر يتعلق بمؤسسة دستورية تستمد قوة قراراتها من الصلاحيات الممنوحة لها بالدستور وبالقانون، وبالأخص مبدأ الاستقلالية والتقرير والوضع الاعتباري، لإثبات سمو المؤسسات عن اللوبيات المتحكمة في القرار الحكومي والاقتصادي.

إن توقف المنشأة الوطنية "سامير" بالمحمدية عن الإنتاج في غشت 2015، استغله اللوبي المتحكم في الوسط المالي والاقتصادي والمحتكر لسوق المحروقات، المشكل من قرابة عشرين شركة، لإنهاك القدرة الشرائية للمستهلك و للاقتصاد الوطني، مما نتج عنه خسائر مالية تقدر بملايير الدراهم، وخسائر اجتماعية في آلاف مناصب الشغل. فاستغلال الشركات المحتكرة وضغوطاتها على الحكومة المغربية لم تتجاوز ثلاثة أشهر فقط لتنجح في استصدار قرار حكومي لا شعبي وصفه مجلس المنافسة بالمتسرع، في ظل توقف الإنتاج بشركة سامير، مؤداه تحرير أسعار المحروقات شهر دجنبر 2015، بدون الأخذ بعين الاعتبار المصلحة العليا للوطن المتمثلة في تحصين الاقتصاد الوطني وتهيئته لمواجهة التحديات، وذلك لن يكون إلا عبر ضمان المخزون الأمني للمحروقات والأمن الطاقي للمغرب باستغلال القدرات الهائلة للمنشأة الوطنية سامير في الإنتاج و التخزين.

فمن توقيف شركة سامير شهر غشت 2015 إلى تحرير أسعار المحروقات شهر دجنبر 2015، يظهر بجلاء المخطط الجهنمي للشركات الفاعلة في قطاع المحروقات؛ بمؤامرة احتكارية مدروسة، زكتها الحكومة، إن لم نقل إن هناك تواطؤا حاصلا بين الطرفين على اعتبار تواجد بعض محتكري سوق المحروقات ضمن التشكيلة الحكومية المتخذة للقرار اللاشعبي، المرتكز على التحرير، والعجز الحكومي الموجه في تفعيل استغلال خزانات سامير.

إحالة المنظمة العمالية

كشفت كدش المستور من خلال ترافعها في أشغال الجلسة الثانية لتقديم الملاحظات الشفوية، يومي الثلاثاء و الأربعاء 21 و 22 يوليوز 2020، بصفتها الطرف المشتكي من الضرب الحاصل للقدرة الشرائية للمستهلك و للاقتصاد الوطني، بسبب التفاهمات بين الشركات المنافية للمنافسة الشريفة، ويوم الخميس 23 يوليوز 2020، خلصت مداولات مجلس المنافسة إلى تغريم ثلاث شركات كبرى ب 9% من رقم معاملاتها و باقي الشركات بنسب أقل، ليعود المجلس يوم الاثنين 27 يوليوز 2020 ليخرج بقرار ثان مؤداه توحيد الجزاء على جميع الشركات ب 8% من رقم معاملاتها، القرار الثاني أثار خلافا بين أعضاء المجلس، فعمد البعض منهم - يشكلون أقلية -، إلى رفع ورقة للملك يبرزون من خلالها بعض التجاوزات المسطرية التي مست قرار التغريم الذي اتخذه المجلس، كما توصل الملك قبل ذلك بمذكرة حول القرار الأول المتخذ بتاريخ 23 يوليوز 2020، وبمذكرة ثانية حول قرار يوم 27 يوليوز2020، وجدير بالذكر أن القرار الأول حظي بتصويت اثنا عشر عضوا مقابل واحد، بينما حظي القرار الثاني بتصويت الأغلبية. على إثر التناقض والاختلاف بين أعضاء المجلس تم تشكيل لجنة ملكية أعلنت في بلاغ للديوان الملكي يوم الثلاثاء 28 يوليوز 2020، أنيطت بها مهمة إجراء التحقيقات الضرورية لتوضيح الوضعية ورفع تقرير مفصل عن الموضوع في أقرب أجل للملك.

◆ محمد بوتخساين

الإشكال المطروح ليس في رفع تقريرين متناقضين، لأن الأجدر هو إعلان مجلس المنافسة لقراره بناء على منهجية التصويت التي اعتمدها للحسم في قرار تغريم الشركات سواء القاضي ب9 % أو ب 8% من رقم معاملات الشركات المحتكرة، والذي ثبت ضدها التلاعب بقانون المنافسة، لأن بناء دولة الحق و القانون يمر عبر احترام و ضمان استقلالية المؤسسات الدستورية ومنها مجلس المنافسة، حتى يقوم بدوره الكامل في مناهضة كل أشكال الاحتكار والتواطؤ التي أكدتها النتيجة السنوية في البورصة لإحدى شركات المحروقات "المعروفة" التي قفزت أرباحها من حوالي 300 مليون درهما قبل تحرير أسعار المحروقات إلى 900 مليون درهما بعد التحرير، مع تحقيق نفس المبيعات عن كلتا الحالتين، دون أن نعرج على الضغط الضريبي الذي يتحمله المواطن بسبب توقيف الإنتاج بشركة سامير.

عدم إعلان مجلس المنافسة لقراره رغم ثبوت تفاهمات بين شركات المحروقات من خلال أثمنة البيع المتقاربة للمستهلك وتوزيع حصص السوق و تبادل المعلومات حول أسرار الأعمال والاقتناء المشترك من السوق الدولية والاستمرار في نفس الممارسات قبل التحرير، كلها شبهات تستوجب بعد تأكيدها ترتيب جزاءات وإعلانها بكل استقلالية من طرف مجلس المنافسة لترسيخ الصلاحيات الممنوحة له حفاظا على الاقتصاد الوطني وعلى قدرة المستهلك الشرائية، بعيدا عن الاحتماء بالقصر للتهرب من المساءلة.

أليس ما قاله عبد اللطيف الجواهري، والي بنك المغرب سنة 2016، بعد تحرير بنكيران لأسعار المحروقات: **" ليس هناك أي استفادة للمواطن المغربي من الانهيار الكبير لأسعار النفط عالميا، ولا يستفيد منه سوى شركات توزيع المحروقات "**، تأكيد للفشل الحكومي في سياسته الاقتصادية التي لم يستفد منها سوى اللوبي المتحكم؟

الثروة السمكية بالمغرب في أرقام

هل تتجاهل الدولة فعلا هاته المعطيات حول الثروة البحرية، حين تتساءل : أين الثروة ؟!؟!

- يمتد المغرب على بحرين بثروة بحرية غنية وبجودة عالية جدا، فسواحل الشمال على البحر الأبيض المتوسط بطول **600 كم**، كما يبلغ طول السواحل على المحيط الأطلسي حوالي **2900 كم**. أي حوالي **1.12 مليون كيلومتر مربع**، وتعد من أغنى المناطق عالميا من ناحية الجودة.

- يحتل المغرب المركز الأول عربيا في إنتاج الأسماك بنحو **1.454 مليون طن**، بنسبة **37.4%** من إجمالي الأسماك التي يتم صيدها عربيا، والرتبة **13** عالميا.

- **41%** من الإنتاج يتجه للصيد الخارجي المباشر، مما يجعل ثروتنا البحرية دون فائدة على اليد العاملة الداخلية، مع إنهاك توالد الأسماك بالصيد بالشبك الدقيق.

- **60%** من صادرات الأسماك المغربية، يحتكرها السوق الأوروبي، مع هيمنة الإتحاد الأوربي على شروط الاتفاقية، مما يفرض تنويع الشركاء : آسيا، إفريقيا، روسيا..

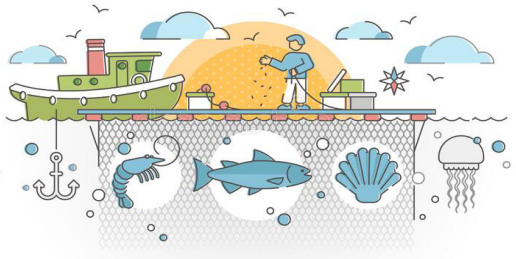

- مخطط تربية الأحياء المائية، سيصل إلى **380 ألف طن**، وهو في توسع وفق برنامج أليوتيس.

- وصل حجم مبيعات الثروة البحرية حسب ارقام 2017 إلى **21.2 مليار درهم**. ويوفّر قرابة **200** ألف فرصة عمل، لكنها غير مهيكلة، ومناصب الشغل متدبدبة وموسمية.

- تصل نسبة مساهمة تسويق الأسماك **55%** من قيمة صادرات المغرب الغذائية والزراعية، ونسبة **12%** من قيمة مجموع صادراته.

- ينقسم أسطول الصيد البحري بالمغرب إلى أسطول للصيد الساحلي (**84%** من الإنتاج)، وأسطول للصيد بأعالي البحار (**15%**)، مما يبرز ضعف استغلالنا للثروة السمكية العميقة في مياهنا الإقليمية وتفويتها للأساطيل الأجنبية. وعدم امتلاك استراتيجية واضحة لتقوية الأسطول المغربي للصيد في أعالي البحار، وخلق موانئ التعليب والتخزين والتعليب على امتداد شواطئنا.

- لا يتجاوز معدل استهلاك المواطن المغربي من الأسماك **7 كيلوغرامات** للفرد الواحد في السنة، في حين يصل المعدل في إسبانيا إلى **60 كيلوغراما** في السنة، وأكثر من ذلك في اليابان وروسيا. وتبقى النسبة الأعلى من استهلاك السمك بجودة عالية وبالسعرات الحرارية العالية بالمغرب محصورا في الأسر المحظوظة نظرا للارتفاع المهول وغير المبرر لسعر التسويق الداخلي.

تاريخ المخزن وتمركز الثروة الجاهزة

• يوسف رزين

أنشأ المغاربة نظام المخزن أول مرة لحمايتهم من الجفاف وآثاره المدمرة. كان بإمكان هذا النظام لو قيض له الثبات والاستمرار أن يتطور نحو الأرقى ولربما طرقنا به أبواب الحداثة. لكن الإقطاع كان له رأي آخر، فعمل باستمرار على عرقلة هذا النظام و تفجيره من الداخل كل مرة يقوم فيها على قدميه.

الواقع أن تصور كل من المخزن والإقطاع للثروة كان متناقضا. فإذا كانت للمخزن نظرة عقلانية حولها انبنت على الادخار و حسن التدبير و استثمار طويل الأمد، ممثلة في إنشاء المخازن الكبرى تحسبا للمجاعات الدورية وتقوية المنشآت العمومية الخاصة بالفلاحة، كشبكة الري والسدود والنواعير والخطارات، فإن الإقطاع بالمغرب كان يتمثل الثروة في شكل الخيرات الجاهزة غير المتعوب عليها. لذلك كان ينتهز فرصة حدوث الجفاف للتمرد على المخزن وإسقاطه و فرضه الاحتكار للمواد الغذائية، لبيعها بأسعار مرتفعة غير آبه بالصالح العام.

و هكذا ظل المغرب إلى حدود الدولة المرينية يعيش حالة التجاذب بين المخزن والإقطاع. فحينما تضعف الدولة تشتد سطوة الأشياخ على المجتمع، وحينما يظهر الملوك الأقوياء يتنفس المغاربة الصعداء. وهنا تحضرنا ظاهرة "الالتزام" التي ميزت الدولة المرينية قبل تولي السلطان أبي الحسن الحكم، حيث كان عمال الجهات يشترون الجبايات من المخزن تحت اسم الالتزام، ثم يستخرجونها من الفلاحين أضعافا مضاعفة، "فإذا زجروا، اعتلوا بالالتزام" حتى جاء أبو الحسن المريني وألغى هذا النظام. لكن حينما تولى بعده سلاطين ضعفاء عاد هذا النظام من جديد.

لكن بمجيء السعديين صار المخزن و الإقطاع سيان. حيث نجد أقوى ملوكهم (أحمد المنصور الذهبي) ينهج سلوكا عدائيا تجاه الفئات المنتجة في المجتمع، غير آبه بتبعات سياسته تلك على اقتصاد البلد. لقد صار مفهوم المخزن للثروة هو الحصول عليها بشكل سريع وجاهز، مع الحذر التام من وجود نخبة تجارية قد تتحداه سياسيا بفضل تنامي ثرواتها.

لذلك صار سلوك المخزن في المجال الاقتصادي قائما على إقصاء النخب التجارية واحتكار القطاعات الحيوية كالتجارة الصحراوية والمناجم ومنح رخص استغلال الموانئ والتجارة الخارجية للأجانب الأوربيين واليهود. أما التجار المحليين فقد تعرضوا للإقصاء والإرهاق بالجبايات الثقيلة بل و حتى مصادرة أملاكهم.

و من هنا يمكن أن نقول إن الذي صنع الفارق بين الدول الأوربية والمغرب والبلاد الإسلامية عموما، هو شكل العلاقة التي كانت بين الدولة والتجار. حيث نجد أن النخب التجارية في دول أوربا الغربية تمتعت باستقلال واضح عن ملوكها ولم يكونوا عرضة لابتزازهم. ففي اسبانيا مثلا كان ملوكها يتعاقدون مع التجار وتتم المصادقة على شروط هذا العقد أمام العدول. كما شجعت السلطة في انجلترا تأسيس الشركات التجارية ونفس الشيء قامت به هولندا ولم تر فيها خطرا على سلطتها. بل إنه في انجلترا استطاع التجار أن يشكلوا قوة سياسية مماثلة لنفوذ الملك. بينما في البلاد الإسلامية خضع التجار لمراقبة صارمة من طرف السلطان ما جعل النظام الاقتصادي فيها يقتصر على استخلاص الفائض من الجبايات والإتاوات المفروضة على الفئات المنتجة دون سعي جدي منه لتنمية الثروة بالوسائل الاقتصادية السليمة. فقد نظر المخزن إلى النخب التجارية نظرة مريبة حكمها هاجس التخوف من تحول تنامي ثرواتهم إلى قوة سياسية تتمرد على سلطتهم. لذلك حرص على جعلها تحت وصايته وتحكمه حتى لا تخرج عن الحدود المرسومة لها.

عانى التجار إذن من محنة شديدة مع مخزن متربص بهم ينظر إليهم كفئة ذات خطر سياسي كامن. و لذلك وجب قصقصة أجنحتها باستمرار، بل و مصادرة ممتلكاتهم إذا تنامت أكثر من اللازم. ما أدى بالعديد منهم إلى الإفلاس أو إخفاء ثرواتهم بعيدا عن الأعين خوفا من أن تطالها يده. ولنا أن نتصور حال اقتصاد يخفي تجاره أموالهم خوفا من المصادرة بدلا من استثمارها في مشاريع منتجة.

ولفهم هذا السلوك العدواني من طرف المخزن السعدي والعلوي يوضح الباحث محمد جادور أن نظرة المخزن للثروة تمثلت في كونها مرادفا لأبهة السلطان، وأن ثروة التجار هي بالأساس ثروته هو، و هم مجرد متصرفين فيها لا أقل و لا أكثر، وأنه يملك حرمانهم منها متى شاء.

لقد نظر المخزن للثروة و كأنها إقطاع استغلال لا إقطاع تمليك. فالتجار إذن هم قيمون عليها لا مالكين لها رغم أنها من كدهم و اجتهادهم. فحسب المنطق المخزني، يدور الجميع في فلكه شاء أم أبى، فالمال ماله والرعية رعيته يتصرف فيها كما يريد. لقد كانت الثروة في نظره وسيلة للترقي الاجتماعي الذي لا يتم إلا برضاه و دون أن تؤدي إلى تجاوزه.

و لتوضيح الصورة أكثر نستحضر هنا قولة المولى عبد الله بن إسماعيل لقائده محمد الزموري حين أرسله لتأديب أهل فاس معتبرا أن تمردهم ناتج عن امتلاكهم للمال وأن الحل يكمن في مصادرته منهم.

فالسلطان لم يكن يرى دورا آخر للتجار غير جعل ثرواتهم تحت تصرفه والانصياع لمشيئته "لأن الناس إما جندي أو خدام"، كما عبر عن ذلك في رسالته لآهل فاس حينما طلبوا منه تخفيف الأعباء الجبائية عنهم.

و لم يكتف المخزن بالتضييق على التجار، بل امتد تفكيره الى التلاعب بسعر العملة رفعا أو تخفيضا حسب ما تقتضيه مصلحته هو، دون أن يأبه بأضرار سياسته تلك على مصالح باقي الفاعلين الاقتصاديين بالمغرب.

لقد كان المخزن يستهدف من وراء الرفع من قيمة العملة أداء نفقاته بكل سهولة و من تخفيضها إدخال أكبر كمية من المعدن النفيس الى خزائنه. لكن في الحالة الأولى كان يتسبب في ارتفاع الأسعار وتذمر الدائنين، وفي الثانية كان يثير غضب المقرضين (11). في المقابل كان التجار يجدون أنفسهم رهائن قرارات المخزن. فكانوا يمارسون أنشطتهم تحت رحمة عدم استقرار صرف العملة. ما كان له الأثر السلبي البالغ على تجارتهم.

و الواقع أن اضطهاد المخزن للفئات المنتجة لم يقتصر على التجار بل امتد الى الفلاحين. فهو لم يكن يعفيهم من أداء ضرائب سنوات القحط بل كان يعتبرها دينا عليهم يتوجب عليهم دفعها في السنوات الخصبة. كما منعهم من تصدير أنتاجهم الفلاحي إلى البلاد الأوربية، الشيء الذي جعلهم يعزفون عن الإنتاج المكثف والاقتصار على اقتصاد الكفاف.

و اذا كنا لم نشهد ثورة فلاحين كما حدث في أوربا الغربية، فإنه يمكن القول أن المغرب في العصر الحديث عرف ثورة مدن بقيادة نخبها التجارية. فقد ظلت هذه المدن تتحمل في صبر ضغوط المخزن وابتزازه المستمر لها في انتظار الفرصة المواتية للتمرد عليه حالما تخف قبضته عليها. وهو ما نجده عند الثورات العنيفة التي قامت بها المدن ضد المخزن مباشرة بعد وفاة السلطان، حيث أَقْدَمَ سكان فاس و تطوان فور وفاة المولى إسماعيل على قتل قائدَيْهما.

يشرح الباحث محمد جادور هذا الوضع بكون سياسة

تاريخ المخزن وتمركز الثروة الجاهزة

المخزن سارت في اتجاه معاكس لطموحات النخب التجارية للمدن وأنها نظرت إليها فقط كمصدر تمويلي يمكن استغلاله عند الحاجة. و لهذا يمكننا أن نفهم لماذا كانت تنمو ثروة التجار عند ضعف المخزن والعكس صحيح. حيث نجد أن عددا من المدن انتعشت ثروات تجارها مباشرة بعد وفاة أحمد المنصور والفوضى التي أعقبتها. لكن بمجرد تولي المولى إسماعيل الحكم عادت أوضاع التجار إلى ما كانت عليه من حصار و تشديد خناق. لكنهم سيتنفسون الصعداء بعد وفاته خلال ما عرف بأزمة الثلاثين سنة.

و يبقى السؤال: هل كانت لسياسة المخزن الاقتصادية آثار ايجابية عليه؟ الجواب هو : لا، فرغم أنه اعتمد على مبدأ الاحتكار و الجبايات الثقيلة ومصادرة أموال التجار والسخرة وبيع رخص الاستغلال للأوربيين والتلاعب بقيمة العملة، إلا أنه مع ذلك لم ينجح أبدا في جعل دخله أكثر من خرجه. و رغم أنه حاول فك ضائقته المالية بالقيام بمبادرات إنتاجية لافتة كمبادرة احمد المنصور لزراعة قصب السكر وصناعته وتصديره وفتح السودان لجلب الذهب و العبيد السود لتشغيلهم في حقول قصب السكر كيد عاملة مجانية، إلا انه مع ذلك ظلت هذه المبادرات غير كافية لإنعاش الاقتصاد الوطني وجعل دخل خزينة الدولة أكثر من خرجها.

فالمخزن كان فاقدا للتفكير الاقتصادي السليم. فهو لم يراهن على الفئات المنتجة الوطنية من فلاحين وحرفيين والتجار الذين هم الأقدر على إنتاج الثروة. فالفلاحون بفلاحتهم ينتجون الفائض الداخلي والحرفيون بسلعهم ينتجون فائض القيمة والتجار بتجارتهم ينشطون المبادلات التجارية ويربطون الفائض الداخلي وفائض القيمة مع الأسواق الداخلية والخارجية و يزيدون من قوة العملة واستقرارها. كل هذا يخلق دورة إنتاجية نشطة تعود بالنفع على خزينة الدولة من خلال ضغط جبائي معقول تفرضه الدولة. لكن بسبب سلوك المخزن اللاعقلاني في مجال خلق الثروة، انكمش الاقتصاد المغربي وانطوى على ذاته ولم تنفع معه سياسة الاحتكار والمصادرة.

يمكن القول إن المخزن كان قصير النظر في سبل إنتاجه للثروة. لقد تعامل معها بمنطق الجاهز لا الاستثمار طويل الأمد . لذلك حتى المداخيل الضخمة التي كان يجنيها من جباياته الثقيلة واحتكاره وابتزازه للتجار سرعان ما كان يبددها في مشاريع كمالية تخدم حياة الترف البُلْهُنِيَة، ولا أثر إيجابي لها على النمو الاقتصادي، بل كانت مجرد هدر و تبذير للمال العام. كقيام أحمد المنصور الذهبي ببناء قصر البديع بمراكش والبنايات التي أنشأها المولى إسماعيل بمكناس، في حين أهملا العناية بالطرق والقناطر والموانئ وشبكة الري.

يصف المفكر محمد عابد الجابري هذا الوضع قائلا: "إن الثروة التي تتأسس فوقها البنيات الفوقية وضمنها الحضارة الاستهلاكية ليست ثروة إنتاجية قابلة للنمو. ليست نتيجة صراع مع الطبيعة ولا نتيجة استثمار أو استغلال لفئة اجتماعية من طرف أخرى، بل إنها ثروة ناتجة في الغالب الأعم عن الاستيلاء على الخيرات الجاهزة".

لذلك فإن ممارسات المخزن هاته حكمت على الاقتصاد المغربي بالركود و حرمته من قدرته على تحقيق التراكم، الذي بفضله تنمو الثروة الوطنية و يتطور معها المجتمع نحو الأفضل. لقد ظل هذا المجتمع بسبب كل ما سبق أسير مربعه الأول، غير قادر على تجاوز ذاته، فشاعت بين أفراده روح التواكل و العزوف عن العمل. و لهذا لاحظ كثير من الرحالة الأوربيين أنه بالرغم من خصوبة وشساعة السهول المغربية، إلا أن المغاربة كانوا لا يستغلونها و يفضلون عليها حياة التنقل بدلا الاستقرار بها و زراعتها. نجد في المقابل، أنظمة دول أوربا الغربية قد نجحت في تحقيق التراكم ومغادرة مربعها الأول من خلال الاعتناء بالفلاحة و ضمان استقرار العملة و التشغيل المكثف للرعايا والاهتمام بالصناعة والتجارة واحترام الفئات المنتجة وعلى رأسها التجار وضمان استقلاليتهم. و هو ما مكن من ضمان استقرار هذه الدول رغم معاناتها الدورية هي الأخرى من مشكل الجفاف. و لهذا لم يكن غريبا أن التيار الخاص بالفكر الاقتصادي الذي ساد في أوربا من القرن 15 إلى منتصف القرن 18 كان هو تيار "مدرسة التجاريين".

ختاما نقول أن المغاربة أبدعوا نظام حكم افترض فيه أن يكون صديقا لهم وملجأهم عند الأزمات، وهو ما كان في عهدي الدولة الموحدية و المرينية. لا نقول أنه كان نظاما مثاليا و لكن أمر تطويره و تجويده كان متروكا للأجيال اللاحقة منهم. فهو على الأقل في بداياته اهتم بمساعدة المغاربة على مواجهة مشكل الجفاف من خلال تخزين الطعام للسنوات العجاف كما أنه اهتم بتشييد المنشآت العامة من قنوات سقي وجسور ونواعير لتعويض الفلاحة البورية بالفلاحة المسقية، وحمى الفلاحين من شطط العمال و الأشياخ. كما كان له جانبه الاجتماعي فشيد المارستانات لعلاج الفقراء واهتم برعاية الأيتام والمشردين. لكن هذا النظام بسقوط الدولة المرينية و مجيء السعديين عرف تحولات جذرية مست بنيته العميقة، فتحول إلى إقطاع آخر ينظر باستراتابة للفئات المنتجة وله فكرة محدودة عن طرق الحصول على الثروة ممثلة في الاستيلاء على الخيرات الجاهزة دون إتعاب الفكر في كيفية إنتاجها بشكل اقتصادي سليم.

كان هذا جردا سريعا لرواسب السلوك الاقتصادي المخزني في العصر الحديث. صحيح انه لا يمارس بشكل مطابق في عصرنا من طرف المخزن الحالي الذي، يمكن القول أنه يحافظ على استقرار العملة ويهتم بتشييد البنيات التحتية لكن مع ذلك فإن هذه الرواسب مازالت لها القدرة على أن تطفو على السطح و تعكر صفو علاقته بالمغاربة. لذلك فكلما تحرر المخزن الحالي من رواسبه القديمة كلما كان ذلك أفضل له و لنا جميعا، حتى نحقق التراكم لأول مرة في تاريخنا، و نغادر مربعنا الأول و نتقدم إلى الأمام. ألم يحذر الملك الراحل الحسن الثاني في نهاية عهده من خطر السكتة القلبية ؟!

ملحوظة: سيتم نشر هوامش المقالة في النسخة الالكترونية www.attarik.net

◆ **يوسف رزين**

طريق التنوير

الثَّرْوَةَ مِنْ الْمَفْهُومِ إِلَى الْمُطّلِب السِّياسِيّ

◆ ذ. رشيد العلوي

عَدِيدَة هِي الْأَسْئِلَة الْفَلْسَفِيَّة الَّتي يَطْرَحُها مَفْهُوم الثَّرْوَة، وَقَدْ لَا يَهُمُّنَا كَثِيرًا تَنَاوُلُهَا بالدقة اللَّازِمَة، وَإِذَا كَانَتْ الْأَسْئِلَة الْفَلْسَفِيَّة مُتَعَدِّدَة فَإِنْ السُّؤَال السِّياسِيّ يَظَلّ وَاحِدًا عَلَى الْأَقَلِّ فِي التَّقْلِيدِ اليساري: كَيْفَ يُمْكِنُ تَحْقِيقُ التَّوْزِيع الْعَادِل للثروات؟

لَا يَنْفَصِلُ هَذَا الْمَطْلَبُ عَنْ مُطَلَّبِ تَحْقِيق الْعَدَالَة الاجْتِمَاعِيَّة وَمَحْو اللامساواة الاجْتِمَاعِيَّة والاقتصادية، أَوْ عَنْ مُطَلَّبِ الدِّيمُقْرَاطِيَّة الْفِعْلِيَّة.

سأطرح سُؤَالًا بَسِيطًا وَلَكِنَّه عَمِيق يُعَبِّرُ عَنْ حِيرَةَ الْيَسَار الْيَوْم : كَمْ كَانَ يُسَاوِي النَّاتِج الوَطَنِيّ الْمَغْرِبِيُّ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنَ عَشَرَ أَوْ قَبْلَهُ فِي الْعَصْرِ المريني أو الموحدي، وَهَل تَطَوَّر أَم أَنَّهُ قَدْ تَقَلَّص؟

لَا أَحَدَ مِنْ الْمُؤَرِّخِين والاقتصاديين أَو عُلَمَاء الاجْتِمَاعِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِيبَ. والأكيد أَن عَائِدَ الثَّرْوَة الشَّارِع وَفِي الْمَقْهَى وَعَلَى الْقَنَوَات السَّمْعِيَّة الْبَصَرِيَّة وشبكات التَّوَاصُل الاجْتِمَاعِيّ... فالعديد مِن النَّظَرِيَّات الَّتِي تَبَلْوَرَت فِي الِاقْتِصَادِ السِّياسِيّ قَدْ تَغَيَّرَ مَجْرَاهَا مَعَ التَّقَدُّم التكنولوجي الَّذِي يُوَفِّر لَنَا الْيَوْمَ، أَكْثَرَ مِمَّا مَضَى، بَيَانَات غَيْر حَصْرِيَّة، وَلَكِنَّهَا، تُعْطِي مِفْتَاح تَلَمَّس حَجْم الْمُشْكِلَة الَّتي يَطْرَحُها مَبْدَأ التراكم اللانهائي للثروة -كَمَا صَاغَهُ مَارْكِس- بَدَل مَفْهُوم الاكتظاظ السكاني عِنْد مالتوس أَو النَّدْرَة التموينية عَن رِيكارْدُو.

كَانَ هَمَّ كَارْل مَارْكِس هُو، فَهْم الْقُوَى الْمُحَرِّكَة للرأسمالية الصِّنَاعِيَّة وَمَنْطِقُ تَرَاكُم الرأسمال الْمَالِيّ، انْطِلَاقًا مِنْ مَبْدَإِ التراكم اللانهائي: الْمَيْل اللانهائي لتراكم الرأسمال وتركزه فِي عَدَدٍ أَقَلَّ مِنْ الْأَيْدِي، فِي غِيَابِ أَيْ حُدُودٌ طَبِيعِيَّةٌ لِعَمَلِيَّة التراكم، هَذَا هُوَ أَسَاس تَوَقُّع مَارْكِس النبوئي بِنِهَايَة الرَّأسمَالِيَّة: إِمَّا أَنْ يَتَقَلَّص مَعْدَل الْعَائِدِ عَلَى رَأْسِ الْمَالِ بِشَكْل مُتَوَاصِلٌ، وبالتالي، يُقْتَل مُحَرِّكُ التراكم وَيُؤَدِّي إِلَى صِرَاعٍ عَنِيف بَيْنَ الرأسماليين، أَو سيزيد مِنْ نَصِيبِ رَأْسِ الْمَالِ مِنْ الدَّخَلِ القَوْمِيّ بِلَا تَوَقُّفٍ، وَفِي كِلَا الْحَالَتَيْن، لَيْسَ هُنَاكَ تَوَازُن اِقْتِصَادِيٌّ أَو اجْتِمَاعِيٌّ مُمْكِنٌ مَادَام الشَّرْخ مُتَوَاصِلًا بِسُرْعَة جنونية بَيْنَ الطَّبَقَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الْأَكْثَرَ تَفَاوُتًا فِي حُظُوظِ الْبَقَاء .

الْمَوْرُوثَة أَكْثَرَ مِنْ عَائِد الثَّرْوَة المتراكمة فِي سِنِّ الْعُمْر .

قَد تَجِد دِراسات عَن الْخَرَاج وضرائب الْمِيرَاثِ أَو الجرايات الَّتِي كَانَتْ تمنح لِمُوظفِي السُّلْطَان وَلَكِنَّك لَنْ تَجِدَ دِرَاسَة شَافِيه لمعضلة تَمَلُّك الثَّرْوَة أَو المنحى الْعَامّ لتراكمها، وَالَّذِي تَسَارَع فِي أَوَاخِرِ القَرْنِ العِشْرِينَ وبداية الْأَلْفِيَّة الثَّالِثَة، كَمَا لَا يُمْكِنُك أَنْ تَجِدَ الْيَوْم دِرَاسَة حَوْل حَجْم الثَّرْوَة الْخَاصَّة الْمَمْلُوكَة لِلْأَشْخَاص أَو العائلات مُقَابِل الثَّرْوَة العُمُومِيَّة وعَلَيْه تَبْقَى مَسْأَلَةُ الثَّرْوَة رَهِينَةٌ، بِأَيّ ثَرْوَة نمتلك؟ سَوَاءٌ كَانَتْ ثَرْوَة طَبِيعِيَّة أَو اجْتِمَاعِيَّة.

كَيْفَ يُمْكِنُ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ مُصْطَلَح الاسْتِعْباد وَمصطلح الإستِبْعَادِ أَنَّ يقودنا إِلَى فَهْمِ النِّقَاش حَوْل الثَّرْوَة واللامساواة الاجْتِمَاعِيَّة وانحياز الْعَدَالَة للأقوياء، بَدَل تَحْقِيق الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْمُسَاوَاة.

لَا يَخْتَلِفُ عَبِيْد القُرُونِ الوُسْطَى عَنْ عبيْدِ الْقَرْن الْوَاحِد وَالْعِشْرِين إِلَّا فِي الْكَيْفِيَّات، بِحَيْثُ إِنَّ الِاسْتِبْعَاد الاجْتِمَاعِيّ لملايين الْمُوَاطِنِين مِنْ دَائِرَةِ الإِنْتاج، بَل وَمِنْ دَائِرَةِ الْحَيَاة حَتَّى، ظَلَّ هُوَ السِّمَة الْغَالِبَة عَلَى ملايير النَّاس مُنْذُ نِهَايَةِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الْيَوْم، وستعمقه أَكْثَر، ليس التفاوتات الطبقية وَحْدَهَا، بَل التَّطَوُّر التكنولوجي وَالتَّحَكُّم الْكَبِير لشركات مَعْدُودَة عَلَى مَوَارِد الْأَرْض ومنتجات الْإِنْسَانِيَّة.

لِمَفْهُوم الثَّرْوَة تَارِيخ لَا يَقِلُّ عَنْ تَارِيخِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي شَيْءٍ، فَهُوَ قَرِين بالتَّنْظِيم الْبَشَرِيّ وقرين بالْمُمَارَسَة السِّيَاسِيَّة، ولطالما ظَلَّ مُرْتَبِطاً بِالْعُنْف وبحروب التَّمَلُّك الَّتِي حَكَمَتْ تَارِيخًا مَدِيدًا، وَلَا تَزَالُ جَارِيَةٍ فِي سَبِيلِ تَدْبِيرِ شُؤُونِ النَّاس دَاخِلٌ الْحُدُود السيادية وَخَارِجِهَا.

تَوْزِيع الثَّرْوَة لَيْسَ موضوعا مقتصرا على الاقتصاديين وَالْمُؤَرِّخِين وَعُلَمَاء الِاجْتِمَاع وَالْفَلَاسِفَة بَل يهم الْجَمِيع: الْكُلّ يشعر وَيُلَاحِظ بِاسْتِمْرَار التَّفَاوُتُ بَيْنَ النَّاسِ، فِي الْحَيِّ وَفِي أَمَاكِن الْعَمَلِ وَفِي يَبْقَى السجال حَوْل التَّوْزِيع الْعَادِل للثروة عَقِيمًا، مَا لَمْ يَسْتَرْشِد بالمعطيات الاحصائية الْمَلْمُوسَة وَالَّتِي صَارَت مُتَوَفِّرَةٌ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتَ مَضَى، كَمَا تَبْقَى أَحْكَامُ الْقِيمَةُ هِيَ سَيِّدة الْمَوْقِف السِّياسِيّ الَّذِي يَسْعَى، رُبَّمَا، إِلَى تَدْبِيرِ الشَّأْن الْعَامّ دُونَ بِوَصْلَة نَظَرِيَّة ومعرفية قَادِرَةً عَلَى إِحْقَاق الحَقّ وَسِيَادَة الْعَدَالَة الاجْتِمَاعِيَّة: التَّوْزِيع الْعَادِل للثروات، حِفْظ كَرَامَة النَّاس، ضَمَان سَعَادَة أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ بِالقانون وَحِمايَتِها فِعْلِيًّا مِنْ أَيِّ بَطْش تسلطي، لِأَنَّ الْغَايَةَ مِنْ تَمْلُكُ الثَّرْوَة وَمِنْ وُجُودِهَا أَصْلًا هُوَ رَفْعُ كَيْنُونَة الْفَرْد إِلَى مُسْتَوَى الرفاه لِلْجَمِيعِ عَلَى قَدْرِ الْمُسْتَطَاع وَوِفق إِمْكَانَات الدَّخَل القَوْمِيّ.

مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ الثَّرْوَة الْفَرْدِيَّة؟ الثَّرْوَة العُمُومِيَّة هِيَ الْأَصْلُ وَالْمَنْبَع وَقَدْ تَمَّ تَخْصِيصُهَا أَو خوصصتها بِاللُّغَة السِّيَاسِيَّة والقانونية، فَلِمَاذَا تَنْمُو الثَّرْوَة الْخَاصَّة وتنكمش الثَّرْوَة العُمُومِيَّة؟

سُؤَال أَشْبَهُ بسُؤَال: لِمَاذَا تَقَدَّم الْغَيْر وتأخرنا نَحْن؟

لَا يُوجَدُ الْعَدْلِ فِي ذَاتِهِ إِلَّا كَمَفْهُوم مُتَعَال، لَا يَعْكِسُ بالضَّرُورَة حَقِيقَة الْعَدَالَة كَمَا هِيَ مَوْجُودَةٌ فِي الْوَاقِعِ الْمَلْمُوس، وبالتالي لَا تَتَحَقَّقُ الْمُسَاوَاةُ وَالْإِنْصَاف إِلَّا فِي ظِلِّ دولة تحْتَكِم لقوانين الْعَقْلِ فِي سَبِيلِ حُرِّيَّة الْأَفْرَاد والمجموعات الاجْتِمَاعِيَّة مَعًا، وَتَضَع كُلّ إِمْكَانَاتِها فِي سَبِيلِ رَفَاهَ الْجَمِيع لِأَنَّنَا نمتلك كُلّ الثَّرْوَة بِقَدْر الْمُسَاوَاة، وَهُوَ مَا لَيْسَ مُمْكِنًا إِلَّا بتوزيع عادل للثَّرْوَة.

مُشْكِلَةٌ إِعَادَة تَوْزِيع الثَّرْوَة يُطْرَح بِحَدَّة مُعْضِلَة طَبِيعَة السُّلْطَة أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ الِالْتِصَاق الْوَثِيق بَيْنَ السُّلْطَة وَالثَّرْوَة: فَلَا ثَرْوَة بِدُون سَلَّطَة وَلَا سَلَّطَة بِدُون ثَرْوَة. يَصْعُب تَفْكِيكُ الْجَدَل بَيْنَ الدَّائِرَتَيْن وَلَكِن سَيَظَلّ محْوَر الصِّرَاع السِّياسِيّ لِأَمَد طَوِيلٍ مَا لَمْ تَتَمَكَّنْ قِوَى التَّغْيِير الْفِعْلِيَّةِ مِنْ فَكِّ هَذَا الِارْتِبَاطِ الَّذِي يُعَدُّ أَسَاسَ التَّسَلُّطِ.

موقف الحركة الاتحادية الأصيلة من غلاة "القومجية" وغلاة الأمازيغية

• يزيد البركة

تجددت الاتهامات مرة أخرى في مواقع التواصل الاجتماعي ضد العرب، وضد "القومجية" الصفة القدحية التي تفضلها عادة أصناف الإثنية، بمناسبة التطبيع الذي تم بين الإمارات و"إسرائيل"، وفي الحقيقة، فإن القضية الفلسطينية سواء تم الغدر بها أو انتصرت في معارك جزئية، تجر دائما وراءها الاتهامات من أوساط الإثنية في تناغم مع الصهيونية أساسا، وأبواق الإمبريالية، واليوم تتحرك في تناغم معها الأبواق الإعلامية الرجعية العربية.

• يزيد البركة

1 - شتان بين الأمس واليوم

نحن نعرف أن الصهيونية كانت مع الاستعمار منذ نشأتها وطوال مسيرتها، في موجته الأولى والثانية وفي مرحلة الامبريالية وبناء الرأسمال المالي الضخم والشركات العابرة للقارات، ومن أخطاء منظمة التحرير الفلسطينية أنها وافقت في جنوب إفريقيا على حذف صفة العنصرية عنها، لأنها بقت كذلك، ولم تتغير، ولو تلونت في تحركاتها بألوان وأشكال مثلما يتلون السحرة.

حاليا وبمساعدة الإدارة الأمريكية، رأت إسرائيل في التحركات التي كانت تُدفع إليها دفعا من أمريكا بالتطبيع مع الرجعية العربية، هدفا استراتيجيا في غاية الأهمية، وكانت ترى في دفعها للتطبيع مع السادات ومن خَلَفَه، ومع الملك عبد الله، سما زعافا يجب أخذه وإلا غضبت أمريكا. ماذا تبدل؟ لا شيء، إلا أن اليمين الجديد في أمريكا التقى مع اليمين في إسرائيل على نظرة تقصر الزمن لتحقيق الأهداف المرسومة في استراتيجية هيمنة الصهيونية الانجليكانية على الشرق الأوسط، وأتيحت لهما فرصة ثمينة في تقلد حكام جدد في الشرق الأوسط من أبلد ما سبق في التاريخ السياسي للدول العربية.

ما مدلول اتفاق الطائف الذي أبرم في سنة 1989، والذي جاء بعد 15 سنة من الحرب في لبنان بين نفس القوى التي تتصارع فيه لحد الآن ؟ كانت الحرب تسمى وهما، حربا أهلية، لكن إسرائيل وأمريكا والرجعية العربية وفرنسا موجودة فيها بقوة، وفي الجهة المقابلة سوريا وإيران وجزء كبير من المقاومة الفلسطينية، الشيء الذي حصل هو أن تطور الحس الوطني المناهض للصهيونية والامبريالية والرجعية تنامى وتمدد في كل الدول العربية الشيء الذي خلق قلقا من المستقبل لدى دوائر الامبريالية، وهو حس عبارة عن استمرار لنضال الشهيد المهدي في مقاومة الصهيونية والامبريالية وفي نفس الوقت النضال من أجل الديمقراطية ومواجهة التحكم في الثروات الوطنية.

تحركت السعودية، وخلف الستار كانت أمريكا تحرك الخيوط، والكل كان يعرف هذا وجاء اتفاق الطائف ليؤجل الصراع إلى حين توفر شروط جديدة، بنفس الطريقة التي سمحت بها فرنسا باستقلال جزء من المغرب لفصله عن محيطه المغاربي وإجهاض تطور مقاومة الاستعمار. وما هو عليه الشعب اللبناني حاليا من غليان وطني وما عليه جزء منه المناهض لأي حس وطني، ما هو إلا نتيجة لإرهاصات سياسية وفكرية وقانونية لما جرى في الطائف وما تلاه من مؤامرات وما أحدثه من محو للدولة وبروز نزوعات ما وراء البحار.

استجاب حافظ الأسد لتحركات السعودية الذي لم يقطع مع الرجعية العربية وحقق مكاسب، وتنازل تنازلات كبيرة، ومن المكاسب: النص في الاتفاق على نزع سلاح المليشيات إلا حزب الله الذي يقاوم الاحتلال، وكذلك عدم جعل لبنان ممرا لمرور مخططات الإضرار بالأمن القومي لسوريا، ومن التنازلات/ الأخطاء الموافقة على تشكيل تحالف دولي ضد صدام حسين من السعودية ومصر وسوريا وفرنسا والولايات المتحدة. وكان صدام حسين في هذا التاريخ يؤلب ياسر عرفات ضد حافظ الأسد ويدعمه للعب ورقة الإخوان المسلمين وتدريبهم على حمل السلاح واستعماله في سوريا، ودفع بأبي الزعيم ليخلط كل الأوراق وسط المقاومة الفلسطينية.

مثل هذا الاتفاق الذي أراد به الطرفان التقاط الأنفاس، لتحضير شروط جديدة للصراع لا علاقة له بخلفيات التطبيع الجارية في السنوات الأخيرة، حيث كان القادة السابقون سواء أكانوا رجعيين أو وطنيين يتمتعون بحنكة وقدرة على فهم الصراع الدولي الجاري في المنطقة وفهم أهدافه، حاليا القادة الذين يركضون ركضا إلى التطبيع لا يتمتعون لا بالفهم ولا بالحنكة، لقد استسلموا لعقل الآخر لكي يرسم لهم المستقبل ويحدده لهم. في حين كان كل المبعوثين السابقين من أمثال كوشنير الحالي يترددون على القادة في الشرق الأوسط لتسويق البضاعة الفكرية لشرق أوسط جديد

محمد بن عبد الكريم الخطابي، أمازيغي حر، على عكس توجهات غلاة الأمازيغية المتصهينين.

ولا يفلحون: القادة الوطنيون يقولون لا والقادة الرجعيون كانوا يقولون نعم ولكن..

2 - التطبيع وغلاة الأمازيغية وما يسمى "القومجية"

جاء التطبيع الحالي في شروط سياسية وإيديولوجية واقتصادية جديدة، على خطوات التطبيع السابق، وإذا تجاوزنا أن مصر والأردن خاضتا حروبا مع "إسرائيل"، وتجاوزنا أنهما تفاوضتا وأخذتا وتنازلتا، ولو أن ميزان التنازل مال إلى التفريط، فإن التطبيع الحالي واللاحق من أجل "سلام" تقدمه الدول العربية ل"إسرائيل" يجري مع دول، لم تخض حربا أصلا، وهي لا تتفاوض التفاوض المتعارف عليه عالميا، بل تنفذ أوامر لشرط جديد ظهر في الساحة الدولية هو بروز متنمر سياسي، يحلو له أن يصدر الأوامر دوليا لتنفذ فورا، وترامب هذا يتنمر حتى على حلفاءه الأوروبيين ويتنمر داخل بلده ، ويتنمر حتى على شخصيات حزبه، وعلى طاقمه في السلطة، فأحرى الشخصيات العربية التي تحتقرها الأنجليكانية، وهذا الاحتقار عبر عنه ترامب عدة مرات.

التطبيع الحالي، مرحلة متقدمة في التنفيذ على السابق، يحضر بسرعة لتنفيذ التصور الاستراتيجي الأمريكي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وتحضير للخطوات المتقدمة في ربط ما كان يسمى العقل والتكنولوجيا الإسرائيليين بالثروات والمال العربي.

لم يخسر الشعب الفلسطيني، ولا مجموع اليسار في المنطقة أي شيء من هذا التطبيع، لأن هذه الدول كانت أصلا طابورا خامسا للامبريالية في الصف الواقف ضد الاستعمار وضد أطماعه، لكن هناك تياران سياسيان خسرا خسارة ليست هينة وهما أولا تيار الإسلام السياسي الذي يستمد قوته من دول الخليج، أما جزء التيار الذي تحتضنه تركيا فهي أصلا مطبعة من قديم وفي حلف الناتو وهو متجه بقوة إلى الحائط. الثاني هو تيار الإثنية والعصبية الذي يرى في "إسرائيل" نموذجا

دراسة

موقف الحركة الاتحادية الأصيلة من غلاة "القومجية" وغلاة الأمازيغية

• يزيد البركة

للديمقراطية وحليفا ضد "العرب" وضد ما يسميه "القومجية والعروبية" وهذه الخسارة تعتبر عاملا إيجابيا للطبقات الشعبية في المنطقة وبالتالي للشعب الفلسطيني ولليسار في عمومه. لماذا؟

لم تفلح قوى الاستعمار والرجعية في القضاء على حركة التحرر واليسار العالميين بالانقلابات والاغتيالات وغيرها من كل أنواع البطش، بل كان كل ذلك يزيد من صلابة وتجذر الحركة، لذا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وسقوط جدار برلين استعملت الامبريالية نفس الأسلوب الذي سبق أن استعملته ضد الاتحاد السوفياتي لخوض المعارك ضد اليسار العالمي وخاصة حركة التحرر في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وكانت الآليات القديمة: استعمال الكنيسة، بث التهم الملفقة، إنشاء مراكز بحث في عدد من الدول الأوروبية تدعي الاشتراكية وهي تحرفها، تمويل المنشقين ودعمهم، زرع الإثنية وبث القوميات المتعصبة.

كان اليسار في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مصدر قلق قديم للصهيونية والامبريالية، لأنه كان الممثل الوحيد للطبقات الشعبية في غياب بورجوازية صاعدة وفي ظل هيمنة الأنظمة على الدين وشؤونه. وكل من تابع تطور خطط المؤامرات ضد اليسار سيجد نوعا من التناغم بين الأنظمة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، سواء في العمل على تحضير ما سمي بالصحوة الإسلامية أو في دعم الإثنية والقبلية والتعصب المذهبي.

كل الدول في المنطقة سارعت إلى دعم مخطط الدول الكبرى في إطلاق دينامية الدين بحلته الجديدة "الإسلام السياسي" وسط الجماهير من المسجد وفي الجامعة والمدارس إلا صدام حسين والقذافي، وكلهم تنافسوا في من يستطيع أن يرضي الجهات المقررة في الغرب. بدأ الأمر بالشحن ثم اغتيالات المفكرين السياسيين المنتمين لليسار ولم يفلح ذلك في جلب تعاطف الجماهير فما كان من بد غير السماح بنوع من الانتقاد للدولة إلى جانب انتقاد المجتمع الذي كان سائدا من البداية، وحتى عندما ظهرت جماعات تدعو إلى العنف انفضح أمرها بأنها مسيرة من الجهات المقررة لها عندما وجه العنف ضد المجتمع وليس للأنظمة، وكم من مقهى وسوق ودور تفجرت.

لكن على العموم تمكنت الامبريالية من شق جسم الطبقات الشعبية بالإسلام السياسي، وفي الغرب توجه العنف إلى الكنائس ومعابد اليهود لشحن صراع الديانات، وللمحلات التجارية وضد الأفراد المدنيين. في فترة أوباما خطا الإسلام السياسي خطوة جديدة غيرت تكتيكيا من خطابه لينتقد الحكم والسلطة ويتبنى صندوق الانتخابات ولو أنه لم يتبن الديمقراطية كما هي متعارف عليها فقد أسند الصندوق ببعض الشعارات المعبر عنها في أوساط الجماهير مثل مواجهة الفساد جعلت له قدما في الساحة لاستقطاب آمال جزء من جماهير الطبقات الشعبية، وكان هذا التيار قد سبق له، بمساعدة السلطات في كل دول المنطقة أن أغلق كل الروافد التقليدية لليسار في وسط جماهير الطبقات الشعبية وفي مقدمتها الجامعة والمدرسة. فيما يخص الطبقة العاملة فرغم أن الإسلام السياسي، لم يستطع أن يبرز قيادات عمالية ورؤية منسجمة للعمل النقابي والعمالي فقد استطاع أن يغزو أوساط العمال من خلال المسجد، أما في شمال إفريقيا فقد انضاف عامل الزوايا.

كان للإثنية أيضا دور في المخطط وأعني بها التيارات التي تبني فكرها السياسي والثقافي على التمييز العرقي، حيث يدفعها هذا التمييز إلى أن تصبح قطع غيار لاستراتيجية الصهيونية والامبريالية في المنطقة. وقد تغنت هذه الأوساط بإسرائيل وبالويل والثبور ضد العرب باستقواء بها، إلى درجة أن هذه

الأوساط توحي بالنية في تأسيس"الهاجانا" والبدء في طرد ما تسميه بالعرب من شمال إفريقيا، ولعمري فإن الحمق السياسي في أي مجتمع لا يجب أن يؤخذ كأنه حمق فردي، بل هو حمق لا يمكن تصور مخاطره إلا إذا خرج من القمقم إلى الواقع، لا سيما إذا استطاعت الأيادي الخارجية أن تلعب ورقته وسط أي مجتمع.

بدأت الأمازيغية بمطالب لغوية وثقافية، وفي خضم الشروط السياسية والإيديولوجية الدولية بدأت تظهر تصورات مغالية عنصرية لا تنظر للشعب في كل دولة إلا من منظار العرق والأصل التاريخي، إلى جانب من ينادي بالحقوق اللغوية والثقافية في إطار الشعب وبعيدا عن التمييز العرقي، اليسار في المنطقة وقف إلى جانب هؤلاء الأخيرين، ولكن مع ذلك هناك ضبابية في التعامل مع الموضوع سواء من طرف اليسار أو من طرف الديمقراطيين الأمازيغيين الذين لا يتجاوزون الوطن ولا الشعب، مع ذلك هناك وسط شعوب المنطقة في شمال إفريقيا وخاصة الشباب حالة من الحيرة والتذبذب حول الموضوع، ومن شأن التطبيع الحالي مع الرجعية العربية، أن يبين لهؤلاء الشباب أن ما يسمى لدى غلاة الأمازيغية ب "القومجية" أو العروبية لا يوجدان في قاموس الصهيونية أو لدى الامبريالية بل لا ترى عدوا لها إلا من يمثل الآمال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية لشعوب الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وضد الاستعمار والهيمنة. إذن فمن مهام اليسار أولا الحسم مع هذا الخلط والغموض وثانيا من مهام الديمقراطيين الذين يحملون المطالب اللغوية والثقافية، وثالثا من مهام أي فرد من أصل أمازيغي.

اليسار مع اللغة الأمازيغية ومع الثقافة الأمازيغية لأنهما ملك للشعب المغربي بأكمله وبالدستور نفسه، وكما يقال عادة جعل اللغة رسمية لأن هناك من يتقاضى في المحاكم أو يتقدم للإدارات ولا يعرف لا الدارجة ولا العربية الكلاسيكية، نِعْم الهدف، لكن لا يمكن لليسار أن يسمح لهذا التيار أن يضع نيرا إيديولوجيا على عنق هذا الفرد ليقف أمام القاضي أو أي إدارة وهو بقفازات الملاكمة من موقع التمييز العرقي ضد ما يسميه غلاة الأمازيغية "العرب"، بل اليسار مع أن يقف بلغة الأمازيغية كمواطن مغربي يطالب بحقوقه التي تم هضمها.

الأصوليتان معا، الإسلام السياسي يقسم الشعب تقسيما دينيا تمييزيا بطرف مؤمن وطرف كافر، وأكثر من هذا يتخطى الوطن، وغلاة الأمازيغية يقسمون أيضا الشعب تقسيما عرقيا إلى أمازيغ ودخلاء بل واستعماريين، وتتخطى هي أيضا الوطن إلى كل الأوطان المتاخمة للصحراء الكبرى، ورغم اختلاف الحمولة الثقافية والتاريخية فهما معا وجهان لعملة رجعية واحدة تلعب بها الامبريالية لتأبيد سيطرتها واستغلالها لخيرات الشعوب.

3 - الشهيدان : المهدي وعمر والحركة الاتحادية الأصيلة

قيل عن الشهيد المهدي في بعض المواقع الالكترونية أن المهدي "قومجي" عروبي وكلمة "القومجي" كلمة يراد بها التنقيص من قيمة القومية، وهذه التهمة توجه لليسار وأساسا لحزب الطليعة وللمهدي بنبركة وعمر بنجلون أيضا، أوردتها بذلك المعنى قصدا كما يحلو لأصحاب الهجاء أن يقصدوه لأزن وأقيم هذا التنقيص، وفي نفس الوقت أتناول القومية بموضوعية بعيدا عن تلك النزعة التحقيرية، وبعيدا في نفس الوقت عن النزعة التقديسية.

بعيدا عن الهجاء بسوء نية لأن أصحابه مأمورون، فإن عددا من الشباب في المواقع الالكترونية غير ملمين بالفكر الاشتراكي حتى يفهموا نظرة اليسار للقومية، وبالتالي كيف يتعامل معها كيفما كانت، وهي قوميات ذات مضامين وأشكال كثيرة، وحتى داخل كل قومية لا توجد وحدة مطلقة. القومية الألمانية الصاعدة مع هتلر قومية عدوانية استعمارية وعنصرية، ولا يمكن أن نحشر داخلها الاشتراكيين الألمان، ونفس الأمر بالنسبة للقومية الإيطالية مع موسيليني، وحتى روسيا أيام القيصر هي قومية استعمارية لعدة قوميات وشعوب، وهكذا..وفي مصر وسوريا والعراق.. لا يمكن حشر الاشتراكيين في تصورات الأحزاب الحاكمة.

كيف كانت القومية والتوجهات السياسية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد الحربين العالميتين؟

كانت هناك ثلاثة توجهات كبرى هي التي تطورت وقدمت تصورات وعملت على تنفيذها، وكلها ناتجة عن مقاومتها للتريك من جهة، وللاستعمار البريطاني والايطالي والفرنسي والاسباني من جهة أخرى :

- التوجه الأول وهو الأكبر، توجه إسلامي يرى ضرورة وحدة إسلامية مبنية على وحدة الدين أساسا ثم على وحدة اللغة في الدرجة الثانية، ويرفع شعار "أمة إسلامية واحدة"، وكان في البداية يحاول الحصول من تركيا على إصلاحات فقط والبقاء ضمن الخلافة العثمانية، ويرى هذا التوجه أن قضية فلسطين قضية إسلامية ماعدا الوهابية في السعودية التي كانت تتجنب الحديث عنها وتتجاهلها وتتآمر في السر مع بريطانيا.
- التوجه الثاني ليبرالي مختلط ببعض الأوساط الاشتراكية وفي هذا التوجه تجمعت شخصيات مسيحية علمانية، وإسلامية متنورة إلى حد ما، ويرى هذا التوجه أن ضرورة الوحدة تفرضه اللغة أساسا ثم الدين في الدرجة الثانية، مع ضرورة الاستقلال عن الاستعمار، بعد عدة محاولات إصلاحية، وكان التوجه في قضية فلسطين يرى أنها قضية عربية.
- التوجه الثالث : الفكر الاشتراكي الذي جسدته

موقف الحركة الاتحادية الأصيلة من غلاة "القومجية" وغلاة الأمازيغية

• يزيد البركة

الأحزاب الشيوعية الأولى والأنوية الاشتراكية المختلفة، مع التأكيد أن تلاقي المغرب الكبير بالفكر الاشتراكي أقدم بكثير من تاريخ تأسيس الأحزاب الشيوعية المرتبطة بالحزب الشيوعي الفرنسي أو الاسباني. ويرى هذا التوجه أن واقع الاستعمار يفرض على كل شعب النضال من أجل الاستقلال في حركة تحررية منه، ولم يعلن عداءه لأي من الاتجاهين السابقين ويرى فيهما تعبيرا عن الشروط الموضوعية والذاتية القائمة آنذاك في المواجهة مع الاستعمار.

في شمال إفريقيا كانت كل تلك الاتجاهات موجودة وسط النخب، لكن أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ظهرت أحزاب تصف نفسها بالأحزاب الوطنية وتسمي حركتها بالحركة الوطنية تمييزا لها عن الأحزاب القومية التي كانت تتعدى التنظيم داخل كل شعب إلى إنشاء فروع له في كل المجتمعات، ولهذا هناك حزب قُطري بقيادة قُطرية، وحزب قومي بقيادة قومية في المركز. وهناك اختلافات كثيرة أساسية مثل الاختلاف في الأهداف وأولويتها أو ثانويتها، لا حاجة لذكرها، وسأشير إلى بعضها في الانتقال إلى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

كانت هناك اختلافات حول هذا الموضوع داخل حزب الاستقلال بعد الاستقلال الشكلي، وأول اختلاف أن المهدي وهو الذي أشرف على تأسيس جريدة العلم، ووضع لها ورقة حول الخط السياسي ضُمّت إلى الخط التحريري، وبذلك كان يشرف على التوجه السياسي، وكان يصر على استعمال "المغرب الكبير" وكان هناك رأيان آخران باستعمال "المغرب العربي" و "المغرب الإسلامي"، ومعلوم أن المهدي هو الذي أثر على عدد من الصحافيين في الطليعة المغربية باستعمال المغرب الكبير، ولما وقع الانفصال وجلب المهدي عددا من الصحافيين العاملين في العلم، مثل عابد الجابري ومحمد باهي.. إلى جريدة التحرير كانت هذه الجريدة تستعمل المغرب الكبير وبالمانشيت حتى.

لماذا؟ هل هو خلاف فقط حول التسمية أو أن الاختلاف أكبر من ذلك؟

كان ذلك بسبب الخلاف حول استراتيجية الثورة وما هي الأولويات في الأهداف وحول العلاقة مع الاستعمار والرجعية والصهيونية، كان حزب البعث بشقيه يرفع شعار الوحدة، الحرية، الاشتراكية، تحت يافطة استراتيجية هي " أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة". والاتحاد الوطني للقوات الشعبية وبعده في الاتحاد الاشتراكي وفي حزب الطليعة حصروا الثورة والتغيير في إطار الشعب المغربي بدون أن يعادوا لا العروبة ولا الدين، وبنوا استراتيجية تربط بين التحرير والديمقراطية والاشتراكية، ففي حين كانت الأحزاب القومية تفرض الشمولية وتنبذ التعددية ولا تركز على الديمقراطية وتؤخر الاشتراكية والحرية، كانت استراتيجية الحركة الاتحادية الأصيلة لا تنبذ التعددية، وتقلب الأولويات لتصبح الديمقراطية والاشتراكية في ترابط جدلي مع التحرير، ولا ينفصل عندها التحرير عن هذين العاملين، لذا عندما فرضت المواطنة نفسها كإحدى مبادئ الديمقراطية كان من السهل على حزب الطليعة أن يتبناها لأنها كانت سائدة في سلوك وفكر الحركة الاتحاديةالأصيلة، لأنها كانت دائما تعادي التمييز العرقي سواء داخل الشعب المغربي أو في علاقاتها بالأمم والشعوب. ولفهم نبذ التعددية والشمولية نجد أن المادة الثالثة من الدستور المصري كمثال فقط تنص على أن الوحدة هي التي "تقيم للاتحاد الاشتراكي العربي ليكون السلطة الممثلة للشعب والدافعة لإمكانيات الثورة والحارسة لقيم الديمقراطية السليمة". ونفس الأمر بالنسبة لسوريا والعراق بتعبيرات أكثر وضوحا. ويختلف المهدي مع توجه الأحزاب القومية حتى في استراتيجية الثورة الفلسطينية حيث كانت القيادات تتبع هذا الحزب القومي أو ذاك، واستطاع أن يقنع جمال عبد الناصر بضرورة السماح للشعب الفلسطيني بالقرار المستقل للشعب وبأن يحمل السلاح بقراره وحده، وفعلا تم الأمر وتخلى عن فرض الوصاية القومية ولكن البعض بشقيه ظل متمسكا بإلحاق الفلسطينيين بالقرار السوري والعراقي.

لكن المهدي ببعد نظره، وما دام هذا الاتجاه يناضل ضد الاستعمار والصهيونية ولو كان له أخذ ورد، وئام وصد مع الرجعية، في إطار الجامعة العربية وفي العلاقات الثنائية، حاول تلقيمه ومثاقفته بالأحزاب الشيوعية والثورية في العالم في إطار منظمة القارات الثلاث، التي أرادها المهدي أن تكون أداة للثورة ضد الامبريالية والصهيونية، لأن المهدي يعطي للتناقض الرئيسي على المستوى الدولي مع الامبريالية والصهيونية دروا مهما، لذا عمل على تجميع هذه القوى ضد هذا التناقض في حركة تحرر وليس حركة اشتراكية لأنه كان واعيا أن هناك من ليس اشتراكيا.والجامعة العربية ليست آلية للوحدة القومية كما يعرف أي عاقل، والمهدي من زمان يعرف أن أهداف الأحزاب القومية التي لها أولوية الوحدة المبنية على اللغة وأحيانا العرق لن تخلق آلية لها أبدا. كان الاتحاد الاشتراكي العربي الذي غير اسمه في 1961 يسمى الاتحاد القومي وهو تأسس في 1957، والمهدي عمل على أن يسمى الحزب في 1959بالوطني وليس القومي، ومعروف أن الاتحاد كان قد أطلقه على النقابة في 1955 وهي أيضا المغربي وليس القومي. وإذا عدنا إلى كتابات المهدي وخاصة الاختيار الثوري لا نجد فيه المصطلحات التي توجد لدى الأحزاب القومية، لا المبنية على العرق ولا على اللغة، وكان مشغولا من الناحية العملية والإستراتيجية بالتغيير في المغرب وفي المغرب الكبير وفي كل بلد من البلدان التي ترزح تحت الاستعمار أو تحت حكم الرجعية أو الديكتاتورية.ولفهم هذا البعد فإن الشهيد كانت له علاقات قوية مع كل الأحزاب الشيوعية العربية وقادتها ومنها على الخصوص صديقه هنري كوريل مؤسس الحزب الشيوعي المصري، الذي أسس منظمة يسارية في أوروبا، قدمت خدمات كبرى لكل حركات التحرر، وكان هنري هذا يلح على المهدي في الشهور الأخيرة قبل اختطافه واغتياله بأن يوفر له الحماية وأبلغه أنه يحس بالخطر يحدق به، وقد قبلها المهدي في جنيف ورفضها في باريس، وقال له لا استطيع ذلك لقد وعدني دوغول بنفسه بالحماية الشخصية في الأراضي الفرنسية، ولا أريد أن يشك في ثقتي بوعده. وما سهل ركوب المهدي لسيارة المختطفين الفرنسيين الذين قدموا أوراقا ثبوتية بأنهم أمن فرنسي أنه كان ينتظر لقاءا مع دوغول، وكان حلقة الوصل معه قد سافر قبل يومين في مهمة إلى السنغال.

الشهيد عمر ولكونه أصدر جريدة فلسطين اعتبره البعض عروبيا قوميا وهذا خطأ كبير، ويكفي الرجوع إلى محاضرات الشهيد في موضوع فلسطين وإلى افتتاحيات الجريدة وهي موجودة في المكتبة الوطنية للاطلاع عليها بحيث كان يصر مثل المهدي على أنها قضية استعمار لشعب يخوض حربا وطنية، وكتاباته الحزبية تدل على أنه مشغول بالتغيير في بلده وشعبه.

كنت قد قرأت كراسا مطبوعا، من تأليف إحدى القيادات الأمازيغية من الغلاة عدد فيه الشخصيات الأمازيغية، التي بزغ اسمها في السياسة والاقتصاد ويفتخر بها، ومن بين الأسماء التي ذكرها أوفقير وفعل ذلك نكاية بالشهيد المهدي وبحزبه وبتاريخه.

وللتاريخ فقد أُلحق أوفقير لما دخل إلى المغرب قادما من حروبه ضمن الجيش الفرنسي بمكتب الجنرال ديفال في 1950، مسؤولا على الوحدات العسكرية المغربية في الجيش الفرنسي المحتل للمغرب، وفي نفس الوقت تكلف بالاستعلامات في مكتب ديفال للتجسس على الوطنيين. في إحدى الأحداث التي جرت له مع المهدي بعد الاستقلال، أن أوفقير كان يتباهى بأوسمته بمناسبة حفل، لبس فيه زيه الرسمي أمام عدد من الشخصيات، وفي كل مرة يرمق المهدي، فأجاب هذا الأخير قائلا: "تلك خردة مرتزق لا يرضاها أي ضابط مغربي"، وقد أورد جيل بيرو هذه الحادثة وكذلك رد المهدي عليه، في كتابه "صديقنا الملك". هذا يؤكد أن ما يجعل الغلاة يسقطون فيه من تمجيد لمن يعادي الشعب المغربي ويعادي الطبقات الشعبية، هو عدم النظر إلى الواقع والتاريخ نظرة طبقية معبرة عن الصراع الواقعي، بل فقط انطلاقا من "أنا ضد الآخر"، وهذه النظرة تخفي عادة سلبيات "الأنا" وتركز على سلبيات الآخر، وترى أن كل من يقف ضد الآخر هو حليف للأنا وبذلك تسقط في تحالف مع الصهيونية ومع الاستعمار وأذنابه.

والأمثلة ليست مقتصرة على الحاضر بل حتى على الماضي. كيف يمكن لأمازيغي يدعي ارتباطه بتاريخ مقاومة الأمازيغ ضد الاستعمار، وبكفاحه من أجل الحرية، أن يجعل من القديس أوغسطين رمزا له ويفتخر به، وهو الذي كان مشرفا على فرقة عسكرية رومانية وقوة بوليسية للقضاء على أكبر ثورة اجتماعية في شمال إفريقيا هي الثانية عالميا بعد الثورة الاجتماعية في مصر القديمة، وكليهما دعتا إلى المساواة والأرض للفلاح. وكيف له أن يحذف القديس دونات والأساقفة الذين خلفوه بعد موته في السجن؟

لقد واجه أوغسطين الدوناتية وحلفاءها من الثوار بالقتل والحرق والتقديم للأسود في الساحات العمومية رجالا ونساء، ولم يكتف بالمواجهة الفكرية والدينية بل أصدر عدة أوامر دينية باستعمال كل أشكال العنف ضد الثوار. والدوناتية كانت مؤمنة بالتوحيد ضد التثليث وجمعت الأمازيغ والعبيد والمعمرين الرومان الفقراء الذين سلبت منهم الأراضي من طرف القادة العسكريين، واليهود وذوي الأصول الفينيقية، والبونيقيين، أي المولود من أصل أمازيغي وأصل فينيقي، والجنود من أعراق أخرى وفي مقدمتهم الصقالبة، في بوتقة ثورية موحدة هي بروفة أولية للشعب المغربي الحالي. لماذا تجاهل هذا المغالي كل هذا؟ وفضل التنويه بمن نكل بالأمازيغ، ذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأنجيليكانية تفتخران وتنوهان بأوغسطين وترفعه إلى سماء عالية، وتشوه دونات والحركة الدوناتية وكل الأساقفة الذين ناهضوا الرومان والكنيسة الرسمية وتعتبرهم مؤيدين للسرقة والخطف وقطع الطرق، في تشويه للتاريخ الأمازيغي، وبما أن الكنيستين تؤيدان غلاة الأمازيغية فإن هؤلاء لا يمكنهم إلا أن يعتبروا كل ما جاء من الحلفاء لذيذا ولو كان سما قاتلا.

تطبيع الإمارات ممارسة في العلن لما يمارس سريا

• أحمد كاعودي

ركوب الإمارات قطار التطبيع لم يكن مفاجأ للكثير ولا صادما، لقد تم الإعداد له منذ سنوات...؟.

في العلوم السياسية، مفهوم التطبيع يعني جعل العلاقة بين دولتين، أو بين دولة وحركة تحرر وطنية طبيعية؛ بعد حروب أو ونزاعات وذاك، بإقامة اتفاقية سلام بغية إنهاء ما كان بينهما من نزاعات. وجرت العادة في تاريخ الحروب أن توقع معاهدات السلام بين الأطراف المتحاربة، بعد انتصار أحدهما وانهزام آخر.

سياق الاستدراج للتطبيع

في عقل النظام العربي، معاهدة السلام مع إسرائيل تخرج عن هذه القاعدة،ونسوق هنا النموذج المصري، والأردني، وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ونماذج أخرى ستركب عربة القطار بعد ذلك، وحتى من تخلف منهم، كان في علاقة سرية، حيث منذ مدة طويلة وروابط هاته الأنظمة سمن على عسل مع الكيان الصهيوني منذ سنوات، كانت مسوغات الاستدراج إلى مائدة المفاوضات مع العدو الإسرائيلي تتأرجح بين:

1ـ الضغط الأمريكي وتخويف رؤوس الأنظمة من فقدان كراسيهم وعروشهم.

2ـ من موقع المنهزم والخائف من ادعاء "أقوى جيش في المنطقة.. الذي لا يقهر" حسب التوصيف العالمي العبري الموجه إعلاميا.

3ـ الاستقواء ب"إسرائيل" في مواجهة تسويق صورة خطر "البُعبُع" الإيراني.

وقد أكدت الوقائع على الأرض في العدوان على اليمن، فشل الرهان على الطيران ومنظومة باتريوت الأمريكيتين الصنع في التصدي لهجومات أنصار الحوثيين في العمق السعودي، فبالأحرى الرهان الخاسر على الجيش"الإسرائيلي" لهزم إيران ومحور الممانعة، وقد أكدت المقاومة اللبنانية والفلسطينية، عكس ما روجت له الآلة الإعلامية الصهيونية ومثيلتها الخليجية. ويبقى الاستثناء أو النادر سوريا ولبنان اللتان رفضتا قواعد اللعبة وكشفت مرامي التطبيع مع الإيديولوجية الصهيونية في محاولة قطع أوصال المقاومة، بشتى أنواعها : المسلحة، الإعلامية، الثقافية، الاقتصادية...

قطار التطبيع ومحطاته وملابساته التاريخية

منذ وفاة الراحل جمال عبد الناصر، وتسلم الرئيس أنور السادات مقاليد الحكم، دخلت المنطقة العربية عامة، ومصر خاصة مرحلة تاريخية مفصلية، بأن تم القطع من جهة مع السياسة الناصرية برمتها، ومن جهة أخرى تراجع دور مصر في محاولتها إرساء معادلة توازن الرعب مع العدو الإسرائيلي، بأن فتح أنور السادات وشرع الباب أمام مسلسل التطبيع مع العدو الإسرائيلي وهذا ما كان مطلوبا منه أمريكيا و"إسرائيليا"، مضاف إليه القطع مع التعاون المصري السوفياتي، حيث تتالت الهزائم حتى في منطق التفاوض ذاته.

أ - "معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية" أو" اتفاقية كامب ديفيد"

توجه السادة منفردا إلى توقيعها في 26/3/1979، منتهكا ومتحديا في ذاك قرار قمة الخرطوم بلاءتها الثلاثة : لا صلح، لا اعتراف، لا اتفاق، والتي سبق له أن شارك فيها كنائب لخلفه، المنعقدة بتاريخ 29/8/1967، كانت اتفاقية كامب ديفيد مجانية ومكاسبها من الجانب المصري، تكاد تكون صفرا، بحكم أن سيناء قد تم تحريرها في أكتوبر 1973 عبر ما سمى بمعركة العبور الأكبر، فالمستفيد الأول هو الكيان "الإسرائيلي" حيث أعاد رسم الحدود بما يناسبه (منطقة أ، ومنطقة ب، ومنطقة ج)، حيث انقسمت إلى منطقة منزوعة السلاح وهي المطلة على الأراضي المحتلة، منطقة تواجد الشرطة المصرية بسلاح خفيف، ومنطقة مطلة على الجانب المصري مسموح للسلاح والجنود التواجد فيها، من جهة ثانية فقد عملت اتفاقية التطبيع على استئصال واجتثاث مفهوم العداء للصهيونية و"إسرائيل" من النفوس الهشة للكثير من النخب الكمبرادورية والإقطاعية، فكان أن تم تحويل الصراع إلى صراع مع إيران وليبيا القذافي ومنظمة التحرير الفلسطينية.

تطبيع الإمارات ممارسة في العلن لما يمارس سريا

• أحمد كاعودي

ب - "معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية" أو "اتفاقية وادي عربة"

تم توقيعها في 26 /10/1994، وأهم ما ورد فيها حسب الموقعين عليها : أ- العيش في سلام بين الدولتين، ب- الاعتراف بسيادة كل منهما على أراضيه، واستقلاله السياسي، والامتناع عن التهديد بالقوة أو استعمال الأسلحة التقليدية ضد بعضهما البعض، ج- التعاون الأمني بين الدولتين، مما يعني التخابر وتبادل المعلومات عن المقاومة الفلسطينية أو الأردنية المنطلقة من الأراضي الأردنية. فبالرغم من الضجة الإعلامية الغربية والصهيونية التي هللت وطبلت لهذه المعاهدة مع أجهزة الكيان الصهيوني، فقد تم تقليص دور الوصاية الأردنية التاريخي على الوقف في القدس كالمسجد الأقصى وغيره، وتحويل المدينة كاملة عاصمة للكيان المغتصب بدعم أمريكي واضح، وتهديد الكيان الصهيوني بضم أغوار الأردن، ناهيك عن اختراق ضباط السفارة الإسرائيلية للسيادة الأردنية باعتقال مواطنين أردنيين وسياقاتهم إلى داخل الأراضي المحتلة. خلاصة الأمر أن اتفاقا مثل هذا في نظر الكثير من الباحثين بقي حبرا على ورق ولم يخدم المملكة في شيء. أضرها أكثر مما أفادها، وبقي حبرا على ورق، طالما أن الشعب الأردني غير راض عليه.

ج - معاهدة "أسلو" الممهدة لاتفاق مدريد

جرت فصوله الماراطونية بين 1993 - 1995، ووقعه في النهاية على الجانب الفلسطيني محمود عباس أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وعن الجانب الإسرائيلي "ثعلب الصهيونية" شمعون بيريز، وزير خارجيتها آنذاك، مما جاء في ديباجة الاتفاق: 1ـ التعايش السلمي بين الطرفين والكرامة والأمن المتبادلين، 2ـ الاعتراف بالحقوق الشرعية والسياسية المشتركة للطرفين، 3ـ تأسيس حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية للشعب الفلسطيني في الضفة وقطاع غزة، كفترة انتقالية لا تتجاوز خمس سنوات، والوصول إلى تسوية دائمة حسب قراري مجلس الأمن الدولي 242 383، -4 الاعتراف بدولة "إسرائيل" والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا وحيدا للشعب الفلسطيني، 5ـ الالتزام بعدم استخدام العنف أو الإرهاب.. مرت ما يقارب ثلاثة عقود على الاتفاق، ازدادت فيها المستوطنات أضعافَ أضعافِ ما كانت عليه قبل الاتفاق المشؤوم، ومن بين تداعياته الإجهاز على حياة رئيسها السابق ياسر عرفات، و إطلاق سيل من الاعتقالات للمواطنين من داخل ما تبقى من الأراضي الفلسطينية في الضفة، وكذا ضم الصهاينة القدس الشرقية إلى القدس الغربية، فكان المستفيد الأول من هذا الاتفاق هو الجانب الصهيوني، فيما يخص البند المتعلق بالتعاون الأمني بين الجانبين، والذي يلزم الجانب الفلسطيني بمنع المقاومة في الضفة الغربية حتى وإن كانت سلمية، ووفاء أجهزة السلطة بتسليم من تعتبرهم "إسرائيل" "إرهابيين" ونعتبرهم نحن مقاومين، وأمام العربدة الإسرائيلية وتنكرها لمجمل الاتفاقيات المبرمة مع السلطة الفلسطينية، طالب عدة مرة المجلس الوطني الفلسطيني من خلال الفصائل المناضلة بما فيها فتح بمراجعة الاتفاق وفك الارتباط الأمني بين السلطة الفلسطينية و "إسرائيل" لتجاوز المحتل بنود الاتفاق، وطالبت أيضا بالتراجع عن اتفاق أسلو طالما لم تعره "إسرائيل" أية أهمية وبقي روحا بدون جسد.

د- التطبيع الخليجي الصهيوني

لم يكن مفاجأ في يوم ما التطبيع الخليجي الصهيوني، فقد كان مفعوله تحت مسميات التعاون الاقتصادي والفني ومن تحت الطاولة وتحت العباءة الأمريكية، ما فاجأ المراقبين هو توقيت إعلان الإمارات عنه، حيث أنه وسط انشغال الرأي العام الإقليمي بكارثة المرفأ المنفجر ببيروت، وإشارة كثير من الأصابع إلى شبهة الدور الصهيوني في ذلك، وانشغال الشعوب والدول العربية بجائحة كورونا وتداعياتها على الجانب المعيشي، إنه فقط إشهار للخيانة كما يسميها بعض الإعلاميين، بعد سلسلة من تسخينات تطبيع دول التعاون الخليجي، لعل أبرزها :

ـ "ورشة المنامة للسلام من أجل الازدهار" في البحرين المنعقدة أواخر يونيو 2019، المؤتمر الذي كان عنوانه : "السلام من أجل الازدهار"، والذي كان وراءه "عراب التطبيع الخليجي" الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة، صاحب قولة : "حق إسرائيل في الوجود"، و تحت إشراف مهندسه نائب الرئيس الأمريكي وصهره "جاريد كوشنير" المعروف، بولائه لرئيس الوزراء الإسرائيلي، كان الحضور خليجيا بالإضافة إلى حضور ممثلي المغرب والأردن ومصر، وحسب التسريبات أن عددا من الدول العربية حضرت تحت تهديد الرئيس ترامب شخصيا. حسب تصريح "جاريد كوشنير" أثناء الجلسة الافتتاحية كان الهدف من المؤتمر "التنمية الاقتصادية في الأراضي الفلسطينية"، وتدخل في أفق حل النزاع الإسرائيلي ـ الفلسطيني، بتخصيص 50 مليار دولار أمريكي لمدة 10 سنوات. أولا لبناء ممر بين الضفة وقطاع غزة، ثانيا خلق فرص عمل للفلسطينيين، وللتذكير فالورشة قاطعها أصحاب الأرض، فولدت الخطة ميتة، وقد علق محمود عباس على الورشة بأن قال : "يريدون أن تتحول قضية الشعب الفلسطيني من قضية سياسية إلى قضية اقتصادية"، أي قضية هبات وصدقات كما أكد على ذلك رئيس الوزراء الفلسطيني.

ـ الحدث الثاني لا يقل أهمية عن التطبيع الأول، وهو زيارة رئيس الوزراء الكيان الصهيوني بوفد عالي المستوى لمسقط، وهي الزيارة الثانية بعد تلك التي تمت في 1996، الوفد الصهيوني زار مسقط في منتصف شهر أكتوبر 2018، وتم استقباله بحفاوة كبيرة من طرف الملك قابوس، وحسب الأخبار المتداولة آنذاك فالزيارة تم الترويج أن الهدف منها توسط السلطنة بين عباس ونتنياهو من أجل دفع عملية السلام إلى الأمام، لكن من الصعب قبول هذا التصريح لأن الكيان الصهيوني لا يعول على أحد غير الحليف الاستراتيجي الولايات المتحدة الأمريكية، فبالأحرى الاعتماد على ملك أو رئيس دولة عربية للتوسط. الزيارة أثارت جدال واسعا من طرف المراقبين واعتبرها نتنياهو بالتاريخية.

ـ الحلقة الأخرى الممهدة للتطبيع هي الاستقبال الذي حظيت به وزيرة الثقافة والرياضة "ميري رغيف" للعاصمة أبو ظبي بتاريخ 29/20/2018، وزيارتها لأكبر مسجد في الإمارات على هامش تظاهرة رياضية لم يتسرب شيء عن فحواها سوى فيديوهات زيارتها للمسجد وتصريحاتها لوسائل الإعلام العبيرية لكالم عام.

لا نغفل أن سلسلة من اللقاءات كانت تتم بين سفراء على هامش الأمم المتحدة بين إسرائيل والإمارات والسعودية، وهي التي مهدت للتسريع بالتطبيع وما كانت وتيرة التطبيع العلني لتتم بهذه السرعة لولا انشغال الشعوب في أزماتها وكوارثها الداخلية، وتراجع الدور الشعبي في تلجيم هذه الهرولة والتطبيع المجاني، وكذا الدور الذي لعبه انهيار "الأنظمة الشعبية" وانكماش دور القوى التقدمية وحركة التحرر العربية، وتوظيف ظاهرة التوحش الإرهابي لشغل الشارع العربي بخطورته.

لكن بالرغم من تردي الأوضاع على جميع المستويات، وتغول التحالف الصهيو ـ أمريكي الرجعي، فالرهان لا زال قائما على القوى الثورية وقوى المقاومة مدعمة بشرفاء هذا الوطن في المنطقة، لإسقاط مشاريع الاستعمار والتقسيم ونهب خيرات المنطقة، فإذا كان تطبيع معظم الأنظمة العربية مع الكيان الصهيوني حقيقة، فإن القضية الفلسطينية حقيقة متأصلة في الوجدان العربي، ولا يكمن لأي نظام كان أن يعزلها عن محيطها العربي والعالمي والإنساني، فثقتنا كاملة في المقاومة والعمل الثوري في تحرير فلسطين كل فلسطين.

التحولات الاقتصادية بين أزمة كورونا والأزمة الدورية للرأسمال

• سفيان جناتي

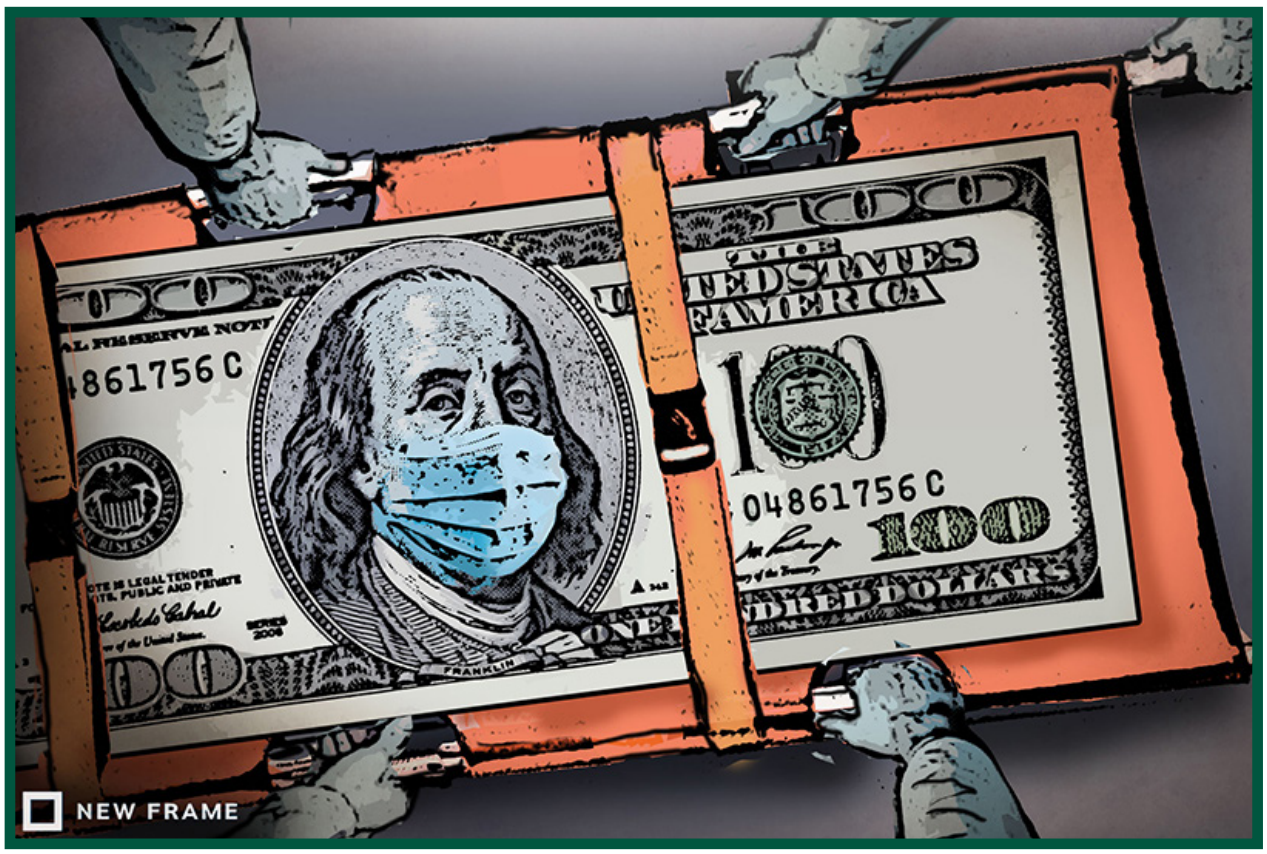

من المعلوم أن كارل ماركس قد عمل -في مختلف أبحاثه- على استثمار الفلسفة والعلم والتاريخ لفهم الاقتصاد الرأسمالي وطبيعته، مستغلا في ذلك -وبشكل خلاق- الأسس النظرية التي كان قد صاغها سابقوه، مخضعا إياها للنقد ومعيدا تطويرها. وما تزال العديد من الأفكار العلمية التي تحتويها كتب كارل ماركس قائمة إلى يومنا، ولها أهمية قصوى في فهم الواقع العياني، كما يمكن الاستناد إليها في فهم ما وصلت إليه الرأسمالية اليوم. وقد سعت الإيديولوجية "البرجوازية" ما في وسعها لدحض نظرية ماركس، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل. وفي المقابل حققت كتب ماركس عموما و "رأس المال" على وجه الخصوص إقبالا غير مسبوق بعد أزمة 2008 . لكن هذا لا يعني أن (رأس المال) كان غائبا قبل هذا التاريخ، وإنما زاد الاهتمام به بشكل ملفت، وطالما وُجد البرجوازيون والعمال على حد سواء، يظل هذا الكتاب بالغ الأهمية في فهم النشاط الاقتصادي؛ فماركس يحدد الأزمة الدورية لنمط الإنتاج الرأسمالي ما بين ثمان و عشر سنوات، وهذه إشارة فقط من بين الإشارات العديدة التي تحتويها نظرية ماركس، والتي سنستند إليها في جوانب هذه المقال، فالغاية ـ هنا ـ ليست عرض أفكار ماركس بالقدر الذي يهم الاستناد إليها لتحديد خط التماس بين ما يدور في أفكارنا حول التطورات والتغيرات الاقتصادية التي شهدها العالم ـ خصوصا - في السنوات الأخيرة وبين مستقبل هذه التغيرات.

ومن بين الإشارات التي تتضمنها كتابات ماركس تلك التي تعنى بالسمات التي يتجه صوبها نمط الإنتاج الرأسمالي في القرن الحالي، ونقصد هنا؛ الهوة التي باتت متسعة بشكل كبير ومفضوح بين الأثرياء والفقراء، بين مالكي النقد ومالكي قوة العمل. وقد أدرك ماركس مبكرا أن الأزمات الاقتصادية ليست خطأ أو صدفة أو اختيارا، بل هي صفة ملازمة لهذا النمط؛ فأزمة الحربين الأولى والثانية قد أنتجت شكلا جديدا لإخضاع الشعوب، وجعلها تحت رحمة المركز الرأسمالي، وبما أن و.م.الأمريكية تفوق قوتها قوة باقي الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية 1945، فذلك كله عزز حظوظها في قيادة العالم بدءا من هذا التاريخ إلى حدود كتابة هذه الأسطر. لكن هذه السيطرة والهيمنة تنهار يوما بعد يوم كما سنبين ذلك في تفاصيل هذا المقال.

ففي سنة 1945 قامت و.م.الأمريكية بدعوة ما يقارب 44 دولة لإعطائهم مُهلة للتفكير، ابتداء من فاتح شهر يونيو إلى 22 من نفس الشهر، حول العديد من القضايا الاقتصادية والسياسية.

المستوى الاقتصادي: رفع النظام الرأسمالي العديد من الشعارات والأدوات الجديدة في هذا المجال؛ نظام نقدي جديد، سياسات نقدية جديدة، تحديث أسعار الصرف في العالم، والاتفاقية العامة للتعريفة الجمركية؛ وفي هذا المؤتمرسيتأسس المثلث الاقتصادي القاتل للشعوب (البنك الدولي، صندوق النقد الدولي، المنظمة العالمية للتجارة). وبدورهم سارعوا نحو رفع شعارات من قبيل: العمل على المناخ والأمن الغذائي والتعليم والصحة والزراعة والتموين والتجارة الخ...، لقد كان هذا الثالوث قبل تمظهره في قوالب جديدة يعرف ب "البنك الدولي للإنشاء والتعمير"، وكانت أول أعماله تعمير أوروبا بعد الحربين؛ لكن منذ هذا التاريخ أصبح يلعب دور منقذ الشعوب، ظلما وبهتانا، وأصبح مرحبا به لدى أغلب الأنظمة السياسية خصوصا في "المنطقة"، باستثناء النظام البعثي في العراق. وأمام هذا الترحيب، وضع البنك شروطا زجرية في جل تعاملاته، ك"قروض المقايضة" مثلا والتي تفرض على المَدين التعامل مع الشركات الدولية التي يحددها البنك بوصفه مانح القرض، وقد وضع البنك الدولي عدة شروط إجبارية ينبغي أن تتوفر في المُقرَض حتى يتسلم القرض، وفي مقدمتها: بيع مؤسسات القطاع العام؛ كالتعليم والصحة، وفي هذا السياق نذكر على سبيل المثال تصريح الحكومة المغربية بتاريخ 30 ابريل 2019 حول تفويت قطاع الطاقة إلى الخصخصة.

ونذكر في هذا الإطار، كذلك، حدثين بارزين:

- 1971 فك النظام المالي ارتباطه بالذهب.
- 1976 المصادقة على ربط الدولار بالبترول في مؤتمر جمايكا.

وعلى أنقاض هذين الحدثين ستتشكل العديد من الظواهر التي ساهمت في تطوير نمط الإنتاج الرأسمالي، وفي هذا الصدد نحيل على كتاب "القاتل الاقتصادي للأمم" لجون بركينز؛ الذي يَعُجُ بالمعلومات والمعطيات التي تُظهر جليا وقاحة النظام الدولي الذي يخفي في طياته الجشع والاستغلال اللامحدود لمقدرة الشعوب، عبر إنهاكها بالديون، ورهن ثرواتها وخيراتها في خزائن المركز الامبريالي؛ فتحويل الثورة المنتجة من القوة العاملة وطنيا يزيد من تفقير شعوبنا وتدمير أي محاولة للنهوض (العراق، سوريا، ليبيا، اليمن ...) وإفقاد الدول سيادتها الوطنية وكذا تدمير الحدود القومية بما يخدم الرأسمال العالمي.

نعتقد أن توطئة كهذه مهمة جدا في سياق الحديث عن النتائج التي أوصلتنا إليها الرأسمالية بمظاهرها النيوليبرالية منذ الحربين إلى اليوم، وكذا نسوقها هنا؛ حتى يسهل الحديث عن التحولات التي تقع اليوم، وعن الأزمة التي أصبحت واضحة للعيان خاصة مع تفشي فيروس"كورونا" التاجي. على هذا الأساس ووفقا لفهم ماركس وتحليلاته كان من المفترض أن تنشب الأزمة أو الركود في أواخر 2018/ 2019 بعد الانهيار المالي الذي حدث سنة 2008، والتي دفعت البرجوازية العالمية إلى ابتكار حلول عديدة ومتنوعة، لكنها ظلت، في نهاية المطاف، حلولا ترقيعية، عجزت من خلالها البرجوازيات عن إيجاد إجابة جدرية للركود المستمر إلى اليوم. وكل هذا في الحقيقة يبطل جُل التصريحات المزعومة والكذب المعلن من طرف كل منظري الاقتصاد ومثقفي البنك الدولي؛ إذ يحاول العديد من هؤلاء"إخفاء الشمس بالغربال" في ظل المعاناة العميقة للشعوب، وظروفها الحالكة، وفي سياق اتساع رقعة مناهضي الإمبريالية والمطالبين بالقصاص من أفعالها الشنيعة، يظهر للواجهة أشباه المثقفين ومهرجي الإعلام الرسمي وبعض الشياطين أصحاب المليارات ليطالبوا بتقليص حدة الفقر بدون خجل.

لقد اضطرت "تيريزا ماي" في بريطانيا إلى الدفاع عن السوق وعن الرأسمالية بكل وقاحة، والإثناءعلى "السوق الحرة" بوصفها عاملا أساسيا للتقدم الاجتماعي، كما امتلأت المكتبات -في السنوات الأخيرة-بمؤلفات مرتزقة الرأسمالية من أمثال: "ألان لي ستفن فنكر" وكتاب "حقائق الأمور" لهانز روسلنغ، حيث شن هؤلاء وغيرهم حملة واسعة من التشهير للرأسمالية في محاولة منهم لإضفاء الملائكية على هذا الشيطان الجشع، إضافة إلى دور رموز المال والبورصة من أمثال "بيل جيست". فكل واحد من هؤلاء، السلطويين، وباختلاف تخصصاتهم سعوا إلى ذر الرماد في عيون العالم، وذلك من خلال إلباسه لباس العفة وإظهاره في صورة المتعافي من الأزمة، فقد قاموا بتوزيع نسخ مجانية لكتب "روسلينغ" وكذلك تقديم العديد من البرامج في هذا الاتجاه، فنجحوا من خلال ذلك في إقناع كل البلدان بأن العالم بعد 2008 بلغ مرحلة الخلود، وأن البرجوازية تخطت أزماتها ببراعة كموقع ساعة الفقر العالمي الذي يعمد إلى تقديم رسومات وإحصائيات مغلوطة من أجل نشر الوهم حول مسألة القضاء على الفقر. لكن هذا الوهم وهذا التجاوز

التحولات الاقتصادية بين أزمة كورونا والأزمة الدورية للرأسمال

• سفيان جناتي

المزعوم للأزمة، سرعان ما تهاوى أمام الوقائع العيانية للاقتصاد نفسه، فالإحصائيات المقدمة خلال السنوات الثلاث الأخيرة، تبين ـ قطعا ـ أن ماركس كان محقا حينما تنبأ باتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء، بحيث أن الليبرالية جعلت نصف ثروة العالم في يد حفنة من الرأسماليين لا تتجاوز نسبتهم واحدا بالمائة من سكان العالم. وهذا يبين حجم المهزلة التي وصلت إليها الرأسمالية، وقس عليها النصف المتبقي من الثروة.

إن كل طَرْقٍ لأبواب البنك الدولي من طرف الدول يخلف – بالضرورة - نتائجَ وخيمةٍ من فقرٍ وبطالة. ولا أدَلَّ على ذلك من البرازيل التي استنجدت ـ فترة الثمانينيات ـ بالبنك الدولي، ليتم بعد ذلك تسريح عدد هائل من عمالها، وتفويت قطاعاتها الحية إلى الخوصصة، كما تم إغراقها بالديون، ما شَرع الباب لدخولها في أزمة استمرت نحو 12 سنة، لم تخرج منها البرازيل إلا بعد أن سددت ديونها، فانطلقت بعد ذلك في عملية البناء، وقس على ذلك كل من الأرجنتين واليونان بوصفهما نموذجين قريبين. دون إغفال شعوب المنطقة العربية وعلى رأسها المغرب؛ إذ تعرف هذه المناطق ارتفاعا حادا في نسبة الفقر بحسب الإحصائيات، إذ ترى هذه الأخيرة أن نصف سكان العالم تقريبا يعانون من الفقر المدقع؛ أي في حدود 3.2 دولار كحد أقصى في اليوم، وبالنسبة للبلدان المتوسطة الدخل يبلغ 1.9 دولارا للفرد في اليوم.

أما عن أمريكا فبدورها تسجل نسبا في معدل الفقر قدرت ب13بالمائة من سكانها؛ أي ما يزيد عن 41 مليون من الساكنة تعيش على حافة الفقر، وأن 18 مليونا منهم يعيشون الفقر المدقع، من بينهم طفل واحد من أصل ثلاثة فقراء، وحسب نفس الإحصائيات فإن عدد المشردين بأمريكا قدر بنحو550 ألف نسمة دون مأوى (أغلبهم من ذوي البشرة السوداء).

وحسب تقرير الأمم المتحدة فإن هذه الأرقام في ازدياد مستمر خصوصا في عهد المهرج ترامب الذي يتجه نحو إلغاء شبكة الأمن التي تحمي ملايين الفقراء، في المقابل نجد في نفس التقرير دعوة إلى توفير حماية اجتماعية قوية للفقراء.

أما عن فرنسا فهي لا تقل عن سابقاتها؛ إذ يعيش ما يقارب ثلاثة ملايين طفل من أصل أزيد من تسعة ملايين نسمة تحت خط الفقر، وحسب إحدى الدراسات التي أجراها "معهد ابيسوس لدراسة الأسواق" بمعية "منظمة النجدة الشعبية الفرنسية" حول الفقر الغذائي في فرنسا والتي تم نشرها في أواخر 2018، فإن هناك ما يعادل فرنسيان من بين كل خمسة فرنسيين لا يمكنهم تحمل تكلفة ثلاث وجبات يوميا. ففي فرنسا يتم تحديد عتبة الفقر في أن يتقاضى المرء راتبا أدنى من 1180 يورو. لكن في 2015 كانت عتبة الفقر تحدد بمدخول يوازي 1015 يورو، حينها وصل عدد الذين يعانون الفقر إلى 14.2 بالمائة، وأن 81 بالمائة من الفرنسيين يعتبرون أن أبنائهم مهددون بخطر الفقر، وأن 59 في المائة من الفرنسيين يعتبرون أنهم عرفوا أو كادوا يعرفون الفقر، و65 بالمائة من أصحاب الدخل الضعيف، و21 بالمائة من الفرنسيين يصعب عليهم توفير غذاء صحي لثلاث وجبات يوميا.

وفي جارتها ألمانيا والتي تعتبر النموذج البارز داخل الاتحاد الأوروبي، فقد أعلن "المكتب الاتحادي للإحصاء" في منتصف 2019 بأن 19 بالمائة من الألمان يعيشون تحت خط الفقر أو مهددين بذلك، كما صرح المكتب بأن عدد المهددين بالفقر والإقصاء الاجتماعي في ألمانيا تخطى15.5 مليون شخص وهو ما يعادل 19 بالمائة من السكان. وقد صرح "الاتحاد الألماني لحماية الأطفال" (دب كيه ا سبي) بأن هناك نحو 4.4 مليون طفل يعانون من الفقر حاليا في ألمانيا بزيادة 1.4 مليون طفل عن السابق، والحال لا يختلف في الكثير من بلدان أوروبا كبريطانيا وإسبانيا وإيطاليا واليونان...والأعداد في ازدياد دائم.

وحسب المنظمة العالمية؛ فإن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا شهدت ارتفاعا ملحوظا في أعداد من يعيشون على أقل من 1.9 دولار للفرد، فاليمن وفلسطين وسوريا والعراق.... بلدان تم تشريدها وتصدير مقدراتها عن طريق المؤامرة الكونية خصوصا في سوريا وليبيا، وهذا ما عاينا في السنوات الأخيرة.

دون أن ننسى أن نذكر القارئ وننوهه بأن الأرقام المقدمة قد استقيناها من الإحصائيات الرسمية، وأن ما خفي كان أعظم. فالتلاعب بالأرقام والإحصائيات من خصائص الهيمنة الامبريالية، وهذا الأمر معروف منذ زمن بعيد. وفي هذا الصدد نشير إلى دراسة يقدمها أستاذ بجامعة لندن (جايسون هايكل) حيث يقدم فيها موجزا لانعدام المساواة العالمية وحلولها تاريخيا، وهو موجز للتلاعب بالإحصائيات، وفيه دلائل على بطلان ادعاءات كل من يحاول ذر الرماد في أعين الجماهير؛ لكن سرعان ما يتهاوى علميا وعلنيا كل هذا اللغط الذي تقدم به (بينكنز، و روسلينغ، وبيل جيتس)، وفي الوقت نفسه يتقارب كثيرا مع تنبؤات ماركس و(الكثير من الماركسيين) مما يجعل من القرن الواحد والعشرين مجبرا - ومنذ بدايته -على الترحيب بأفكار كارل ماركس، رغم السنوات الطويلة من التعتيم والطمس والتشويه، إلا أن دراساته وأفكاره كانت على الدوام حاضرة ولم تغب يوما، بل ويزداد الاهتمام بها مع كل الأزمات الدورية للاقتصاد الرأسمالي. بعد الأزمة المالية سنة 2008 ستظهر العديد من الإشكالات في المراكز الرأسمالية التي عاشت الرخاء على حساب مقدرات شعوبنا الإفريقية والعربية، فالاتحاد الأوروبي يعيش أوضاعا لم يسبق له أن عاشها من قبل، إذ أن الواقع الاقتصادي المتدهوريتجلى بشكل ساطع في حقله السياسي، وما تأزم الأحزاب السياسية التي كانت بالأمس القريب تسهر على تسيير اللعبة السياسية في أوروبا إلا دليل على الأزمة المذكورة أعلاه،

التحولات الاقتصادية بين أزمة كورونا والأزمة الدورية للرأسمال

• سفيان جناتي

فصعود الشعبويين أدى إلى التصويت لصالح خروج بريطانيا من الاتحاد، وهذا قد أوصل حزب المحافظين إلى حافة الموت، ما جعل"تريزا ماي" تقدم استقالتها فورا.

إن مجرد التفكير في سيناريو الخروج من الاتحاد هو بحد ذاته تعبير عن إفلاس كامل للنظام السياسي البريطاني. لكن أزمة أوروبا لا تقف عند هذا الحد؛ فألمانيا التي كانت - لزمن طويل - محركا فاعلا في الاقتصاد الأوروبي، أصبحت اليوم - وفي ظل قبضة الحزبين "الديمقراطي المسيحي" و"الاشتراكي الديمقراطي" - على أبواب الانهيار، وما تخلي "ميركل" عن منصبها في رئاسة الحزب إلا مظهر للاضطرابات الواقعة في البيت الألماني وما يصاحبها من صعود الحزب اليميني الجديد، بشكل يثير الانتباه.

أما فرنسا والتي تعتبر الوجه المفضوح للأزمة، فقد أسقطت معها المدافعين عن الوسطي الصغير (ماكرون) والذي كانت تعلق عليه آمال كبيرة في فرنسا وأوروبا لتخطي الأزمة. لكن كل ذلك يتبخر أمام موجات الصراع الطبقي. وما نضال أصحاب "السترات الصفراء" إلا جزء من هذه الموجات. ليفتضح زيف ماكرون ومن معه. أما الانقسام الذي يتبين للعموم والحاصل بين مركز أوروبا وشمالها؛ فما هو إلا مظهر للأزمة الوجودية التي استوطنت في قلب القارة العجوز. وقد كانت أزمة اللاجئين من أسباب تعميق هذا الانقسام وهذا التوتر الذي انعكس على ألمانيا وبولندا والمجر بدعم من اليمين النمساوي في مواجهة الاتحاد الأوروبي، هذا الأمرعزز أفكار (حزب نداء من أجل ألمانيا)، فهذه التعبيرات هي أشكال سطحية للأزمة والانشقاق الاقتصادي العميق بين شمال وجنوب أوروبا.

في اليونان (التجربة القريبة) فقد استعملت فيها البورجوازية الأوروبية جميع المحاولات لضخ أموال كبيرة في الاقتصاد اليوناني، ومع ذلك، وصل هذا الأخير لدرجة الصفر، وانهار بشكل درامي أمام أعين الجميع، وما إن اقترب الاتحاد الأوروبي من أن يستسيغ هذه الخسائر وهذا السقوط، حتى ظهرت في إيطاليا أزمة أخرى أكثر تعقيدا، إذ وصل العجز المتراكم إلى أزيد من 130 بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي. ورغم محاولات التحالف الحكومي للتملص من الشروط المفروضة عليه، فقد تم إجبارهم على دفع غرامات ضخمة واستسلام زعيم حركة الخمس (لويجي دي ماي) وكذلك زعيم رابطة الشمال (مني تو) فتعهدت إيطاليا على تخفيف عجز ميزانيتها من 2.4 إلى 2 بالمائة من الناتج الداخلي العام، وهذه الحلول ترقيعية لا غير. وما إن حل عام 2019 حتى بدا التوتر الفرنسي الايطالي ظاهرا، حيث عبر عن ذلك في كلمته (كونتي) الذي صرح بأن "حكومتنا تواجه كل الصعوبات للحفاظ على الاستقرار الاجتماعي في إيطاليا وأوروبا" وذلك بلغة شديدة اللهجة، وهو في الحقيقة تهديد صريح معناه؛ إما رفع الضغط عنا أو ستشهد المنطقة انفجارا اجتماعيا ستترتب عنه عواقب وخيمة على أوروبا كلها. ووفقا لكل هذا واستنادا إلى هذه النتائج التي خلفتها الامبريالية وصندوقها الدولي وقبل نهاية 2019 كان الكثير من الباحثين ودارسي الاقتصاد والمستقبليات يتنبئون بأزمة عميقة قد تتجاوز الأزمة المالية ل 2008، والتي ما يزال ركودها قائما إلى اليوم، على الرغم من مجموعة من الإجراءات التدبيرية والاحترازية. فحسب بعض المعطيات الرسمية فإن 2020 كانت ستكون أسوأ سنة في الألفية الأخيرة، لكن ينبغي الانتباه إلى كوننا نتحدث قبل ظهور أي مؤشر لفيروس كورونا بغية توضيح أن الأزمة كانت قادمة وعلى الأبواب، وما ال"كورونا" سوى النقطة التي أفاضت الكأس وعجلت وسرعت وعمقت الأزمة.

لكل أزمة أثرها وتغيراتها وتحولاتها، وأول تحول واضح للعيان هو ظهور قوى جديدة تتمركز في أسيا بدل البيت العميق للرأسمال العالمي، لكن ظهور القوى الأسيوية لم يكن صدفة أو ظهر مع كورونا، بل هو نتيجة لسنوات طويلة من التخطيط الاستراتيجي والعمل الجاد الطامح إلى النهوض، وهذا ما تميزت به العديد من البلدان الأسيوية كسنغافورة والصين وإيران وكوريا وروسيا والهند واليابان. والحديث اليوم سينصب على الصين خصوصا لكونها المنافس الحقيقي للمركز الرأسمالي التاريخي. هنا يتبادر في أذهاننا السؤال التالي: هل تملك الصين قدرات ومؤهلات لإنجاز هذه المهمات التاريخية؟

إن الإجابة عن هذا السؤال ستكون في الغالب عبارة عن أرقام ومقارنات بين اقتصادها وبين الاقتصاد الذي يقود العالم ويحركه منذ الحرب العالمية (الاقتصاد الأمريكي ومنظومته) وهذه الأرقام والدراسات أغلبها من مصادرأمريكية، فالصعود الصيني كما هو معلوم يرعب أمريكا تاريخيا، خصوصا بعد 2002، وهذا مايفسر سبب الهجمة الشرسة التي يشنها ترامب ومن سبقه، فهؤلاء يعلمون تمام العلم أن الصين قادمة للريادة لا محال، ويقومون بأقصى ما لديهم لكبح وصول هذا اليوم، ما يجعل من تقهقر أمريكا وتراجعها، شأنها شأن باقي الدول، مسالة وقت ليس إلا.

تشير بعض الأطروحات والدراسات القديمة والجديدة ـ بوضوح - أن سنة 2020 بداية سقوط الهيمنة الأمريكية، أو على الأقل تقليص نفوذها العالمي. وهنا نستعرض للقارئ أهم التنبؤات التاريخية في هذا الاتجاه. أول تنبؤ يشير إليه العالم الأمريكي المستقبلي "الفين طوفلير" وهو كاتب ومفكر وعالم مختص في الدراسات المستقبلية، وكان له صيت طويل ومكانة مرموقة بين أقرانه. إذ تتلمذ على يديه العديد من الرموز والشخصيات السياسية (ميخائيل غورباتشوف، والرئيس الهندي أبو بكر زين العابدين، ورئيس ماليزيا محمد مهاتير.. وغيرهم)، كما شكلت أعماله نظرة خارج السرب، خصوصا حول الثورة الرقمية والتطور التكنولوجي، وركز في كتبه على التكنولوجية وتأثيرها على الإنسان.

ومن كتبه (صدمة المستقبل) الذي حقق نجاحا واسعا. وكان لكتاباته أهمية كبيرة في تشكيل فهم العديد من الأنظمة السياسية، وقد وصفته مؤسسة "اكسطور للاستشارات الإدارية" بأهم شخصية بين رواد الإدارة في أمريكا عبر التاريخ، ووصفته جريدة (فايناتشال البريطانية) بأنه أشهر عالم دراسات للمستقبل، وكذلك صحيفة الشعب الصينية بأنه من بين خمسين أجنبي ساهموا في صياغة الصين الحديثة. ومن أهم تنبؤاته هو الحدث الفارق في التاريخ سنة 1987. ففي كتابه "الموجة الثالثة" قدم طوفلير رؤيته حول سقوط الاتحاد السوفياتي من خلال تقديم العديد من الدلائل القائلة بذلك، وهذا ما تحقق بعد ثلاث سنوات من إصدار الكتاب. وفي نهاية الكتاب يخلص إلى نتيجة بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستتفكك إلى ولايات مستقلة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ب 25 سنة على الأقل.

وفي سنة 2007 كلف "الكونكريس" الأمريكي فريقا من الاقتصاديين للإجابة عن سؤال": هل تشكل الصين تهديدا للاقتصاد الأمريكي؟". وقد جاء تقريره من 63 صفحة وفيه التأكيد على كون القلق الذي يعتري صناع القرار في أمريكا من صعود الصين كقوة عالمية عظمى هو قلق مشروع وأنه سيزداد حدة حينما تتجه الصين إلى صناعة وتصدير منتجات ذات قيمة عالية (الهواتف الذكية والسيارات....) وهذا ماشرعت فيه الصين

التحولات الاقتصادية بين أزمة كورونا والأزمة الدورية للرأسمال

• سفيان جناتي

رسميا بعد 2015 حينما كشف الرئيس الصيني عن مشروع "صنع في الصين 2025"، إضافة إلى هذا، جاء في هذا التقرير أن الصين ستتخطى أمريكا تجاريا في الوقت القريب وهذا ما تحقق سنة 2010، فحجم التجارة العالمية للصين يساوي 3.2 تريليون دولار وأمريكا 3.1 تريليون دولار أما سنة 2018 وما بعدها فقد تعمقت الهوة، إذ أصبح حجم التجارة الصينية 4.7 تريليون دولار وأمريكا 4.1 تريليون دولار، وركز هذا التقرير على الخطر الكبير الذي يهدد أمريكا إذا ما شرعت الصين في تصدير التكنولوجيا والأدوات التقنية بدل الألعاب والمنتجات العادية. وهذا في الحقيقة ما شرعت الصين في تطبيقه حينما صدمت العالم بمشروعها الكبير "صنع في الصين" أي التحول من إنتاج منتجات بسيطة إلى أشباه الموصلات، ويتم هذا في عشر قطاعات صناعية رئيسية:

1 تكنولوجيا المعلومات.
2علم الروبوتات.
3 الطاقة الخضراء.
4 صناعة الفضاء.
5 هندسة المحيطات والسفن ذات التقنية العالية.
6 صناعة السكك الحديدية.
7 صناعة الطاقة.
8 المواد الجديدة.
9 الطب والأجهزة الطبية.
10 الآلات الزراعية.

وتشير توقعات أخرى إلى أن 2030 هي السنة التي ستصبح فيها الصين أكبر اقتصاد عالمي (البنك الدولي).

يوهان غالتونغ عالم اجتماع نرويجي وعالم رياضيات ومؤسس لدراسات السلام والصراع، وهو من مواليد أوسلو النرويج 24 أكتوبر 1930 والمؤسس الرئيسي لمعهد بحوث السلام أوسلو سنة 1959، وشغل مديرا له حتى سنة 1970، كما يعود له الفضل في تأسيس مجلة بحوث السلام سنة 1964، ويعتبر أول بروفيسور في العالم يختص في دراسة السلام والصراع سنة 1969. وفي حوزته جائزة "ايريك" وجائزة "رايت" والدكتوراه الفكرية من جامعة لمبلوتشي 2017، وله أعمال ومساهمات معروفة في علم الاجتماع مثل "أخلاقيات غاندي السياسية" 1955،"نظرية البحث الاجتماعي"، "السلام والعنف والامبريالية"...وقام بنشر أكثر من 1000 مقالة وأزيد من 100 كتاب، وكانت له تنبؤات حول ضعف وانحسار دور الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عالمية، وهذا منذ سقوط الاتحاد السوفيتي. وفي سنة 2004 تم نشر مقال أثار الجدل في صفوف الجميع، حيث سرد فيه 14 تناقضا من شأنه إضعاف وإسقاط أمريكا. في البداية كان "غالتونغ" يعتقد أن الهيمنة الأمريكية لن تتخطى سنة 2025، لكن سرعان ما عاد ليقلص توقعه إلى سنة 2020، وذلك تزامنا مع فترة حكم "بوش الابن" وفقا لموقع "ماذربورد".

يرى غالتون أن تولي ترامب للرئاسة سيسرع من عملية الانهيار الأمريكي، وهي من أهم تنبؤاته الدقيقة على غرار الثورة الإيرانية عام 1978، ومظاهرة ساحة " تيانآن مين" في الصين عام 1989. وفي كتابه "سقوط الإمبراطورية الأمريكية" توقع صعود الخطاب الفاشي في أمريكا، وتقريبا كل تنبؤاته كانت تستند إلى نظرية الروسي (الكوكراكتيف) .

أما الدكتور وليد عبد الحي فيقدم عددا من المحاضرات الدسمة تم بثها على قناة "الفينق" الأردنية، بالإضافة إلى الكثير من المقالات والأبحاث في هذا الاتجاه، من بينها تنبؤات الدراسات المستقبلية حتى 2030 وهو يستند على نتائج بحوث 27 عالما من علماء العلاقات الدولية خلال 2018 و 2019 ونتائج بحوث العلوم التطبيقية، حيث اتضح له ـ من خلالها ـ أن هناك ثلاث اتجاهات حظيت بالتوافق بين أغلب العلماء، وسأكتفي هنا ب "الاتجاه الأول" ويتعلق الأمر بمكانة أمريكا حيث يقول إن هناك: "استمرار في تآكل المكانة الدولية للولايات المتحدة في إدارة العلاقات الدولية"، ويقدم أبرز المؤشرات على ذلك (ويمكنكم العودة إلى المقال لكونه غني بالمعطيات). ونكتفي بهذا القدر حول الدراسات التي تقدمت وتؤكد السقوط الوشيك لأمريكا، إلى جانب هذا وقبل نهاية 2019 أقر أغلب الاقتصاديين على أن 2020 ستكون هي الأسوأ في الألفية الأخيرة، وحتى صندوق النقد الدولي كان يؤكد على هذا الأمر. فالركود هو السمة الوحيدة التي عبرت عنها جل الأبحاث والإحصائيات، وهناك من رأى أن هذا الركود قد يصل إلى الكساد لمدة طويلة، وحسب إحصائيات "جوجل" فإن البحث عن كلمة الأزمة تضاعفت بخمس مرات عن 2018، وحسب مركز"بيو" لاستطلاعات الرأي في أمريكا فإن 50 بالمائة من الأمريكيين يعتقدون أن الأزمة ستضرب عام 2020، وأن 20 بالمائة منهم يحتاطون من الأمر، وقد قاموا بسحب كل أموالهم، واكتنزوها بعيدا عن البنوك، أما صندوق النقد الدولي فهو يحذر من أن العالم مقبل على ركود عميق، ويرى أن حوالي 90 بالمائة من اقتصاد دول العالم ستشهد تراجعات في النمو، ويتوقع أن ينمو ب 3 بالمائة، وهو أقل نسبة من بعد 2008. وهناك أسباب أخرى لها وزن كبير في هذا الركود الذي كان متوقعا قبل كورونا؛ فالحرب التجارية بين أمريكا والصين عامل أساسي له وزنه، فاقتصاد البلدين يمثل حوالي 40 بالمائة من الناتج العالمي، وأي تباطؤ في اقتصادهما سيجر العالم إلى الويلات، وخروج بريطانيا عامل مهم في تشكل هذه الأزمة؛ لأن اقتصادها يمثل حوالي 2.8 تريليون دولار مما سيكون له تأثير على كتلة الاتحاد الأوروبي، أما المديونية فهي مجرد بالونات قابلة للفرقعة في أي وقت. فالعالم مديون بالكامل حسب المعهد الدولي للتمويل التابع للبنك الدولي ويرى أن حجم الديون حوالي 244 تريليون دولار في أواخر 2018 هذا يضاعف الإنتاج المحلي العالمي لثلاث مرات، ونصيب الحكومات من هذه الديون هو 65 تريليون دولار والأفراد حوالي 46 تريليون دولار والشركات بجميع أنواعها 130 تريليون دولار. وهذا بوسعه أن يؤدي بالبنوك إلى الإفلاس، وأمام أعيننا نموذج 2008.

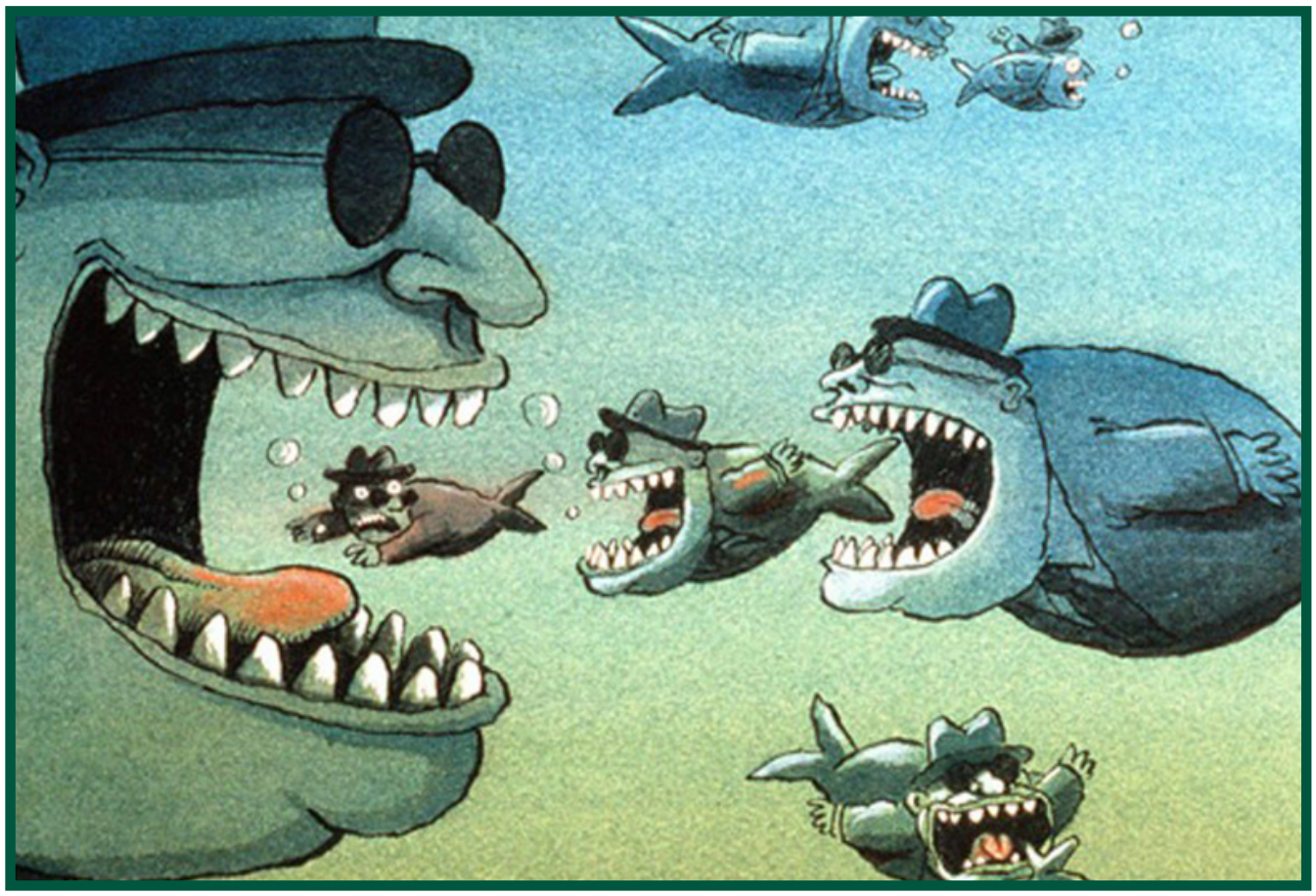

إلى هنا قد أوضحنا ولو بشكل بسيط الواقع الذي كان قائما قبل فيروس كورونا الذي زاد هذا المناخ تأزما جراء ما ترتب عنه من ضرر على القطاعات الصحية وعلى غفلة من انتباه العالم. الأمر الذي جعل كل التوقعات تتعمق بشكل رهيب، ففي الوقت الذي كان ينتظر فيه الاقتصاديون وأغلب دارسي المستقبل ظهور بؤر اقتصادية، ظهرت أمامهم أزمة إضافية فيما أصبح يعرف اليوم بفيروس كورونا الذي ظهر في الأيام الأخير من 2019 وبداية 2020 تحديدا في وهان الصينية، فكان تعاطي العالم مع الخبر كلٌ حسب ثقافته وواقعه، الغرب مثلا تنصل لعلاقته بالصين وفرّ المستثمرون التابعون له منذ البداية، أما في البلدان العربية فقد ظلت تشمت في ما لحق بالصين، بدعوى أن هذه الأخيرة تعمل على قمع مسلمي "الإيغور". وبالنسبة إلى أمريكا ومهرجها ترامب فقد سخر هو الآخر في البدايات الأولى لظهور الوباء، ولم يتوقع حجم الكارثة لسذاجة تفكيره الفاشي، وبعد أقل من شهر كانت أوروبا قد شربت من نفس الكأس، وأصبحت إيطاليا أولى البؤر بعد الصين، وحتى باقي بلدان أوروبا لم تتعاطى مع الأمر بجدية (باستثناء اليونان الجارة الإيطالية)، مما جعل الأرقام تزداد بشكل مرعب، وما كان لأمريكا إلا الانخراط في الأزمة بدون إرادة هذه المرة.

ترجمة

جاك رانسيير.. العمال المثقفون

• ترجمة: عبد الكريم وشاشا

ولد الفيلسوف الفرنسي جاك رانسيير (Jacques Rancière) في الجزائر عام 1940. شارك في كتابة «قراءة رأس المال» مع لوي آلتوسير. متخصص في الديمقراطية. مؤلف العديد من الدراسات المشهورة: «الفلسفة وفقراؤها» (فلاماريون، 1983)، «كراهية الديمقراطية» وغيرها... نقدم هنا مقتطف من حوار طويل بمناسبة تجميع نصوص Louis Gabriel Gauny (1806-1889) وهو عامل فرنسي، شاعر وفيلسوف:

من هو البروليتاري ؟

- البروليتاري ينتمي إلى فئة اجتماعية ورمزية تغطي العديد من المهن والحرف اليدوية. في فترة ما، كان هناك تقسيم أكبر مع هيئات الدولة، مهن متخصصة للغاية. اختفت المعامل والمصانع الكبيرة، وعدنا إلى تجزئة العمل إلى وحدات صغيرة. في الواقع يتشارك العديد من هؤلاء المستخدمين والأجراء الظروف التي كان يعيشها Louis Gabriel Gauny : العمل الغير المستقر، العمل المؤقت، يليه فترات البطالة، نعمل بدوام جزئي، وعندما نعثر على عمل، ننجزه بأقصى قدر ممكن. في عالم الحرف لم نعد مهيمَنين بطريقة قوية كما كان عليه الأمر في القرن التاسع عشر، هناك العديد من العاملين غير مؤهلين. وأولئك الذين ليسوا عمالا بالمعنى التقليدي، أجراء للتوزيع الكبير، يقومون دائما بأشغال شاقة للغاية. بجانب هذه المجموعة من العمال الغير مستقرة، العمال المؤقتين، الذين يتم استدعاؤهم اليوم، ورميهم على الرصيف في اليوم التالي.. إن الذي يبدو اليوم أكثر وضوحا هو أن البروليتاريا تحدد طريقة معينة للوجود، وضعا اجتماعيا أكثر بكثير من الواقع التكنولوجي.

Gabriel Gauny هو ملتقى التقاطع بين الطبقة العاملة والمثقف، هل تشعر اليوم أنه توجد قطيعة تامة بين هذين العالمين ؟

- من الصعب قول ذلك، فلحظة Gabriel Gauny أتت بعد ثورة 1789، بعد الملحمة النابوليونية، ثورة 1830، إنها الحركة الرومانسية. في تلك الفترة تم إضعاف التقسيمات ولاسيما ذات الطابع الاجتماعي، وظهرت انتاجات فكرية للبروليتاريين، تم تقاسمها على نطاق واسع، وكان Gauny وأقرانه يطالعون فيكتور هوجو (Victor Hugo) والشعر الرومانسي، كما صادفوا السان السيمونية (saint-simonisme) وأيضا نظريات أخرى.. لقد كان هناك في القرن التاسع عشر تداول للأفكار، والتي نسيناها إلى حد ما، وهي مرتبطة بلحظة عدم اليقين حول ما سيكون عليه المجتمع الجديد. كانت هناك إرادة قوية في دمج ما يسمى الطبقات الشعبية في كتلة الشعب. فالموضوعة العامة كانت هي إعادة الروابط بين النخبة المفترضة والشعب. وعلى الرغم من كل شيء، هناك تأطير للحركة العمالية كقوة مؤسسية بالفكر الماركسي. ومع تفكك القوة النظرية للماركسية والقوة الاجتماعية للأحزاب والنقابات، وجدنا أنفسنا في هذه الحالة: لم نعد نعرف على من سنطلق البروليتاري، هناك فعلا انعدام تحديد الوقت يتم بشكل فردي للغاية. الأشخاص الذين يجتمعون من أجل الاستماع إلى دعاة السان سيمونية، قد يستمعون اليوم ربما إلى شيء آخر على الانترنيت. ما هو مؤكد هو أننا لم نعد في نفس البنية، هناك أيضا إنكار ورفض، وهناك عقيدة رسمية تجعلنا نعتقد بأننا مع المجتمع الاستهلاكي سنكون جميعا بورجوازيين صغار وأننا سنتقاسم الظروف نفسها، هذه الرؤية السائدة تجعل تحليل هذه الحالة صعبا للغاية.. عندما كنت شابا قابلت عمالا متعلمين ومناضلين، فالنضال هو الهوية désidentification (**هو مفهوم في علم النفس- الاجتماعي طوره الأكاديمي الأمريكي خوسيه إستيبان مونيوز في كتابه "التفرقة".**) بالمعنى السلبي للمفهوم.

كيف نفسر ذلك ؟

- في القرن التاسع عشر، أرادت مجموعة من العمال الولوج إلى عالم الثقافة والفكر، هذا لم يعد يحدث مجددا لأننا لم نعد تحت الظروف نفسها، يتعلق الأمر بعصاميين بالكاد ذهبوا إلى مقاعد الدراسة، علموا أنفسهم بأنفسهم، اليوم يوجد تعليم إجباري وأصبح الوصول سهلا إلى الثقافة بجميع الوسائل (الانترنيت وسائل الإعلام...) وهو في نفس جزء من التحول في حياتهم وولوج إلى عالم الفكر والثقافة.. واليوم بات من الصعب رؤية ما نحن عليه الآن... لكن هذا لا يعني أن هذا اختفى..

أنتم الذين عرفتم ماي 68 و"نوي دوبو" (حركة الوقوف ليلا، حركة اجتماعية تعتصم ليلا بساحة الجمهورية قلب باريس) ، هل لديكم إحساس بأن هذين المتواليين المعينين أديا إلى تقارب طبقي ؟؟

في ماي 68 حدث تقارب على الرغم من الحواجز التي وضعها الحزب الشيوعي ونقابة CGT (الكونفدرالية العامة للشغل). في عام 1968 ذهبت إلى معمل حيث يمكن للطلاب الذهاب إليه، وهو الأمر الذي لم يكن من قبل، شاركت في نقاش طرح فيه عامل شاب سؤالا يطرحه أيضا طلابي في الأقسام النهائية من التعليم الثانوي في الأحياء الراقية.. في ذلك الوقت هناك عدد من العمال الذين ذهبوا إلى السوربون وانخرطوا في نقاشات مع الطلبة، في عالم من الفكر والثقافة.. أما مع حركة "الوقوف ليلا" فالأمر مختلف جدا، فلم نعد نتواجد في تلك الفجوة: الطلبة والعمال، حتى ولو كان هناك العديد من الطلبة وطلاب المدارس الثانوية في صفوف الحركة، لكنها فئة مختلطة وغير محددة: طلبة يمارسون مهن مختلفة وأعمال يدوية، فنانون، عاطلون عن العمل، بين عوالم عديدة..لم يكن لديهم أي مانع للالتحاق بالطبقة العاملة التي لم يعد ينظر إليها كما كانت من قبل متجانسة إلى حد ما سنة 1968، لم تعد تلك المعايير عمال وطلبة، واختفت تلك الصراعات بين المنظمات العمالية الرسمية والطلبة التي كانت في ذلك الزمان حيث البروليتاريا ومعنى التاريخ حاضرين... كل ذلك اختفى، نحن في وضع غامض وحائر بالمقارنة مع عصر Gabriel Gauny قبل أن ينشأ مفاهيمه وفي نفس الوقت هناك استئناف موضوعات 1968 داخل حركة "الوقوف ليلا".

• جاك رانسيير

الطبقة العاملة والضمان الاجتماعي في زمن كورونا

◆ محمد رقي

فوجئت الطبقة العاملة وكل الكادحين في العالم بفاجعة كورونا بعد اكتساح الوباء لمساحات وقارات، فوقفت معظم الدول مشلولة، تنتظر مِن أين ومتى وبأيّ تكلفةٍ سيتم إنقاذ البشرية من هذا الوباء الفتاك؟ كل العالم وقف عاجزاً أمام هذا الوباء، وأغلقت الحدود، وتَبِع هذا الإجراء، توقيف جزئي أو كُلي للاتفاقيات والمعاهدات دولية التي كانت تعوّل عليها أكبر الدول، ولم تَجد دول العالم الثالث، وكل الشركات المحلية التابعة، والتي تشكل حاضنة أساسية للرأسمال العالمي، سبيلاً لِلإفلات من تأثير إجراءات الحجر، ومن "فِرار" رؤوس الأموال العالمية واستقرارها بمواطِنها الأصلي، الشيء الذي يهدد ليس فقط بإفلاس الشركات الوطنية، الصغيرة والمتوسطة، والتي لم تكُن سوى شركات للمناولة، تُوفر فقط اليد العاملة، لهاته الشركات الكبرى الأجنبية، بل إنه يهدد بكارثة اقتصادية بالنظر إلى الأهمية الكبرى التي يمثلها القطاع العمالي الخاص، الصناعي والفلاحي، في النسيج الاقتصادي الوطني، وبكارثة اجتماعية على الطبقة العاملة المغربية وعائلاتهم، بالنظر إلى حجم المقاولات والفئات الواسعة التي تنشط في هدا المجال.

الضمان الاجتماعي
ⵜⴰⵎⵙⴰⵡⴰⵜ ⵜⴰⵏⴰⵎⵓⵔⵜ
CNSS

التأثير الاقتصادي على المقاولة المغربية

فحسب إحصائيات رسمية للمندوبية السامية للتخطيط، شملت عينات تعمل في قطاعات الصناعة التحويلية، البناء، الطاقة والمعادن، الصيد البحري، التجارة والخدمات التجارية الغير المالية، فإن النتائج الأولية للبحث الظّرفي، الذي أجري من 1 الى 3 ابريل، لرصد الآثار الاقتصادية والاجتماعية، للأزمة الناتجة عن انتشار وباء كورونا، وتأثيره على وضعية المقاولات بالمغرب، فقد توقف نشاط ما يقارب 142000 مقاولة أي ما يعادل 57% من مجموعة المقاولات المغربية، سواء بشكل مؤقت أو دائم، حيث أن 135000 مقاولة اضطرت إلى تعليق أنشطتها، بينما 6300 مقاولة أقفلت بشكل نهائي. وحسب نفس المصدر، فإن النسبة الفئوية من المقاولات التي أقفلت نهائيا، شكلت فيها المقاولات المتوسطة 72 % والمقاولات الصغيرة 26% والمقاولات الكبيرة 2%.

أهمية الضمان الاجتماعي بالنسبة للطبقة العاملة

في ظل هذا الوضع العسير سيجد العمال أنفسهم محاصرين ليس فقط بسبب آثار هذه الجائحة، لكن بسبب البنية الهيكلية الهشة للقوانين التي كبلت حريتهم، أمام الاستغلال الفاحش لأرباب العمل، وزادت من حدتها الاختيارات السياسية المتبعة، خصوصا في العقدين الأخيرين، الشيء الذي كان له الأثر الكبير على الحياة الاجتماعية للعمال وعائلاتهم، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار نسبة السكان النشطين التي حددتها الاحصائيات الاخيرة في 11 مليون نسمة، موزعة على كل المهن والصناعات يحتل فيها القطاع الخاص نسبة 9 على 10 من النشطين، أي من أصل كل عشرة عمال نجد تسعة منهم يشتغلون بالقطاع الخاص، ومن تم تظهر أهمية الضمان الاجتماعي بالنسبة للطبقة العاملة، كإحدى الأشكال التضامنية فيما بين الأجيال التي تنخرط، جيلا بعد جيل، لتوفر ادخارا ماديا للعاملين أولا، تم ثانيا لأسرهم، أي لذوي الحقوق من بعدهم.

وباعتمادنا على المؤشرات التالية :

- العمل المأجور الذي يشكل وعاء يشمل فئات واسعة من المأجورين.
- الأجر الغير المباشر الذي يقدم لكل الفئات الاجتماعية المختلفة الذي يوفره نظام الضمان الاجتماعي من الأجر الكلي لمختلف فئات الشغيلة.
- الخدمات المقدمة: مثلا مستشفيات الضمان التي تتوزع على كل المدن المغربية، التعويضات العائلية، التأمينات الصحية...
- المساهمة الأساسية في كل صناديق التقاعد، إن لم تكن الوحيدة بالنسبة لغالبية المأجورين المغاربة.
- التعويض عن فقدان الشغل لسبب من الأسباب، وهو ما سنعرضه لتوجيه العمال للتخفيف من آثار كورونا.

نستنتج من هذا كله، أن هذه الجائحة أظهرت، أن الضمان الاجتماعي كان له الدور الفعال والرئيسي في التخفيف من آثار الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، اعتمادا على موارده الخاصة، رغم محدوديتها، التي يتم اقتطاعها من أجور العمال، لتكون صمام أمان اجتماعي واقتصادي، أنقذ عددا من الأسر المغربية من الضياع، وعددا كبير من الشركات من الافلاس.

وحتى نضمن لمثل هذه المؤسسة الوطنية أن تستمر في أداء واجبها في المستوى المطلوب، لا بد من مراعاة القوانين الشغلية التي تضمن فعالية ومردودية الضمان الاجتماعي، وبالحفاظ على الشغل القار للعمال مستمرا، والتراجع عن العقود المحدودة الأمد، والرفع من أجور العمال، عكس ما كرسته مدونة الشغل في العقود الماضية، بسَنّها قوانين مجحفة، وضربها لأحد المكتسبات الشغلية أي الاستقرار والاستمرار في الشغل بعقود غير محدودة الأمد، بعد تخلي الدولة عن دورها الاجتماعي، ورفع يدها عن الخدمات والمرافق العمومية، وبالعمل على تقليص عدد العاملين في القطاع العام، وتحويل أنشطة الشركات الوطنية بشكل جزئي أو كلي إلى شركات وساطة وشركات مناولة.

وبناء على ما تمت ملاحظته في الأيام الأخيرة، فإن عددا من العاملين في القطاع الخاص يتعرضون للاستغلال المباشر من طرف أرباب العمل بالتملّص من أداء واجباتهم كاملة، أو محاولة الالتفاف على جزء من التعويضات الواجب أداءها للعمال، بل هناك من الشركات من استغل الفرصة، وعمل على تسريح العمال مبررا سلوكه الانتقامي، بحجة جائحة كورونا. في النهاية، سواء أثناء الحجر أو بعده، فالصراع بالنسبة للطبقة العاملة، سيكون أكثر حدة، ويتطلب حشد القوة اللازمة، والاستفادة من هذه الأزمة، بتوحيد صفوف العمال في منظمات أو منظمة قوية، والانخراط في جبهات للنضال مع حلفائهم الطبيعيين للدفاع عن مصالحهم ومستقبلهم، إن هذه اللحظة التاريخية، هي مرحلة متميزة في نضال كل الجماهير الشعبية وقواها الحية، وفرصة لدعم المد التضامني والإنساني والتحسيس بالمسؤولية الوطنية، ومنعطف نضالي لخلق صيرورة، لتنظيم ممارسة إيديولوجية وثقافية للتحرر من السيطرة الإيديولوجية وكل مظاهر الاستغلال .

التعويض عن فقدان الشغل

التعويض عن فقدان الشغل، هو إجراء يهدف إلى مرافقة الأجير الذي فقد عمله بشكل لا إرادي وانخرط في بحث جدي عن عمل جديد، حيث يُضمن له تعويض لفترة يمكن أن تصل إلى 6 أشهر. خلال هذه الفترة، ويجب على الأجير أن يخضع لبرنامج إعادة التأهيل، إذا ما استدعى الأمر ذلك، من أجل إعادة إدماجه في سوق الشغل.

شروط الاستفادة

من أجل الاستفادة من هذا التعويض، يجب على الأجير الذي فقد عمله في ظروف خارجة عن إرادته أن يتوفر على فترة تأمين لا تقل عن 780 يوما خلال الستة وثلاثين شهرا السابقة لفقدان العمل، منها 260 يوما خلال الإثنى عشر شهرا السابقة لتاريخ فقدان العمل.

مبلغ التعويض

المبلغ الشهري للتعويض يساوي 70 في المائة من الأجر المرجعي (متوسط الأجور الشهرية المصرح بها خلال 36 شهراً الأخيرة)، دون تجاوز الحد الأدنى للأجر المعمول به.

يبين الجدول أسفله أمثلة لقيمة التعويض حسب مستوى الأجر الشهري المرجعي :

مبلغ التعويض (بالدرهم)	الأجر المرجعي (بالدرهم)
1153	1647
1641	2344
الحد الأدنى القانوني للأجور	6000
	10000

مدة صرف التعويض

يشمل صرف هذا التعويض مدة أقصاها ستة أشهر ابتداء من اليوم الموالي لتاريخ الانقطاع عن العمل.

في حالة استئناف عمل مأجور، يتم إيقاف صرف التعويض.

أجل إيداع الطلبات

يتعين على المعني بالأمر إيداع طلبه بإحدى وكالات الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، خلال أجل لا يتعدى 60 يوما ابتداء من تاريخ فقدان الشغل.

الوثائق المطلوبة

- استمارة الطلب (مرجع رقم 310-1-26).
- نسخة من بطاقة التعريف الوطنية، أو نسخة من شهادة الإقامة أو جواز السفر، إذا لم يتم الإدلاء بها سابقا لدى الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي (أو نسخة من بطاقة الإقامة / جواز السفر للأجانب).
- . نسخة مصادق عليها من محضر مفتش الشغل في حالة تم الوصول إلى الاتفاق بين الطرفين
- نسخة من عقدة العمل في حالة كان سبب فقدان الشغل متعلق بعقدة العمل.
- نسخة من الحكم النهائي للمحكمة في حالة عدم الوصول إلى اتفاق بين الطرفين عن طريق مفتش الشغل أو نسخة من الحكم الابتدائي مرفق بشهادة عدم التعرض.
- شهادة بنكية إذا لم يتم الإدلاء بها سابقا لدى الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي.

+ في حالة استئناف العمل، يجب على المؤمن له (ها) التصريح باستئناف العمل بواسطة استمارة التصريح باستئناف العمل (مرجع رقم 310-1-29).

+ في حالة وفاة المؤمن له (ها) المعني بفقدان الشغل، يمكن لذوي الحقوق طلب الاستفادة من المبلغ المتبقي من التعويض عن فقدان الشغل بواسطة استمارة الطلب (مرجع رقم 310-1-30 خاص بذوي الحقوق) مرفقا بنسخة من نفس الوثائق اللازمة للحصول على الإعانة الممنوحة عن الوفاة.

المكان محاصر.. المراقبة الرقمية

• أجرى الحوار : مارتن لوغرو - ترجمة : محمد بوتنبات

• محمد بوتنبات

إن المحاولات المتعددة للدولة من أجل سن قوانين تكبل حرية التعبير الرقمية، وتطوير أساليبها في المراقبة والتتبع لمعارضي سياستها، وإحصاء أنفاس المدونين ونشطاء النيت واعتقالهم، يفرض علينا فهما عميقا لإستراتيجية المراقبة الرقمية التي نسجتها كبريات شركات الشبكة العنكبوتية، والتي تستهدف الاستعباد المستقبلي لرواد شبكات التواصل الاجتماعي.
الطريق

لا يبحث عمالقة الويب عن التقاط حياتنا وكشفها وإلباسها لبوس العملة النقدية والتعامل المالي كأقصى ما يتطلعون إليه، بل تجدهم يبحثون أيضا عن التنبؤ بسلوكياتنا والتأثير فيها؟ تلك هي الفرضية القوية التي تقدمها الجامعيّة الأمريكية شوشانا زوبوف ShoshanaZuboff في كتابها الذائع الصيت الذي يحمل عنوان "عَصْرُ رأسمالية المُرَاقَبة"، حاورناها فكانت الإجابات التالية:

مارتن لوغرو : نحن نعيش، بحسبكم، عصر "رأسمالية المراقبة"، فما الذي تريدين قوله بذلك؟

شوشانا زوبوف: قامت الرأسمالية وتأسّست، كما أبرز ذلك عالم الاقتصاد كارل بولايني Karl Polayni في كتابه "التحوّل الكبير" 1944 "La grande transformation"، على دينامية تدفعها إلى تحويل ما كان لحدود الآن خارج نطاق السوق، إلى سلع. وصار الأمر مع رأسمالية المراقبة مرتبطا بالتقاط وتصيُّد التجربة الإنسانية، لكي يتم استعمالها وتوظيفها كمادة أولية لأجل تحويلها إلى تنبؤات سلوكية يمكن استخدامها واستغلالها بدورها على صعيد سوق جديدة، إذ المفترض فينا أن نكون مستخدِمين لكل من غوغل Google وفايسبوك Face-book، غير أنّ هاتين المنصّتين الرقميتين plate-formes تستعملان ما لديهما من معلومات حول سلوكياتنا الخاصة كي تعمل على تحويلها، اعتمادا على خوارزميات الذكاء الاصطناعي، إلى تنبؤات سلوكية، بعضُ هذه المعلومات يمكن أن يتم استعماله لتطوير خدماتها وتحسينها، لكن القسم الأعظم منها يكتسب قيمته من وظيفته التكهنية.

مارتن لوغرو: هل لك أن تقدّمي لنا مثالا على ذلك؟

شوشانا زوبوف: يبتدئ هذا الأمر مع معدّل الضغطات «clik-le taux de clics throughrate»، بمعنى النسبة المئوية لمستخدمي الأنترنيت الذين يضغطون على إعلان الجهة المُعْلِنة عندما يشاهدون شاشات حواسيبهم. فهذا المعدل الذي تم تطويره من قبل غوغل سنة 2001، أتاح للشركات معرفة ما إذا كان إعلانهم يثير انتباه زبونها ومتى يحصل ذلك، ليفرض نفسه باعتباره حجر الزاوية لسوق الإعلانات على شبكة الأنترنيت la publicité en linge، وصولا اليوم إلى اجتياح الخوارزميات التكَهُنِيَّة لكلّ القطاعات وإغْرَاقها لها؛ حيث صِرْنا نتكهّن بسلوك المستهلكين في المتاجر الكبرى وبعاداتهم الغذائية والصحية، وبعادات سائقي السيارات، إلخ. وقد سبق لموقع فيسبوك في رسالة موجزة تعود إلى سنة 2018 أن زعم أنّ "مركز الذكاء الاصطناعي" الخاص به يعالج ملايير المعطيات يوميا كما أنّه قادر على إنتاج "ستة ملايين تكهّن أو تنبؤ بالسلوك الإنساني كل ثانية". صحيح أنّ التكهن بالمستقبل شكّل تطلعا وأملا أساسيا للإنسانية، لكننا خلقنا الآلات تتغذى بالمعطيات بغاية التكهن بالسلوكيات اليومية للأفراد.

مارتن لوغرو: إنّ غوغل باعتباره رائد هذا التحويل لم يقم بالتخطيط له، فقد انبثق ذلك بكيفية عرضية كما يعرف الجميع.....

شوشانا زوبوف: إنّ المراقبة ليست بالمسجَّلة في أصل، أو إن صح القول في الحمض الأميني المنزوع الأوكسجين ADN الخاص بالثورة التكنولوجية، كما يمكننا تصوّر أشكال وصور أخرى لتنظيم العالم الرقمي. وفي هذا السياق كان المؤسِّسَان الأوّلان لموقع غوغل لاري بيج Larry Page وسيرجي برين Serguey Brin يحتقران الإعلان في البداية، وما كانت تريده هذه المنصة هو "تنظيم المعلومة العالمية وجعلها متاحة ومفيدة"، لكنها لم تكن تتوفر على زبائن ولا على سلع بالمعنى الدقيق للكلمة. ومع بداية الألفية الثالثة، صارت الفقاعة أو البالونة الرقمية مهددة بالانفجار. فكان أن هَدَّد المستثمرون بالانسحاب، إن لم تجد المقاولة أنموذجا اقتصاديا يكون أكثر مردودية. لذلك تم إعلان "حالة الاستثناء"، وتم استنفار مصالح البحث في ميدان الذكاء الاصطناعي لأجل إيجاد أداة تضفي القيمة على المعطيات وتجعلها مثمِّنَة... وفي يوم من أيام شهر أبريل نيسان من سنة 2002، انبثق حادث عرضي تمثّل في حدوث خمس ضَغْطات متعاقبة في خمس فترات من اليوم على نفس الطلب -"اسم الابنة الصغيرة لكارول برادي"- اسم شخصية من سلسلة تلفزيونية. والسؤال الذي تم طرحه أثناء البرنامج الذي أذيع على المناطق الزمنية الأمريكية الخمسة هو: من يريد ربح الملايين؟ ومن هنا انبثق إلهام مهندسي شركة غوغل! وهو أنّ طلبات المستخدمين يمكن أن يتم استعمالها كعلامات تتيح التكهن بالأحداث قبل أن تظهر على رادارات وسائل الاعلام التقليدية. إلى حدود الآن وبفضل خوارزمية رتبة الصفحة page Rank، تم توظيف الطلبات بهدف تجويد وتحسين سرعة المحرّك ودقته وملاءمته. والمعطيات العرضية والزائدة تمّ التعامل معها كـ "فضلات" déchets. فجأة تبين مرّة واحدة أنّها تنطوي بدورها على قوة تَكَهُّن أو تنبؤ مدهشة، لأنّ التجربة الإنسانية وقد تمت ترجمتها إلى معطيات، يمكن أن يتم تحويلها لتأخذ شكل تكهنات وتوقّعات سلوكية.

مارتن لوغرو: ألا يُختزل كل هذا ويُرَدُّ إلى تطوير الإشهار أو الاعلان؟

شوشانا زوبوف: إذا كانت المراقبة التي تتخذ لها هدفا [أو المراقبة التهديفية] قد ظهرت مع الإشهار، فإنّ الإشهار لا يمثل استعمالها الوحيد؛ حيث يمكن لكل فاعل يبحث عن التأثير في سلوكياتنا الاستفادة منها، مثلما رأينا ذلك مع فضيحة فيسبوك - كامبريدج أناليتيكا le scandale facebook – cambridgeanalytica التي كشفت عن القدرة على استعمال الأجهزة للتأثير في رأي المواطن، وهو ما سبق لفيسبوك أن طالب به منذ 2012 أثناء "تجربة عدوى العواطف"؛ فمن خلال إرسال كلمات باعثة على الحزن أو الفرح بخصوص مجرى الأحداث اليومية على الصفحات الخاصة بفريقين من المستخدمين للفايسبوك، صارت الشبكة قادرة على إثارة عواطف ومواقف مطابقة لتلك الكلمات. وقد عمل هذا المنعطف على إدارة وتحويل نسق المعرفة نحو السلطة؛ بمعنى أنّه قد صار في الإمكان ضبط السلوكيات وتجنيدها لأداء أدوار بعينها وتعديلها، حتى تكون للتكهنات درجة أعلى من الموثوقية.

• شوشانا زوبوف

مارتن لوغرو: تتناولين أيضا مثال لعبة البوكيمون جو Pokémon GO

شوشانا زوبوف: بوصفها لعبة تمّ طرحها في السوق من قبل شركة Nintendo وشركة البوكيمون ومخابر نياتيك NianticLabs، باعتبارها شركة فرعية سابقا لشركة غوغل GOOGLE ، ظهرت لعبة بوكيمون جو أول ما ظهرت باعتبارها لعبة واقع مُزَيَّدَة، لنكتشف فيما بعد احتواءَها على مُكَوِّن تجاري هو المتمثل في "الفضاءات الراعية" «lieux spon-sorisés»؛ فشركات من قبيل شركة ماكدونالدز يمكن أن تدفع مقابل ظهورها من بين مواقع ميدان اللعب بهدف جذب اللاعبين إليها. ذلك ما شكل أحد مختبرات التجريب النوعية لرأسمالية المراقبة؛ إذ في الوقت الذي يعتقد فيه الناس أنهم يلعبون، يكون فعلهم موضوع استغلال وتوظيف من قبل مصالح اقتصادية يتمّ حجبها.

مارتن لوغرو: المراقبة ميكانزم أو آلية عاكسة ترسل لنا أفعالنا وحركاتنا في شكل توصيات، كما أنها آلية منتجة تحوّل الآثار الرقمية لسلوكنا في شكل تكهنات يتم بيعها لأطراف ثالثة. ومن أجل معالجة وَجْهي الظاهرة معا، نجدك تستعملين عبارة "التسليم"، فما الذي يعنيه؟

شوشانا زوبوف: إنها عبارة منحدرة من اللسان الفرنسي القديم؛ فمن المؤكد أنّ فعل "أرجع rendre" يدل في ذات الوقت على "فعل رَدِّ الجميل" وعلى "فعل الإنتاج" (بهذا المعنى نتحدّث عن إثمار الشجرة «l'arbre rend ses fruits»، وعلى تقديم الولاء كما هو واضح في تعبير (إعطاء لقيصر ما لقيصر «rendre à césar ce qu'est à césar»). فتحويل التجربة الإنسانية إلى غنيمة من طرف رأسمالية المراقبة يحمل كل هذه المعاني مجتمعة. فهي بمثابة سيرورة تقنية للرَّد والاسترداد بفضل الأجهزة اللاقطة التي توجد في طرقاتنا وسياراتنا وفي منازلنا وهواتفنا المحمولة؛ هكذا فاليومي الخاص بنا يتم تجميعه وضمه من قبل الذكاء الاصطناعي واسترداده في صورة "معطيات سلوكية" «don-nées comportementales». لكنّها أيضا سيرورة اجتماعية للولاء؛ لأنّ الأنشطة الاجتماعية تقتضي وتستلزم مسبقا القيام بِرَدِّ تجْرِبتنا إلى منصَّة أو مسطَّحة رقمية plateforme numérique، وهو ما يتعيَّن علينا القيام به مثلا، لكي نلج إلى الواجبات المدرسية لأطفالنا، انطلاقا من المسطحة أو المنصة الرقمية التربوية للمدرسة، والتي يتم عرضها بالمناسبة في الولايات المتحدة الأمريكية من طرف شركة غوغل، ومن أجل الاطلاع على اختبارات دَمِنَا على المسطحة الرقمية الخاصة بالصحة، ونفس الشيء نقوم به من أجل تنظيم وجبة عشاء أو حتى لكي نتبادل عبر الوسائط الاجتماعية مع أصدقائنا الصور الفوتوغرافية التي التقطناها أيامَ العطلِ، هكذا ينتابنا في كل مرة الشعور بأننا مُلْزَمون بأن نجعل تجربتنا في المتناول. وعليه يكون من اللازم علينا أن "نُقَدِّمَ ونقوم بتسليم" حيواتنا والتنازل عليها حتى يتم التقاطها من لدن قنوات تركيب الفائض السلوكي لرأسمالية المراقبة.

مارتن لوغرو: لماذا نشعر أننا ملزمون بفعل ذلك؟

شوشانا زوبوف: لأننا لا نُقدِّر أوّلا كل ما يستتبع ذلك ويترتب عليه حقَّ التقدير؛ فهذه التكنولوجيات تلج حياتنا بكيفية يتعذر كشفها. والإرشادات التي من المفترض فيها أن تصل إلى نيل الرضى والموافقة القائمة على الاستنارة

المكان محاصر.. المراقبة الرقمية

◆ أجرى الحوار : مارتن لوغرو - ترجمة : محمد بوتنبات

والاهتداء بالمعرفة، لكن الحاصل هو أننا جميعا غارقون في لجّة لغةٍ ما عاد أحد يمتلك الوقت الكافي لقراءتها. كما أنهم أقنعونا فيما بعد بأنّ تقويض وهدم الحياة الخاصة قد صار أمرا ضروريا. أما إن تجرأتم على قول لا، فإنّ كل شيء سيتعطل. فعلى مستوى مجموعة البرامج الفرعية المنظِّمة Nest thermostat ، باعتبارها نسقا للتدبير المنظَّم ذاتيا système thermostatique لغوغل، لو رفضت اقتسام معطياتك المنزلية données domestiques تتوقف الشركة عن تحيين البرنامج، والنتيجة هي أنّ قنواتك تصير مهددة بأن تتجمد المياه داخلها، وأجراس الخطر في كل منعطف تكون مهدَّدةً بإطلاق سيْلٍ إنذاراتٍ دون توقف، ليكون بذلك اشتغال الخدمة وأداؤها الوظيفي مشروطا بخضوعنا الإرادي لمراقبة أحادية البعد وخفية وغير محدودة. ولكي ننجو من ضغط الإحساس بالعجز، نسارع إلى القول بأنّ الأمر عادي وطبيعي، وهو ما يدل على أننا عُزَّلٌ من الناحية النفسية ومجرّدون من كل سلاح.

مارتن لوغرو: ترين أنّ العلاجات التي تم الكشف عنها من أجل حماية "ملكية" المعطيات أو "قابليتها للنقل"، كما هو الحال بالنسبة للقانون العام حول حماية المعطيات [RGPD] الذي تم وضعه من طرف الاتحاد الأوروبي، فهذه العلاجات أو الإجراءات مرّت، بنظرك، بمحاذاة المشكل ولم تواجهه، لماذا؟

شوشانا زوبوف: لأن المعطيات ليست فردية، وبالتالي لا يمكن حمايتها بكيفية فردية، فما يتم هو أننا نتصرف كما لو أنّ كل واحد منا يقول وينشر ويُرسل ويخَزِّن... إلخ. فيكون من الطبيعي أن نتساءل كيف نسترجع ونستعيد ما أعطيناه أو نُكافأ به ونُجازَى عليه. لكنّ الحاصل في الواقع هو أنّ المعطيات ليست شخصية، بل هي "منتوج مشتَّقproduit dérivé " ، فلو نشرت صورة لوجهي على موقع للتواصل الاجتماعي، فهي من وجهة نظري لا تعدو أن تكون مجرّد صورة لي، لكن المُشَغِّلات يمكنها أن تقارنها مع العشرات من الصور الأخرى الخاصة بي أو بصور أخرى توجد على شبكة الإنترنيت، والتي سيتم التقاطها واستشعارها في اليوم الموالي عبر الطرقات بفضل تقنية التعرف على الوجه. فبالنسبة إليهم صورة وجهي هي أيضا الآلاف العضلات التي تتيح تحليل عواطفي والتكهن بسلوكي. و"الفائض السلوكي" ليس مشتقا مما نعطيه ونقدمه فحسب، بل هو مشتق كذلك انطلاقا مما لم تكن لنا أدنى نيّة أو قصده لمنحه وتقديمه. فالبرامج الخاصة بتحديد المواقع الجغرافية logicielles de géolocalisation والتطبيقات التي تمتلئ بها هواتفنا، والتي تتيح استعمال أصواتنا وصورنا ومن نَتَّصِلُ بهم ومن يتَّصِلُون بهؤلاء...إلخ. كل ذلك يسمح بتجميع معلومات لم تكن لنا نية إفشائها، أو يتم انطلاقا منها استنباط سلوكيات لم تكن لنا نية كشفها. وبالتالي، فحتى لو تم تأمين المعطيات الشخصية بنسبة 100 %، وهو ما يبقى من باب المستحيل ما دام ليس هناك أحد يتوفر على ما يكفي من وقت وطاقة للقيام بذلك، حتى لو تحقق ذلك فإنّه لن يغطي إلا جزءا متناهي الدقة مما تم التقاطه واستشعاره.

مارتن لوغرو: يمكن لشركة غوغل الاعتراض على ذلك بأنّها لا تقوم ببيع المعلومات الفردية، بل المعطيات الجماعية المنتجة من قبل مُعَالجَاتها. والمستهلك يمكنه أن يرى أنّه يَكسب من خلال ذلك معلومات دقيقة، كما هو الحال على سبيل المثال بالنسبة إلى المعلومات حول مخاطر إصابته بمرض.... وبإيجاز ألا يمكن لكل طرف أن يستفيد بشكل مشترك من عملية معالجة المعطيات؟

شوشانا زوبوف: لقد كان ذلك هو الحلم الأصلي للثورة الرقمية؛ بمعنى أن يستطيع المجتمع، بفضل كل هذه المعطيات، اكتساب كتلة من المعلومات تتيح له معرفة نفسه وإدارتها بشكل أفضل. وتلك هي الحجة التي تم الدفع بها من قبل رؤساء شركة غوغل. فكم من مرة سمعت إريك شميث Ericschmidt ، رئيسها ومديرها العام السابق يؤكد: "اطمئنوا نحن لا نبيع المعلومات الشخصية". وإذا كانت معلوماتنا ليست إلاّ مادة أولية وخاما لمنتوج يتم اشتقاقه منها، فإنّ ذلك لا يحول دون جمع كتلة مهمة جدا من المعلومات من أجل ابتكار هذا المنتوج. وقد ابتدأ جمع المعطيات مع اقتصادات الحجم والنطاق économies d'échelle et de porté، فتم جمع معطيات أكثر عددا وتنوعا، غير أنّ شدة المنافسة فتحت جبهة جديدة هي المتمثلة في اقتصادات الفعل les éco-nomies d'action وقد كانت الفكرة الكبرى لها هي التدخل في سلوكنا لقيادته وتوجيهه بالشكل الذي يجعل فعلنا أكثر تطابقا مع التكهنات... ومتسقا مع حاجات السوق. وما نجم عن ذلك، هو أنّ تقويض الحياة الخاصة أصاب قدرتنا على الفعل والتصرف في مقتل وأثّر سلبا عليها. لكل ذلك نقول بأنّ المعلومة ـ بعيدا عن أن يتم استخدامها في علاج السرطان، أو تجنب الكارثة البيئية أو التخفيف من المجاعة في العالم ـ تبقى مفيدة في إرضاء الأهداف التجارية لزبائن خواصّ، وليس في خدمة أهدافنا نحن. والشيء الوحيد الذي يمكنه الحد من توسع رأسمالية المراقبة هو القانون، لكن في الولايات المتحدة على الأقل، ليس هناك أي قانون تمّ تصوره لمواجهة هذا التأثير. لقد صرنا أبعد ما نكون عن حلم غوتنبرغ باقتسام المعارف، وعُدْنَا القهقري إلى عصر ما قبل غوتنبرغ المطبوع بتركيز المعرفة والسلطة بين أيدي القلّة.

مارتن لوغرو: ترون أنّ المنصّات الرقمية تبحث عن إقامة "مناطق تجريب"، حيث يمكنها أن تعطي مسارا حرّا لطموحها إلى تعديل سلوكياتنا، فما هي "منطقة التجريب" المقبلة يا ترى؟

شوشانا زوبوف: المدينة هي التي تمنح فضاء مثاليا من أجل اختبار الكيفية التي يمكننا بها تعويض الحكم الديمقراطي بالحوكمةالخوارزمية la gouvernance algo-rithmique؛ فالشركة التابعة لغوغل GOO-GLE Alphabet، SidewalkLabs التي تضع منذ سنوات أكشاك شبكة الوايفاي المجانية في المدن الكبرى، تضغط لكي تتوصل إلى اتفاق مع مدينة طورونطو Toronto، حتى تتولى تدبير وتسيير واجهتها البحرية. والإعلان الابتدائي عن هذا الاتفاق يشترط أن يتم النظر إلى كل ما يحدث ويجري في هذه المنطقة، واعتباره مسبقا على أنّه "معطى حضري Urbain Data «don-née urbain فسواء أكان ذلك داخل شقتك أم في سيارتك أم بالشارع أم في المقهى، وسواء أكان ذلك يخص الكائنات الإنسانية أم يتعلق بالحيوانات أم بالآلات، فإنّ كل ما يحدث في هذا المكان هو "معطى حضري" يمكن للجميع استعماله.... لكن وحدها شركة غوغل أو شركة أمازون على الأرجح، هما وحدهما من يكون قادرا على معالجته بكيفية فعّالة وتكهّنية.

مارتن لوغرو: تقولون بأنّ التدبير والتسيير الخوارزمي يتيح التهرب من القانون، بأي معنى يتم ذلك؟

شوشانا زوبوف: يتجمّع المواطنون داخل المدينة ويلجؤون إلى السياسة من أجل اتخاذ القرار بشأن الكيفية التي يريدون العيش وفقا لها عيشا مشتركا. لكن في المدينة -غوغل، يمكننا أن نتجاوز هذا الفن في تنظيم الصراعات. فبدلا من المناقشة التي تنعقد في المكان حول نوع الجوار الذي تريدونه، تكون الخوارزميات هي من يتولّى تحديد المعالم والإحداثيات الأجود لهذا الجوار، كما هو الشأن بالنسبة إلى مستوى الضوضاء المقبول. وعلى هذه الشاكلة تحُلُّ الحوْسبة المعلوماتية محلَّ التداول الديموقراطي. ولأن الرساميل الخاصة هي من بلور الخوارزميات، فلاشك أنها ستسير في اتجاه تفضيل وخدمة مالكي هذه الرساميل الخاصة.

مارتن لوغرو: إن المعطيات تبقى بدورها في حاجة إلى أن تكون متاحة للجميع حتى يتم تجويدها... وبالتالي، فالسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما البديل؟

شوشانا زوبوف: من الواجب علينا التأكيد على مبدأ يقضي بحق كل شخص في أن يقرّر إمكانية استعمال معطياته وكيف؛ ففي الوقت الحالي ليس هناك من ضبط ديمقراطي للمراقبة، وهو ما يشكّل هجوما ضد السيادة الفردية يسهم في تركيز لا سابق له لسلطة تشكيل السلوك الإنساني وصياغته، أسميها بـ "السلطة الأداتية"؛ بمعنى تلك السلطة التي تقوم بتحويل شكل الحياة إلى مادة مطواعة وقابلة للتوظيف والاستغلال.

مارتن لوغرو: أليست هناك هوّة تفصل بين المراقبة التي تمارس في البلدان الديمقراطية ونظيرتها التي تمارس في الصين، بواسطة نظام "القرض الاجتماعي" مثلا؟

شوشانا زوبوف: ما يحدث في الصين هو أنّ "السلطة الأداتية" تخدم أهداف الدولة السلطوية، الشيء الذي يدفع إلى زحزحة وتحويل مجموع النسق عن الأهداف التجارية نحو أهداف اجتماعية وسياسية. وسبيل من هذا القبيل ليس سبيلا يتم فرضه من الخارج، بل هو مغروس وراسخ داخل مناهج وطرائق رأسمالية المراقبة نراه في الصين، لكن سبق لنا أن رأيناه مع كامبريدج أناليتكا Cambridge Analytiqua في الولايات المتحدة.

مارتن لوغرو: لكن هل نموذج المراقبة في أساسه نموذج اقتصادي أم تراه نموذجا سياسيا؟

شوشانا زوبوف: إنه نموذج مجتمع لا يعتمد أكثر على الديمقراطية والمساواة، وإنما على معرفة غير متماثلة ولا هي بالمتقايسة وعلى سلطة أداتية قادرة على فرض انسجامها على المجتمع ويبقى الاتجاه في الغرب سائرا صوب استخدام السلطة الأداتية بغرض خدمة الأهداف الخاصة للسوق أكثر من خدمة الأهداف السياسية. لكن رأسمالية المراقبة تتجه نحو توسيع مناطق التجريب، حيث يكون في إمكانها صياغة السلوكيات وفقا لأسلوبها ونمطها، وهو ما سبق أن أدى إلى انتقال الاقتصاد إلى دائرة الحياة الخاصة. والسؤال الذي يفرض نفسه هو التالي: إلى أي حد سيصل اتساع وامتداد السلطة الأداتية، حتى تقيّم تحكّمها وترسي مراقبتها؟

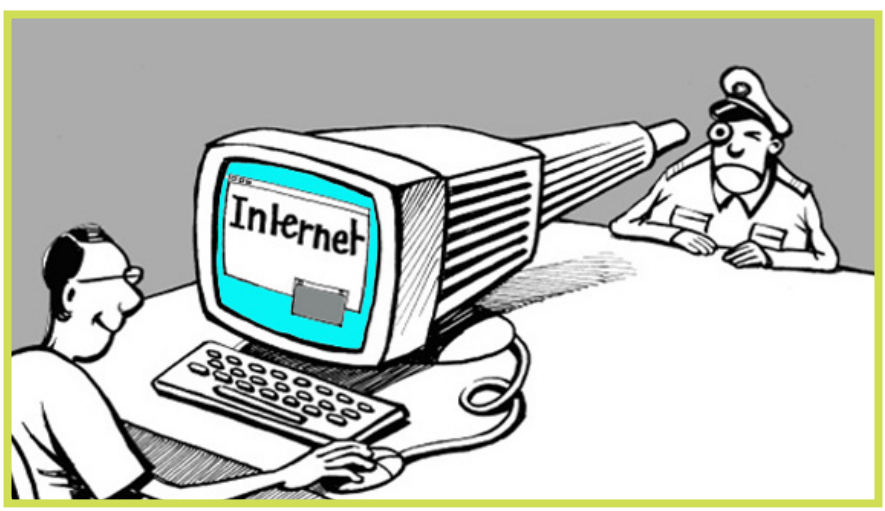

الملحق الثقافي الطريق (إبداع وفنون)

◆ إعداد: عبد الغني عارف

في المرآة...

الثقافة: الثروة المسكوت عنها...!

◆ ذ. عبد الغني عارف

في واحدة من أعمق تلميحاته الفكرية الثاقبة، يتحدث الشهيد " مهدي عامل " عن الثقافة بكونها " تتكون دوما ضديّاً، تنمو وتتكامل في صراع مستمر ضد كل قديم يموت "، ولذلك فلكل نشاط نظري منحاز لسيرورة التغيير طابع نضالي، وهو ما يجعل الثقافة وباستمرار أداة من أدوات ممارسة الصراع المجتمعي. ولأن المجتمعات عادة لا تتطور إلا بحسم التمفصلات الرئيسة في بينة الصراع، فإن الثقافة تشكل رافدا أساسا من روافد التغيير والتطور اللذين ينتصران على كل قديم ومتهالك في ضوء بوصلة يشكل المستقبل أفقها الجاذب.

إن الثقافة بهذا المعنى ليست مجرد ترف من الأفكار والممارسات المتعالية عن الواقع، بل هي شرط جوهري لقيام المجتمع وضمان استمراره ووجوده، أي أنها تشكل ثروة حقيقية في ملكية الشعوب، مع التوكيد على أن ما يميز الثقافة باعتبارها ثروة هو كونها لا تنحصر في سياج ما هو مادي ضيق، بل هي تتجاوز ذلك بحيث تكتسب أبعادا رمزية مؤثرة، وهو ما يجعل الطبقات المسيطرة تسعى دائما إلى بسط هيمنتها عن طريق ما تتيحه الثقافة من هوامش السيطرة وفرص تأبيدها، لذلك توجه جهدها نحو جعل الثقافة والمثقف دروعا واقية لها ضمن ما هو سائد. إن التباين بين المجتمعات على سلم التخلف أو التقدم يعود أساسا إلى طبيعة الرؤى ومنظومة القيم الثقافية المحددة لأنماط العيش والتفكير والممارسة في كل مجتمع على حدة. ولأن الثقافة ثروة فهي، مثلها في ذلك مثل باقي أنواع الثروات الأخرى، قابلة للاستثمار الجيد أو السيء، وهي أيضا قابلة للاحتكار والطمس والتهريب...!

فهل يمكن أن نتحدث اليوم في المغرب عن **"الثقافة المهربة"** ؟!.. وإذا كان الأمر كذلك فمن يتولى هذا التهريب؟ ولمصلحة من..؟ ولأية أهداف ..؟

نقارب الموضوع بهذه الرؤية المجازية فقط لنقول إن الثقافة ببلادنا، وبكل تجلياتها المتداولة، ما تزال تشكل، للأسف، ثروة منسية، أو بوضوح أكثر، ثروة محتكرة بشكل لا يجعل منها عاملا يسهم، بالشكل المطلوب، في نهضة المجتمع وتقدمه.

ولأن المجال لا يسمح بالحديث، وبالتفكيك المفصل، عن التوظيف الفلكلوري الفج للثقافة، باعتباره مظهرا من مظاهر التهريب الثقافي، ولا عن التوظيف الإيديولوجي لكل ما هو ثقافي وإغراقه في لج الغيبي والخرافي، فإننا سنكتفي بالإشارة إلى أنه في كل المجتمعات - وهذا ما أكدته وتؤكده تجارب الشعوب - تعلن الثقافة عن إفلاسها التاريخي حينما تتحول إلى مجرد أداة للتخدير بين أيدي النخبة الفاسدة والكهنة الذين يبررون واقع الفساد. لذلك فإن أعداء التغيير ومناوئيه يراهنون دائما على جعل الثقافة في أوجهها المشرقة والمستشرفة للمستقبل ثروة مسكوتا عنها، ويعملون، من خلال هجمات مضادة، على تغييب البعد الدينامي للثقافة بما يضمن إعادة إنتاج واستدامة واقع الاستغلال والجهل، والعمل في المقابل على حصرها في زاوية مغلقة، بحيث تكون، أو يراد لها أن تكون، مجرد إنتاج متعال عن الواقع، وهم بذلك يعملون على وأد القوة الضاربة التي تكون للفعل الثقافي الملتزم ضمن شبكة من التناقضات التي يفرزها الصراع في رقعة مجتمعية معينة وضمن شرط تاريخي خاص.

إن الحفاظ على المعطى الثقافي كثروة حقيقية قابلة للاستثمار الإيجابي في المجتمع يتطلب بالضرورة تغيير النظرة إلى ماهية المثقف وإلى طبيعة أدواره ووظائفه، فالمثقف لا يكتسب هذه الهوية الواصفة فقط لأنه يكتب، ولكن أيضا -وربما قبلا- لأن له رؤية محددة للكون وللمجتمع، وله أيضا موقف وموقع ضمن السيرورة التاريخية لتطور / تغير المجتمع الذي ينتمي إليه. من هنا بالضبط تنبع أهمية **الثقافة كثروة**، أي كمعبر لكل تيارات تغيير المجتمع أو تأبيد حصاره.

كتاب صدر

"عالم ما بعد كوفيد19-.. الحمل الكاذب" للباحث السوسيولوجي د.خالد شهبار

" لا نسعى لاصطياد الغراب بغية التأكد من سواد لونه "

"عالم ما بعد كوفيد19-.. الحمل الكاذب"، هو عنوان الإصدار الأخير للباحث السوسيولوجي الدكتور خالد شهبار، كتاب صادر في صيغة الكترونية عن مطابع الرباط نت، الطبعة الأولى 2020. ويحتوي الكتاب على مقدمة للسوسيولوجي الدكتور "عبد المالك المورد".

الكتاب عبارة عن مرافعة نقدية لأطروحة السردية الليبرالية التي اهتزت أركانها مع وباء كوفيد19-، وفي ذات الوقت تفكيك لأسس الخطاب التبشيري المغالي في نزعة التفاؤل إزاء عالم ما بعد الوباء، حيث يؤكد المؤلف أن "التاريخ لا تصنعه الأحداث"، بل المنطق المادي للصراع، وأن القول بالقوة التغييرية للأوبئة غير مثبوتة من الناحية التاريخية، كما أن ادعاء تغيير كوفيد19- للجغرافية السياسية للعالم مجرد وهم بالنظر لاستمرار قوة أمريكا اقتصاديا، عسكريا، ماليا وفي مجال القوة الناعمة أي تصدير المنتوج الثقافي والإعلامي.. ثم يتساءل المؤلف عن "هل سيعيد التاريخ نفسه فيعمل كوفيد19-، على تأجيج الحروب الطبقية في العالم؟.. الجواب بالسلب في ظل هوية طبقية واضحة للوباء المصاب بداء "كراهية الفقراء" واختياره لضحاياه بين الطبقات الاجتماعية المقهورة.. ويؤكد الدكتور "خالد شهبار " أن كل الاعتقادات التي تغنت بأن عالم ما بعد أزمة 2008 لن يكون نفسه بعدها، ظلت مجرد أوهام حيث ظل تغول عالم المال والأسواق المالية هو السائد والخسائر يقتسمها الفقراء الذين لا يد لهم في هذه الأزمة.. كما انتقد النخب السياسية النيوليبرالية من خلال استحضار نقدي للتجربتين الفرنسية والإيطالية ليخلص الى أن " النخب السياسية الحاكمة المغلولة في أغلبها بأصفاد النيوليبرالية... وقد انتصر المؤلف بشكل صريح لمقاربة سوسيو- تاريخية وصراعية للتغيير من منطلق أن "التغيير الحقيقي هو صناعة تاريخية سياسية شاقة ومعقدة. وقد خلص المؤلف إلى أن التغيير الحقيقي لا تصنعه القيادات السياسية المهادنة التي تتقن لغة الإشارة والتلميح، بل النخب الجسورة التي تفكر بهدوء وتضرب بقوة..

في خاتمة الكتاب يستعرض الدكتور خالد شهبار الخلاصات التركيبية والأساسية لمقاربته النقدية للخطابات التي تبشر بحتمية إنتاج وفرز هذا الوباء لبنية براديغمات جديدة، حيث يعيد الباحث التأكيد على حقيقة أن عالم ما بعد كوفيد19- لن يكون أفضل مما سبقه ولن يكون عالم الانزلاق نحو الحياة العارية بلغة الفيلسوف الإيطالي "جورجيو أغامبين" ، لكن وبنوع من التفاؤل الديمقراطي يستبعد "المؤلف" أن تتحول أنظمة الديمقراطية الليبرالية بين عشية وضحاها إلى

أنظمة استبدادية توتاليتارية، طالما أن القيم والقواعد المؤسسة للمشروع الديمقراطي أصبحت بمثابة بؤرة هوية للمجتمعات الديمقراطية الليبرالية ومرجعية رابطها الاجتماعي الدامج، واسمنت عيشها المشترك، مثل التعددية السياسية والتداول السلمي على السلطة عن طريق صناديق الاقتراع، وفصل السلط، ودولة الحق والقانون والمواطنة المساواتية الشاملة، والفصل بين السلطة السياسية والسلطة الدينية.

الكتاب جدير بالقراءة باعتباره مقاربة شجاعة تجمع بين نقد النزعة التفاؤلية المبالغ فيها واستحضار الشروط المادية والموضوعية لتغيير البنيات المادية والرمزية، من منطلق أن التغيير الحقيقي عملية سوسيو- تاريخية يحكمها منطق الصراع وميزان القوى، وليس أحداثا أو أوبئة نحملها أكثر مما تحتمل ونبني عليها رهانات سياسية ومشاريع مجتمعية هي من محض اليوتوبيا..

◆ م.م

صخرة أيّوب

• زهرة عز

بكهفه المظلم تمدّد أيوب مهموما يدغدغ كوابيسه، بعدما أرسل أحلامه في رحلة اقتناص لأشعة الشمس، حين اندلعت شرارة أضاءت عالمه المظلم.

بروميتيوس كان كريماً وهو يمنحه شعلة المعرفة وينير كل العتمة المحيطة به، عانق أيوب ظلّه أخيرا و أحلامه المتشبعة بالنور وتوجه لمدخل الكهف حيث صخرة العبث والبلاهة تسد منفذه، يرتجي معانقة الفضاء الرحب وكرامته، لم تعد هذه الصخرة عائقاً لحريته بعدما أنيرت كل زوايا عالمه المظلم، باستطاعته الآن لمسها عن قرب والتعرج على كل ملامحها المشوهة. استجمع قوته وبإرادة حديدية بدأ في زعزعتها ودحرجتها خارج الكهف، سؤال محيّر نغّص عليه لوهلة فرحه بأمل خلاصه، اين سيرمي بصخرته الملعونة؟ لم يتردد كثيراً وهو يقف على حافة قراره، سيرمي بها في العالم السفلي خارج زمانه ومكانه حتى لا تحجب الشمس عن غيره من الأيوبيين، فبذلك العالم أسفل السافلين، وقد يستأنسون بعبثهم وبلاهتهم وهم يقفون على رؤوس غبائهم ويتحسرون على تسرب النور والحكمة بين أصابعهم الهلامية.

اتسعت ابتسامة أيوب إشراقا وقد تشبّع بكل أسلحة النضال والتحدي لإزعاج البلاهة والعبث ومجابهتها في عالم أصبح بعيداً كل البعد عن العقل والعقلانية.

أدرك أيوب أخيراً وهو يرمي بالصخرة إلى الجحيم أن هدف حياته الأسمى يكمن في مواجهة مصيره وصناعة قدره وأن في موقفه الشجاع تكمن قوته و قيمة مايقدمه من تحدي وإصرار.

جدار برلين

(سردي / شعري)

• زكرياء قانت

تركت القصيدة نائمة تشخر وخرجت متسللا على أطراف أصابعي، كإوز الحديقة وهو يلاعب الأطفال قرب البركة .ذاهبا لأرض السرد دون تأشيرة دخول التجريب لا يتوقف داخل متن النص، أكتب أشياء غريبة الأطوار كتبت قصة نصف شخصياتها نمل و عناكب. كما قررت طرد شباب "إيمو" تسللوا لروحي بقصات شعر طويلة، تترك أعينهم دائما مغلقة و سواعدهم ملأتها الندوب.

أخبرني أصغرهم أنهم من أبناء عمومة القصيدة، وقد أرسلتهم لجعلي حزينا مرة أخرى. لأعود لبيتها صاغرا وهي تنتظرني كزوجة ثانية عند مدخل الخيال، وتوبخني عن تأخري في جلب الموز وهي بمرحلة الوحم.

سيؤلمها خبر طردي لأبناء عمومتها من الانتحاريين من بهو روحي، لا يدفعون الايجار في الوقت، يحدثون جلبة، ينامون في وقت متأخر... إضافة الى أنهم يسقون الكلمات بالقهوة بدل المطر. فهم فلاحون كسالى و لا يعتبرون الاستيقاظ في وقت مبكر، يعادل الذهب المشري و لا هم يحزنون.

بدأت كتابة الرواية التي أخبرتك عنها سابقا أكتب بمعدل خمس صفحات في اليوم، ما زلت في البداية أخط "بنوسطالجيا" أجواء مزاب. مقتبسا مقولات فلسفية بين الفينة والأخرى، فالشخصية الرئيسية طالب فلسفة. أتبع جنونه بالحبر، لأفهم سر النهاية المأساوية التي ورطته دروب الحياة بها.

عبد الله ازريقة و اللعبي ممتعضان من خيانتي لهما، وقد تزوجت زوجة ثانية (الحكاية) دون أخذ مشورة الأولى (القصيدة). اخترت أن يكون الزواج عرفيا دون عقد، أكتب في "أجوندا" بغلاف أحمر. دعوت بعد مغنيي "البلوز" للعزف على "الوتار"، لا أعرف الحل لتجاوز هذا الكم من البياض المتبقي لأملأه بالسرد والسرد. و ربما بخروف سردي، أجعله يعلف الخيال في انتظار العيد.

اشتريت قمصانا وردية احتفالا بالصيف، لرشوته بأن يكون أرحم من الفصول السابقة. و لأننا لا نملك بحرا كما هو الحال عندكم في الجديدة، أفكر بجدية في اقتناء بعض دلاح دكالة و الذهاب للتمرغ في التراب. كحمار سعيد لاعنا القصيدة، و كل الألم الذي أدخلتني فيه. وأنا أحمل الأوراق في جيوب محفظة سوداء، منتقلا بين سقيفة مقهى "موليير" و "كازابلونكا" باحثا عن إشراقة دهشة. بينما كوم من القصص المجانية يتحرك بالأزقة، و بالذاكرة كل يوم. الألم ضريبة القصيدة، بينما الكذب الأبيض ذخيرة السرد. وربما هذا هو سر نجاح الرواية على الشعر، ناطقو العربية اعتادوا سماع الأكاذيب في برامج المذياع على الخصوص. بينما الأجساد المتلاصقة تحول العرق بقدر قادر لبحيرة، في "طاكسيات" النقل الكبيرة البيضاء والسائق يحدث نفسه بصوت مسموع :

- "و الله الى هاد المذيع عفريت".

أتمنى فعلا أن أستطيع إكمال الحكي ،دون أن تأخذني مناديل ورقية على شكل أصفاد خيبات مشوهة لأرض الشعر مجددا. لأحزن كثيرا و أكثف كل ذلك في نص طويل ، أو شذرة.

لكنني أفكر في حيلة جيدة ،سأحاول إسعاد القصيدة هي الأخرى. سأشتري لها الموز الذي طلبته ،و سأدعو أبناء عمومتها لجولة معي في الزورق ،الذي تركته في الحضانة يلاعب أسماك القرش وبعض الدلافين سيئة السمعة.

توقفت عن التسكع في الحانات منذ ما يقارب الأربع سنوات، لكنني لا أزول صعلوكا سأجد حيلة لأعدل بينهما.

أرجو أن ترسل لي بعض الإسمنت إن كان لا يزال في حوزتك ،سأبني حائطا طويلا بغية التفرقة بينهما كألمانيا شرقية و غربية إبان الحرب الباردة .الشعر سيكون "خروتشوف" و كل الزعماء الحالمين بالتحرر، بينما السرد سيكون أمريكا .سيحتج الشعراء أمام سفارتها لكن ذلك لن يسعفهم في شيء، لن تتواصل معهم دور النشر، لن ينالوا جوائز. بينما الليبراليون من حلف السرد لن يتوقفوا عن جني الأرباح، والظهور على شاشة التلفاز بينما الشعراء لن يتذكرهم أحد إلا بعد وفاتهم.

نفس الأشخاص الذين تجاهلوهم بالأمس القريب ،سينشرون صورا معهم في ملتقيات من زمن غابر. خبأوها بعناية في انتظار الموت، ليقولوا أن الاسم الشعري الفلاني لم يلق الاعتراف بمشروعه.

صديقك زكرياء
يحييك من خلف السحاب

تنبيه هام : أرجو منك أن لا تنسى إرسال الإسمنت، في أقرب وقت لأفرض الحصار على الشعر و أجعل منه شخصا أكثر انضباطا. وربما بعض مناطيد الهواء، لأطرد الميليشيات الشعرية المختبئة في الجبال.

لحظة سقوط

• فؤاد الملواني

بعد صراع مرير مع مرض السرطان دام تلاث سنوات عجاف، حارب فيها بإستماتة حتى نفذت ذخيرته من الأسلحة الطبيعية والكيميائية والنفسية والدينية.

بالرغم من أن الحياة تخلت عنه وأفلتت يده، فإنه لايزال متشبتا بها بكل ما أوتي من قوة بغرابة ومذلة ومشقة، ما إن يترائى له بصيص أمل في الأفق إلا وركض نحوه. لم يترك طبيبا ولا دجالا ولا عشابا ولا رجل دين إلا وزاره بحثا عن ترياق ليستمر في الحياة. العيش أصبح هاجسه وأسمى أحلامه.

وأخيرا خارت قواه وضعف جهازه المناعي وبدأ شعره يتساقط بكثافة كأوراق الشجر التارز في فصل الخريف،أصبح جسده ضارعا تكاد الرياح تتلاعب به، أينما ولى يجد شبح الموت يلاحقه و يتنظر الفرصة للإنقضاض عليه، بالرغم من شعوره بأن المرض قد انتشر في كل بوصة من جسده وتمكن منه، إلا أنه يرفض الإعتراف بضعفه ويصر على تمسكه بخيوط الأمل العنكبوتية.

تمدد فوق سريره باستسلام تام ينتظر حتفه يصول ويجول بعينيه في جدران الغرفة المتهالكة. يحاول دماغه التفكير في كل شيء وفي نفس اللحظة في اللاشيئ اختلط عليه الأمر، هل يسترجع ذكرياته منذ الطفولة إلى حد اللحظة كشريط سينمائي يمر أمام عينيه بسرعة خاطفة؟ أم يظل صامتا قابعا منتظرا الموت لكي يخطفه في هدوء وتنتهي معاناته بشكل أبدي؟

يا إلهي لماذا أنا؟ ما الذنب القبيح الذي ارتكبته حتى أتعذب هكذا؟ أذكر جيدا أنني كنت بارا بوالدي، طوال حياتي كنت أتمشى بجانب الحائط، لم أتناول أبدا المخدرات، ولم أكن يوما مدمنا على شرب الخمور، بالرغم من كل هذا تخليت عني يا إلهي في أحلك لحظات حياتي، كنت دائماً أظن بأنك تحبني ولايرضيك عذابي ومشقتي ومذلتي. لكنني اكتشفت اليوم متأخرا أنك تكرهني وتمقتني.

لماذا أنا بالذات؟ لماذا يعيش الطغاة والجبابرة والظالمين حياة البذخ والترف وعندما تحين لحظتهم يموتون بسلام راضين كل الرضى عن حياتهم الماضية؟

لماذا يا إلهي تقسو على الضعفاء والفقراء من أمثالي وتحن على الطغاة والجبابرة، لم أعد أفهم مشيئتك، سأموت ملحدا بدافع الإنتقام. هل تستمتع بمعاناة المرضى أم أنك تتسلى بهم على هواك؟ دعني منك ومن غرابتك و من ضحالة خطتك، فأنت لاتستحق أن أخسر عليك آخر كلماتي و أثمن وأغلى لحظات حياتي.

ماذا سأفعل؟ خيار الانتحار مطروح أمامي بقوة لكن غريزة التشبث بالحياة تحثني على التروي ربما يعدل الإلاه عن خطته ويرسل معجزة من معجزاته ويخلصني من معاناتي. أه لقد بدأت أحتضر، أستطيع الإحساس بملك الموت جاثما على صدري يتنظر موتي ليسلب مني روحي ويترك جسدي غذاءا لديدان الأرض.

رفع يديه إلى المساء مستنجدا بكل الآلهة التي يعرفها "هيرا" "زيوس" "أثينا" "آمون" "أوزيريس" "إيمحتب" "الله" "المسيح" "بودا" "عشتار" انتظر قليلا وهو ينظر إلى السقف لعله يحصل على إشارة ما من أحد الآلهة. لم يحدث شيء، واستهل في شتمها جميعا بدون استثناء، آلهة لعينة تريد من البشر عبادتها، وفي المقابل لا تقدم لهم شيئا يذكر، لقد بلغ مني اليأس مبلغه، لقد بار إيماني.

نهض من سريره وجلس القرفصاء. فجأة جهش بالبكاء حتى بدأ يترنح،استجمع أنفاسه ومسح دموعه،وتمدد من جديد فوق السرير ينظر إلى سقف الغرفة.

سأموت قريبا وأدفن تحت حفنة من التراب، وستستمر الحياة بدوني كأنني لم أكن. ما الهدف إذن من وجودي على هذه الأرض؟ مجرد إنسان آخر يغادر الحياة عاريا كما أتى إليها أول مرة،مسلوبا من كل أملاكه وثرواته وكبريائه.

لقد ندمت أشد الندم على أمرين إثنين:

لوحة سقوط الملائكة المتمردين للفنان الباروكي الإيطالي لوكا جيوردانو، رسمت عام 1666.

الأول: عندما كنت شابا يافعا، بداخا،وسيما، مفتول العضلات ذو لحية جذابة، وشعر حريري، كانت فتيات الحارة يتوددن إلي ويحاولن الاقتراب مني، لكن عزة نفسي كانت دائما تمنعني من الركون إليهن، وهذا ما جعلهن يقولون عني متعال ومعقد.كنت أظن أن إعراضي عنهن سيجعلهن يدركن أن الشباب ليسوا مثل بعض متشابهين يسعون لنيل ود الفتيات بكل الطرق، لهذا السبب لم أحظ يوما بفتاة

أعيش معها قصة حب تستحق أن تروى، غاضب انا على عزة نفسي وأمقتها. كنت أعتقد أنني قادر على تغيير الصورة النمطية التي كونتها الفتيات على الشباب. لكنني اليوم آسف على ذلك وفيما ينفع الأسف الآن. انا أسف، وجد غاضب منك يا "تشيجيفارا" لقد كنت دائما تلك الشمعة التي تحترق لكي تضيء الطريق للآخرين، وها أنا اليوم وحيد، حزين، متعب، سقيم، أتلوى بحرقة في الظلمة، لم أجد بجانبي أولئك الذين احترقت لكي أضيء لهم الطريق. تائه ضائع أنا في العتمة ولا أحد ينير لي الطريق، لقد تخلى عني الجميع. يا ليتني تجنبت نصيحتك وعشت حياة طبيعية بدون عزة نفس أو كبرياء أو تضحية، لكنت الآن مستلقيا على السرير وإلى جانبي جسد أنثوي مثير يحضنني بقوة حتى تخرج روحي في سلام.

الثانية: كنت كالآلة أشتغل طوال اليوم، وأرجع في المساء إلى البيت متعبا خائر القوى وأستلقي فوق السرير منتظرا يوما جديدا وروتينا اعتياديا. لم أسافر قط، ولم استمتع بوقتي رفقة الأصدقاء، بل تقوقعت على نفسي وراكمت الأموال، وفيما ستنفعني الآن. لو أتيحت لي الفرصة للرجوع بالزمن للوراء لسافرت إلى باريس لكي أزور برج إيفل ومتحف اللوفر وقصر فيرساي، وأسافر إلى الصين لأرى صور الصين العظيم،وإلى إيطاليا لأستمتع بالنظر إلى برج بيزا المائل، وأزور أمريكا لأتمعن في تمثال الحرية الشامخ. كلها أماكن رغبت في زيارتها. وما يحز في نفسي أنها حياة واحدة ووحيدة ولن استطيع زيارة هذه الأمكنة و الاستمتاع بالتجول بين معالمها أبدا. كنت مقيدا طوال حياتي بالأغلال "القوانين، العادات، التقاليد والأعراف" لم أذق طعم الحرية قط، ولم أعرف معنى أن يكون الإنسان حرا، كالطائر يحلق أينما يشاء وكيفما يشاء، السماء كلها موطنه ولاتحده حدود ولاتقيده قوانين.

لا لن أموت هكذا مذلولا، سأجعل من موتي أيقونة! سأصعد إلى سطح البناية وأقفز إلى أسفل لكي أعذب كل من شاهدني وأنا أقفز، أريد أن انتقم من كل البشر لأنهم تخلوا عني وتركوني أموت وحيدا أسبح في معاناتي وأحزاني. ربما سأحشوا مسدسي بعشرة رصاصات أفرغ تسعة منهم في رأس بعض البؤساء المعذبين، وأترك الرصاصة الأخيرة لكي تستقر في دماغي وتبعثر أشلائي في مشهد يرعب القلوب.

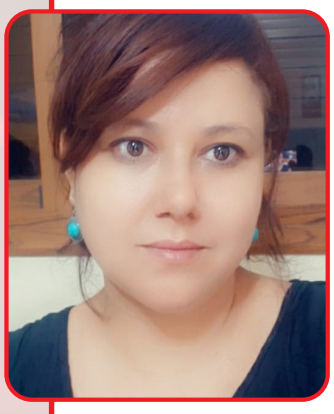

• كمالي سعاد

خيانة

كيف تغزلت عيناه بخصر غير خصري
كيف داعبت يداه شعرا غير شعري
كيف حل الجمال في غيري ؟
نزف حبر قلمه ،فاغتصب عذرية أوراقه
ثم أعلن الخيانة
اليوم أقلدها عرشي مكرهة
أعض على شفتي متحسرة
أعصر قلبي..وبلا دموع أبكي
بقلمه قدر الحياة والموت
فلتعش هي.. أما أنا فقد مت
منذ صرت أمة في معبدي
وأسيرة في مملكتي

دعوة لمزاد علني

أفلس رصيد حبنا
رقم مشاعرنا صار صفرا
وباءت محاولات الإنعاش بالفشل
عدنا إلى صندوق ذكرياتنا
لعلنا نجد ما ينعش إحساسنا
فتهنا في الفراغ
وللأسف لم يتحرك العداد
سيداتي سادتي
ألان نفتتح مزاد بيع قلبينا
A la uno A la doe A la tree
وبداية السعر
احتواء أمان وسكون

رحيل

خمس سنوات مما تعد
وخمسون عاما مما أعد
في صمت تدور عقارب الساعة
تذكرني بأن الزمن يمر بدونك
وبدون أن أرى أهداب عينيك
تنحني خجلا من خوفي عليك
خمسون عاما مرت
ندما أحترق كل ليلة
في اليوم انتحر ألف مرة
لأنني ولجبني
لم أحضنك بقسوة
تثنيك عن الرحيل

بلاد الشوك

• مريم معاد

بلاد الشوك
كانت بلادي
كانت خيمتي و دواري
رافدة همي و ساترة عاري
فيها مْذْزيَّة
على نفخة عدويا و دل جاري
هاديك بلاد الشوك
ماها من السما مكْطْرْ
زهر صافي
و عسلها فالكْدور وافي
كانت جنة القْصور
و المسك سارح فيها بخور
قبل لا ضربها
الجايحة الكحلة
ضربت العدو لكْفا على غفلة
بعدما الروح تْكَّاتْ
و على ضو الشمعة شَهْدات
نْحَرها الطاعون
و كيِّتها فالمطفية تكلمات
بلاد الشوك
كانت سلطانة
بقميص و حناني وكحل من الحْيَا
وسط دويريَّةمْسيْجَة بالضَّرْيا
هاديك بلاد الشوك
مرسم حار بالولاد و الاوتاد
يا الوالي يا القايد يا الفقيه الحكمة
راني طامعةو من فُمِّي ليك حيدت اللُكْمة
أرى يْديك نتحَزمو و نسُرُّو
الهم فالرُزْمة
راني خاوِيتْ الكَمْرة فالمنام

هي تشوف و انا نشوف
حتى شفت السواكْي سايحة
حليب و ما
هي تشوف و انا نشوف
حتى شفت شعبان
مكَحْل العْيون و الحْجْبان هْلال
و مْشَبْر فشجرة عالية
بخال و خُلخَال
هي تشوف وانا نشوف
حتى شفت بلادي
بارزة و مْزَنْكْة بالخير و الحشمة
بارزة وسط الحكيم
و الشيخ و العْيَان
بخاتم و نبالة و مضمَّة
يا الوالي يا القايد يا فقيه الحكمة
خير و سلام بلادي حَرَكْتْ الشوك
و حَوْضْت عالكرمة
يا الوالي يا القايد يا فقيه الحكمة
خير و سلام بلادي غَرْقْت قبر
فروضة منسيَّة
و بلا صلا بلا ضمَّانْ
ردَّات التراب عالطاعون بالعسريَّة
و سيْجاتو بسْطَارة
من شيح و شقوف
و على شاهدو ردمات الخوف
يا الوالي يا القايد يا الفقيه مول الحكمة
بلادي وقفات الخزانة
وصيفات بالرزانة
و بردات الجوف

متاهات المعنى

• فريدة بوقنة - الجزائر

ما معنى أنْ تَختارَ لِمقْصَلَةِ الفوضى جَسَدَكْ!!
ما معنى أنْ تَتَرَهْبَنَ فِي الغَلَيانِ،
بُخارُكَ مِسْكُ اللهِ وغَيْمَتُهُ،،
قَدَرٌ يَتْلو بَرَدَكْ.
ما معنى أنْ تَهَبَ الأَنهارَ حَصاكَ
لِتُرْبِكَ تَيّارَ الأسماءِ إِلَيْكَ،
يَتامَى الهَتْكِ،
رسائِلَ ناي فِي أُرْكِسْتْرَا الرِّيحْ،
أنْ تَشْمَلَ بِالمعنى فِي كَأْسٍ مَثْلومِ،
أنْ تَفْتَحَ نافذَةَ المونالِيزا
لتَرَاكَ بِعينٍ فارِغَةٍ لا تَقرَأُ كَفَّ الرّوحْ؛
ما القلْبُ وَأَنتَ تَحيكُ لَه الأعذَارَ بِشِريانٍ فَالِتْ،
تَتَسَلَّقُ ظِلَّ حَبيبٍ مَمْسوسٍ بالرَّكْضِ،
تُرَقِّعُ نَعْلَ الرَّمْلِ لتَسْبَقَ سيرتهُ،،،غَدَكَ الفائِتْ،
لا مَنْحَى لِلْمَعْنى،لا خُطّةَ لِلْهَذَيَانِ.
تُطَارِدُ عُمْرَكَ فِي دَغْلِ الغَيبِ المَلجومِ،
تُجَدِّدُ خارِطَةَ البَدَدِ الأُولَى
تَنْسَى اسْمَكَ،،
تَطْرُقُ بابَ سَماءٍ ثامنَةٍ فَتُعَانِقُكَ السُّحُبُ الحُبْلى
سَتَضِلُّ هنَاكَ،،،
كما الصِّفْرِ الأَعمى السَّكْرَانِ بِكَأْسِ فَراغْ،
سَتَعُودُ إِلَى الصَّمْتِ الموروثِ مِنَ الأسرارِ،،،،
تَعودُ إِلَى الإيقَاعْ.

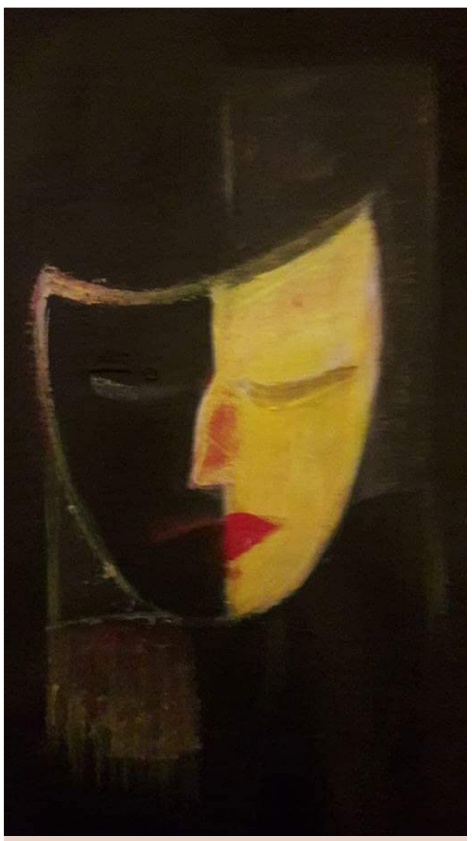

إهـداء لـروح المسـرحية ثريـا جبـران..
لوحة تشكيلية للمبدع برحمة نورالديـن.

حوار مع الشاعر والناقد عبد الغني فنان

• محمد معطسيم

• عبد الغني فنان

يتحدث عبد الغني فنان عن الفوتوغرافيا في المغرب الكبير، والتجربة الفوتوغرافية الرائدة لداوود أولاد السيد. كما يكشف عن علاقة عبد الكبير الخطيبي بالفوتوغرافيا وهو الذي قابله شخصا وقرأه نصا. وعن آسيا جبار، في بحثها عن إعادة كتابة تاريخ الأدب الجزائري والمغاربي، وفق منظور متعدد وغير متمركز، ينصت للأسئلة الصامتة عبر الحكايات والصور الصغرى. وأخيرا يبوح لنا عن الشعر، الذي يمشي معه في الأسواق، وينام معه على وسادة واحدة، فلا يوم، يمر في برنامجه اليومي، دون قصيدة. يكتب عبد الغني بالفرنسية، لكنه عندما تترجم نصوصه إلى العربية، يعلن انتماءه إلى هذه النسخة، وكأنه يكتب نصه مرة ثانية، وبيديه: إنصات، هدوء، تنازل...تفاوض بتعبير أمبرطو إيكو لما يلتقي الكاتب ومترجمه، تلك هي حال هذا الشاعر الناقد.

1 - المتتبع للكتابة لديك، يلاحظ أنها تمشي على قدمين: الفوتوغرافيا والشعر. لنبدأ بالفوتوغرافيا وقد أنجزت حولها كتابا " الفوتوغرافيا في المغرب الكبير" وما أنجزته أيضا حول الفنان الفوتوغرافي والسينمائي داوود أولاد السيد.

يعد كتاب "الفوتوغرافيا في المغرب العربي" الصادر عن Aimance Sud Éditions، سنة 2018، والذي أشرفت عليه، الأول من نوعه في العالم العربي. فهو بالتالي يملأ فراغا في هذا المجال. وقد تطلب إعداده أكثر من ثلاث سنوات. أما موضوعه فيتناول الفن الفوتوغرافي في المغرب الكبير من الفوتوغرافيا القديمة (جوزيف بيدرا، غابرييل فيري، غايتان دو كليرامبو، السلطان مولاي عبد العزيز...) إلى الفوتوغرافيا الناشئة المعاصرة (عطيف برجديم، هشام غرداف، لولا خلفة، زهرين كالو، ...) فالمسعى هو تأسيس إطار للتفكير، وتبريز الفن الفوتوغرافي في بلدان المغرب الكبير، وهو ما يتحقق تدريجيا. واعتقد أن هذا الكتاب يساهم في ذلك، ويسعى إلى إبراز ما اسميه "La photo-sensibilité maghrebine" والقول بأن الوقت حان، لتجاوز التحديات المعيقة للاعتراف بهذه التقنية وبها الفن ، من أجل إحداث تغييرات في حساسيتنا الفنية وفي الإنتاجات الرمزية.

2 - لماذا الفنان داوود أولاد السيد؟

داوود أولاد السيد، صاحب فوتوغرافيا قوية، لم يتم الانتباه إليها إلى حد الآن، مثلما لم يعترف للفوتوغرافيا بدورها السياسي والاجتماعي، وقيمتها الفنية والوثائقية، في المغرب، والمغرب الكبير، والعالم العربي.

حينما رأيت الأهمية التي حظي بها فوتوغرافيون من قبيل: مالك سيديبي، وسيدو كايتا أو أيضا، جيمس بارنور في الآونة الأخيرةٌ، قلت في نفسي ولم لا داوود أولاد السيد؟

تكلمت عن القوة، لأن داوود يملك عينا بريئة متوحشة، نحس أن هناك شيئا جموحا وحرونا في نظرته، بعض الشيء، لصورة المغرب، الذي يحمله في ذاكرته لما كان طفلا وشابا، وهو عمد الى تصويره دائما بنفس الاختيارات؛ في التأطير، والتركيب، والتصاميم، والتيمات (الجنوب، الصحراء البادية، الشعب، الهامش...) لكن دون السقوط في التبئيس والشعبوية. وبخلاف المثقف، فإن الفنان يكتفي بالوقوف على الجمال، حيث اختلال الأشياء، دون أن يتعدى الأمر ذلك.

لن نفلح في التعامل بجدية مع هذه الفوتوغرافيا، ما لم نضعها في سياقها العام؛ التحرر من الاستعمار والحركة العالم -ثالثية، كما تم التعبير عنها مثلا، في نصوص محمد خير الدين- وما لم نربطها بحياة داوود أولاد السيد، بيتمه، وتكوين حساسيته الفنية، التي تأثرت ببعض الأسماء الكبيرة مثل "هنري كارتيي-بريسون" وباولو بازوليني"

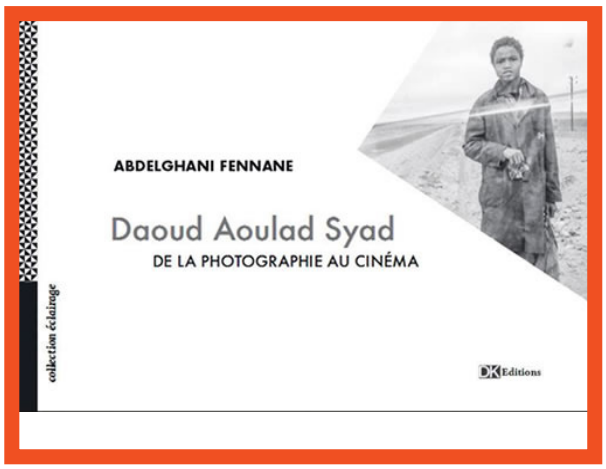

3 - سبق أن تناولتم موضوع الفوتوغرافيا في مقال:" عودة الميت" نشرتموه في مجلة" Expressions maghrébines " (صيف 2012) تحدثتم فيه عن عبد الكبير الخطيبي. ما علاقة هذا الأخير بالفوتوغرافيا؟ وكيف ساهمت هذه الدراسة المخصصة له في ظهور العمل الجماعي الذي أشرفتم عليه:" La pho- tographie au Maghreb, Aimance Sud Éditions, 2018 " ؟

وأنا أشتغل على منتج عبد الكبير الخطيبي، ساءلني هذه الأمر، وقد يبدو قليل الأهمية، أو على هامش الأسئلة الفلسفية أو الأدبية أو السوسيولوجية أو السياسية التي يطرحها ذلك المنتج. في رواية "صيف في ستوكهولم" الصادرة سنة 1990، أي بعد مرور اثنتين وعشرين سنة على صدور دراسته الأولى:" Le roman maghrébin (l'Harmattan)"، فلأول مرة، يضع الخطيبي صورته على ظهر غلاف أحد مؤلفاته. يبدو لي أن هذا "التخفي " أمر منسجم مع مرجعياته، باعتبار أن مفكرنا وكاتبنا كان يتحدث كثيرا عن "الاختفاء"، وهو في ذلك متأثر ب «راينر-ماريا ريلكه" و"موريس بلانشو" وغيرهما.

في هذه الرواية، المشهد هو التيمة الرئيسية، حيث تستخدم الحواس، لا سيما فعل المشاهدة من زوايا مختلفة، بما في ذلك، المسح الجوي. صورة الخطيبي أعيد تأطيرها - يتعلق الأمر إذا باستشهاد - بطريقة تثير الانتباه الى الإطار والعين، والأصبع (التي تكتب وتشغل الالة الفوتوغرافية)...

قادني هذا العمل إلى دراسة مؤلفات كلاسيكية حول الفوتوغرافيا: (الغرفة المضيئة ل «رولان بارث"، حول الفوتوغرافيا ل «سوزان سونتاغ"، وفوتوغرافيا ومجتمع ل " جيزيل فروند" والعمل الفني في عصر إعادة إنتاجه تقنيا ل "والتير بنجامين"... ولاحقا انصب اهتمامي على كتاب ومنظرين آخرين يكتبون حول الصورة والصورة الفوتوغرافية، بصفة خاصة، ولا سيما "باسكال كينيار" و"جورج ديدي-هوبيرمان".

التقيت بعبد الكبير الخطيبي سنة 2007، بالمعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط، أي سنة قبل صدور «الناسخ وظله" Le scribe et son ombre (Éditions La Différence, 2008) . لفت انتباهه إلى هذا الجانب، وحدثته عن قراءتي له. وعندما أتيحت لي قراءة كتابه فاجأني الفصل الأخير من الكتاب" Vœu de réincarnation " الذي استهله بكلمة "فوتوغرافيا". يتعلق الأمر ب "رغبة" أو حلم الاشتغال مع فوتوغرافيين ومصورين مختلفين، على صورته الشخصية. تحقق هذا المشروع، في جزء منه، بضع سنوات، قبل رحيله، لكن، في حقيقة الأمر، لم يصل إلى شكله النهائي.

كان عبد الكبير الخطيبي متعددا مثل كثيرين من مثقفي جيله، وكان ضمن الكتاب المغاربيين القلائل الذين انتبهوا إلى الفوتوغرافيا بوصفها تقنية ثورية ومارداة، وهو الذي يشتغل على الآخر والسيمولاكر. كتب أيضا مقدمة كتاب داوود أولاد السيد "المغاربة". لكن الخطيبي عندما يتحدث عن الفوتوغرافيا أو التشكيل، فهو يتحدث عنهما كمتذوق للفن أكثر منه ناقدا لهما. فهو لا يدرسهما انطلاقا من خلفية نظرية. بل يستقطبهما إلى عالمه.

وفي هذا يختلف مؤلف" الفوتوغرافيا في المغرب الكبير"

La photographie au Maghreb, Aimance Sud Éditions, 2018

حيث الفوتوغرافيا موضوع مركزي، يعالج بمقاربات متعددة، ومن مختلف جوانبه التاريخية والاجتماعية، والسياسية والمعاصرة.. وبعدة نظرية. فلأول مرة، الممارسة الفوتوغرافية، في هذه المنطقة من العالم، أي بعد قرنين من الزمن، تقريبا، على وجودها، تكون موضوعا للتفكير بمساهمات مختلفة، مجمعة في هذا المؤلف. لقد بقي هذا الموضوع، إلى يومنا هذا، مهمشا لا تقتحمه الدراسات الاجتماعية والجمالية.

حوار مع الشاعر والناقد عبد الفني فنان

• محمد معطسيم

4 - الراصد لأعمالك تستوقفه هذه الالمعية للخطيبي finesse فيها. كيف عرفت الخطيبي؟ واين كان لقاؤكما؟

لا، أنا لا أدعي انني أعرف عبد الكبير الخطيبي معرفة شخصية، التقيت به أربع مرات، مرتين بمكتبه بالمعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط، ومرتين بمراكش. أحيانا تكون لقاءاتنا بالكتاب والمفكرين الذين نكن لهم تقديرا كبيرا دون انتظاراتنا. حينما نقترب من عبد الكبير الخطيبي ندرك بسرعة أنه مزيج من الرقة والعذوبة، الكآبة والصرامة. يبدو عليه شيء من لإهمال، ونوع من الغندرة dandysme. تحس أمامه بحضور ممزوج بالشرود، غير أننا نخمن سريعا أنه يلاحظ ويلتقط كل شيء. التقيت بالخطيبي الأخير، مضيافا كعادته، لكنه أقل جاهزية من ذي قبل، حسب ما أخبرني به اصدقاء له، ربما لعامل السن ولصداقات مخيبة للآمال.

5 - هل قرانا الخطيبي فعلا؟ وما راهنيته؟ واي إرث ترك لنا؟

جزء كبير من منتج عبد الكبير الخطيبي، غير مقروء. فليس بإمكان القارئ العربي سوى الاطلاع على جانب مترجم من اعماله، أو من خلال مقالات في الجرائد والمجلات. بالنسبة لراهنيته، فهي جلية عبر أسئلة العلاقة بالمقدس وبالذات في المجتمعات العربية الإسلامية، وسؤال الغيرية، والعلاقة مع الآخر، خاصة في السياق الحالي للهجرات وأشكال التطرف الديني أو العلماني، ومسار التحرر من الاستعمار الذي يتعزز اليوم في إفريقيا، عبر روابط تحتية مع "الكريولية"، وسؤال "النسوية" الحاضر لماما في أعماله...دون أن ننسى كتابته الطلائعية، الكتابة بوصفها قيمة في ذاتها.

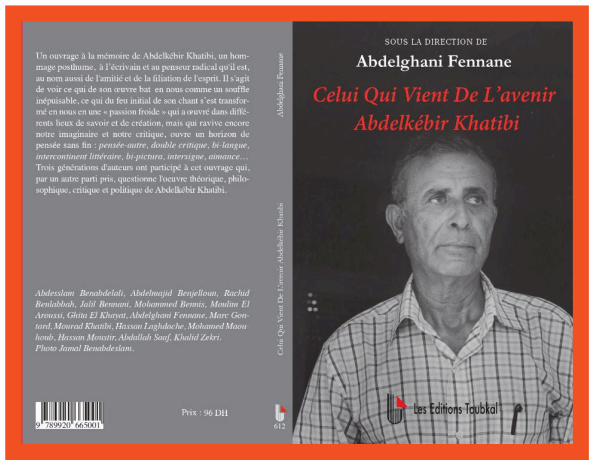

6 - تؤطرون أسيا جبار فيما سميتموه" بياض الجزائر، بياض الكتابة" كيف ذلك؟

أسيا جبار صاحبة أعمال طلائعية، في السرد والسينما. ابتدعت لنفسها لغة خاصة، تتموقع بين الشفاهي والمكتوب، والصورة، والتفكير... أعمالها مزعجة للدوكسا، في الجزائر، والعالم العربي الإسلامي، كما هو الشأن بالنسبة للغربيين، وفرنسا تحديدا في هذه الحالة. عملها نبش في التاريخ وإعادة لكتابته عبر حكايات وأصوات صغرى، تاريخ غير متمركز ومتعدد. في كتابها:" بياض الجزائر" (Albin Michel, 2002) تتحدث عن الجزائر بوصفها تراجيديا. تحتفي بالمثقفين الذين تم اغتيالهم خلال العشرية السوداء. كتاب يرن مثل قداس. لكن، بالموازاة مع ذلك، فإنها تقدم صيغة اخرى لكتابة تاريخ الأدب الجزائري(والمغاربي). ومن هنا فان كتابها يمكن ان يقرا كرجع صدى لمؤلف الخطيبي"صور الأجنبي في الأدب الفرنسي" (Denoël,1987)، هنا ستنضم إلى ما أسميه «L'utopie de l'internation littéraire» إذا سلمنا أن هذا الأدب، ونعني بذلك الادب الجزائري والمغاربي) عرف بدايته، منذ فترات بعيدة جدا، بنصوص مكتوبة باللاتينية، وأن هناك أدبا قبائليا، وكتابات نسائية تسلك طرقا مختلفة في التعبير، وإذا سلمنا أن كامو، وسناك... هم أيضا بشكل من الاشكال كتاب جزائريون، فسيكون بالإمكان كتابة تاريخ آخر للأدب الجزائري، مغاير لذلك الذي تشيعه الدوكسا. والحال أن نفس العرض تحمله الثقافة، سواء كانت جزائرية أو مغاربية، الذي جعل من هذا الأدب "دخيلا" و"غريبا" مما يفرض الصمت أو المنفى. إنها نفس الأرثوذوكسية الكاتمة لكل الأصوات المنشقة، كيفما كانت جهتها ولغتها في التعبير.

7 - الشعر عندك حاضر في برنامجك اليومي، فلا يوم يمر دون قصيدة، الشعر منغرس في حياتك وكتابتك، فإذا كان الخطيبي مفكرا - شاعرا كما تقول عنه فانت شاعر- شاعر، أي سر فيك؟

الشعر عنصر أساسي في كتابتي. سواء فيما أكتبه حول الفوتوغرافيا، أو حول أعمال كاتب ما، أو فيما أنظمه من شعر. الايقاع، الموسيقى، التعبير بالصور، إيروسية اللغة... كل هذه الأشياء تلازمني كيفما كان الموضوع الذي أتناوله. الكتاب الذين تأثرت بهم (بارث، موريس بلانشو، الخطيبي، ملارمي، رامبو، كافكا..) يضعون الشعر في صميم كتابتهم وفكرهم « Poèmes en seul majeur » (L'Harmattan, 2015) ديواني الشعري هو تتويج لتجربة في الحياة، ولمسار في الكتابة. في البداية، ينبغي قراءة هذا الديوان من عنوانه، عنوان بذيء (أترككم لتخمنوا لماذا) وأعتقد أنه غير قابل للترجمة. كتبته بروح من الوقاحة الشعرية، مع المغامرة أن قراءته لن تستهوي إلا قلة من القراء، غير أنني أتحمل مسؤولية اختياري.

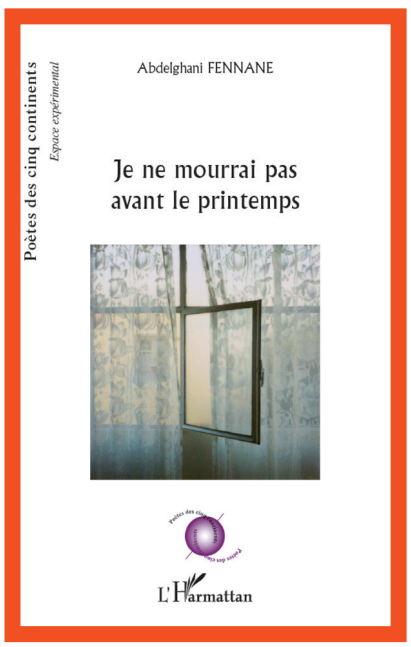

• محمد معطسيم

الهجرة وصدام القيم الثقافية

ليست الهجرة إلى الغرب، المتقدم حضاريا، مجرد أسراب وأجيال من البشر يغادرون أوطانهم الفقيرة إلى بلدان تؤمن معاشهم وتحفظ كرامتهم. هي حيوات مكلومة في الغالب الأعم تبحث عن هواء جديد وفرص أجد لترميم وجودها الإنساني حيث الإنسان هو الجوهر. يرتد المهاجر عن أمه الأرض، عن وطنه الشاهد على صرخته الأولى، لكنه لا يترك الجمل بما حمل.. بل يحمل معه حقائبه ونذوبه وكل ما ترسخ في عقله من نمط في العيش والتفكير. يحمل معه سجلا حافلا من الذكريات الأليمة والمترسبة في باطن العقل. يهاجر وكأنه يدير ظهره لوطن غادر، لأرض خؤون تضيق عن أحلامه التى لا تتعدى مسكنا يقيه العراء وشغلا يجنبه الفاقة والتسول.

يبدو منذ الوهلة الأولى أن المهاجر يصبح في حل من مشاكله بمجرد أن تطأ قدماه بلد المهجر وبمجرد أن يجد عملا قارا ومسكنا يأويه. والحال أن بعض المشاكل تبدأ بالتفاقم نتيجة حالة الإغتراب التي تداهم الوافد الغريب، إذ تنجم عن أسباب إجتماعية واقتصادية لم تكن واردة في الحسبان. ولاسيما إذا لم يكن المهاجر على قدر من الإنفتاح والتسامح مع محيطه الجديد.
وقد تطورت دواعي وأسباب الهجرة منذ بداية سبعينيات القرن الماضي، حيث كان يتدفق عشرات الآلاف من العمال والحرفيين الذكور، وأغلبهم من دول فقيرة من شرق أوروبا أو آسيا وأفريقيا. بعد ذلك وتحديدا بداية الثمانينيات توالت أجيال من المهاجرين الطلبة والمهندسين ذوي الخبرات والكفاءات العالية.
غير أن ظاهرة الهجرة عرفت تحولات بنيوية ببروز ظاهرة التجمعات العائلية التي أحدثت صدمة ثقافية، عصفت بكثير من الأسر. فمع نزوح عائلات عربية مسلمة إلى كندا واجه كثير من الأزواج، بسبب نقص في الكفاءة ومحدودية المؤهل الدراسي والعلمي، جملة من المعضلات تتعلق باللغة وصعوبة الإندماج في النسيج الإجتماعي الكندي والولوج إلى أسواق الشغل، مما جعلها تعيش تحت الضغط والعجز عن إيجاد حلول للمشاكل المادية و النفسية والأسرية المتراكمة.
يحدث هذا الوضع تصدعا أسريا في كثير من الحالات ويدفع بأرباب الأسر وهم في الغالب ذكور إلى إرغام زوجاتهن على تفريخ مزيد من النسل بهدف الإستفادة من التغطية الإجتماعية المتاحة للأسر المعوزة، وهي حيلة تتلائم مع استراتيجية الدولة الكندية التي تسعى إلى إعمار البلد بمزيد من المستوطنين الجدد. غير أن هذا الأمر يثقل كاهل المرأة ويحولها إلى أداة ربحية ويفقدها الإحساس بآدميتها.
ذاك أن المرأة المهاجرة تهفو إلى وضع إجتماعي مريح ينسيها حياة النكد والعوز التي لازمتها لسنوات طوال بالوطن الأم، فتصبح في حالة من الإكتئاب والضيق مما يحيق بها. أيضا إنفتاح المرأة العربية المسلمة على المجتمع الكندي والإنخراط في برامجه الإجتماعية والثقافية قد يحدث غيضا لدى الزوج الشرقي الذي يرفض أن تنقاد "الحرمة" وراء مغريات الحضارة الغربية بل يرفض رفضا قاطعا أن تخرج من عصمته أو تفكر يوما في التحرر من سلطته، ظنا منه أن حرية الزوجة تفقد الرجل هيبته وتمس بفحولته.
هي إختلالات كبيرة تحول دون هجرة سليمة وتتسبب في كثير من المآسي الأسرية، تؤدي ثمنها المرأة المغلوب على أمرها والأبناء أمام حالات الشقاق والطلاق المتزايدة في أوساط الجاليات العربية المسلمة.
وتفيد كثير من التقارير التي أنجزتها بعض المراكز البحثية المتخصصة في شؤون الهجرة أن نسبة الطلاق تبقى عالية نسبيا في أوساط الجاليات العربية بسبب الضغوطات التى تتعرض لها المرأة المهاجرة. فالهجرة من زاويتها القاتمة تكشف عن أوضاع مأساوية بسبب سيادة العقلية

◆ فيروز فوزي

الذكورة المتسلطة والتي تمنع المرأة من التمتع بحقوقها كاملة في مجتمع متقدم يصون حقوق الإنسان، حقه في حرية غير محكومة بالتقاليد والنواهي المجحفة في حق الإنسانية. نسبة كبيرة من النساء يرضخن للأمر الواقع ولا تشكل الهجرة بالنسبة لهن منفرجا لتحسين أوضاعهن المادية والحقوقية، بل تسوء في أحايين كثيرة وتفضي إلى عاهات نفسية مدمرة. بعض النساء يخترن الممانعة والمقاومة من أجل الإنعتاق من سلطة الزوج المتجبرة، مما يجعلهن أمام خيار أبغض الحلال وقد يعرض هذا الوضع أطفال الأسر المتصدعة إلى مآلات تضر بصحتهم النفسية.
فالهجرة بهذا المعنى هي هجرة عقليات تصطدم بالواقع الجديد، و بالقوانين والأعراف الحديثة والديمقراطية حيث تؤول فيها السيادة للقيم الإنسانية على أساس المساواة في الحقوق والواجبات وحيث "الذكورة" أو "الفحولة" لا تعدو أن تكون حالة بيولوجية حيوانية. يكون أمام الوافدين إلى أرض المهجر خياران، إما الإنخراط في المنظومة القيمية الجديدة والإيمان بها تنظيرا وتنزيلا وإما اجترار قيم وأعراف الوطن الأم بكل ما تحمل من تناقضات وأعطاب حد الإخلال بالقوانين والقيم الكونية.
أمام هذا الإختلال البنيوي في القيم الذي يعتور بعض العقليات المهاجرة تبرز أهمية التأطير الإجتماعي والمواكبة الصحية لمساعدة الأسر الهشة وتيسير سبل الإندماج السلس والتأقلم مع البيئة الجديدة لتلافي كل أعطاب الهجرة، وهي مسؤولية الجمعيات والمراكز والمؤطرين الإجتماعيين لقيام بأدوار الوساطة الإجتماعية وتقديم حلول ناجعة لرأب التصدعات الأسرية المحتملة في أوساط المهاجرين.

◆ فيروز فوزي - مونتريال كندا
رئيسة المعهد الكندي المغربي للدراسات والأبحاث حول الهجرة والتفاعل الثقافي ICER2I.

السلطات الزيمبابوية تعتقل السينمائية" تسيتسي دانكارمكا"

اعتقلت السلطات الأمنية لدولة الزيمبابوي السينمائية والكاتبة" تسيتسي دانكارمكا" خلال مشاركتها لحركة احتجاجية مناهضة للسلطة القائمة بزيمبابوي، وقد اصدر السلطات المعنية بلاغا تحذيريا للمتظاهرين بمنعهم من تنظيم التظاهرة الاحتجاجية التي عرفتها أهم ساحة العاصمة هاراري واعتبرت كل مخالف هو من مثير قلاقل والعصيان المدني وأمام تشبث المتظاهرين بتنظيم صيغتهم الاحتجاجية وأمام عدسات وكالات الأنباء الدولية تم اقتياد تسيتسي دانكارمكا وهي تحمل لوحة تطالب من خلالها بالمزيد من حريات التعبير صحافيا ... لشاحنة الشرطة رفقت آخرين ممن شاركوا في الوقفة الاحتجاجية فهذه الشاحنة كانت مجهزة ببنادق للقناصة وأجهزة مكافحة أعمال العصيان وقد حصلت هذه المواجهة التي دعت إليها المعارضة الزيمبابوية (أحزابا ومجتمع

مدني) جاءت من اجل إيقاف ما اعتبرته " فسادا " ترتب عنه تضخما ماليا تجاوز 700 ٪.
فيما اعتبر رئيس البلاد "إيمرسون منانجاوا" المسالة مؤامرة للإطاحة به فواجه معارضيه باعتقال. وتذهب تبريرات ضعيفة وراء هذه الموجهة إلى " قيود الفيروسات التاجية."
وتجدر الإشارة إلى أن " تسيتسي دانكارمكا" مرشحة لجائزة البوكر لسنة 2020 وهي مواليد سنة 1959 دات بشرة سوداء ومابين سنة 1994 و 2015 ساهمت في صناعة 20 شريطا كتابة أو إخراج من كافة الأصناف فهي قد كتبة القصة والرواية والشعر والسيناريو والمسرحية ولهذه الاعتبارات وأخرى اختارتها اعتبرتها وكالة الأنباء بي بي سي من بين 100 سيدة مؤثرة في العالم.

◆ ثلاث عبد العزيز صالح

ثريا المسرح المغربي

◆ مخلص الصغير

منذ ستينيات القرن الماضي، ظلت ثريا جبران تمشي على خشبة المسرح المغربي في انحناء وكبرياء، يوم لم يكن المسرح مفروشا أو مكللا بالأزهار، ولكنه كان مشتعلا بالجمار. بعدها بسنوات، تعرضت ثريا للاختطاف على يد مجهولين، إبان سنوات الجمر والرصاص، لما كانت تستعد للمشاركة في برنامج تلفزيوني. وقد قامت تلك الجهات المجرمة بحلق شعرها، تنكيلا بامرأة ليس لها من ذنب غير محبة الجمال.

فن المسرح كان قد اختطف ثريا جبران من قبل، حدث ذلك قبل نصف قرن من اليوم، في سنة 1964، تحديدا، مع فرقة "الأخوة العربية"، حين ظهرت ثريا في مسرحية "أولاد اليوم"، عن طريق المصادفة، ومن خلال "النظرة الأولى". كما يحدث في بداية كل عشق وغرام. كان زوج أختها محمد جبران يتدرب مع فرقة الأخوة، في مدينة الدار البيضاء، وهو يؤدي دور عاشق ارتبط بفتاة حملت منه. وبينما هو يعبّر عن خوفه من أب المعشوقة، وقد اقترب موعد الولادة مع تقدم الزمان، وظهرت علامات الحمل للعيان،في الوقت نفسه، كانت زوجة محمد جبران في مدينة الدار البيضاء على فراش الولادة، حيث طلبت الأسرة من الطفلة ثريا أن تتوجه إلى حيث تتدرب الفرقة، وحيث يوجد زوج أختها، لتداهم ثريا أعضاء الفرقة، وهم يتدربون، وتقتحم الفضاء، مخاطبة خالها: "عزيزي، راه تزادت عندك بنت"، أي أن زوجته قد أنجبت منه بنتا.

ومن حينها، أنجبت هذه اللحظة المسرحية ممثلة لا تضاهى في مسرح المغاربة اسمها ثريا جبران. وكان المخرج عبد العظيم الشناوي قد انجذب لطلعة ثريا جبران وتلقائيتها في التعبير والكلام، منذ تلك اللحظة، فقرر الاحتفاظ بالمشهد في مسرحية "أولاد اليوم"، والاحتفاظ بثريا، التي شاركت في ثلاثة عروض لهذه المسرحية، قبل أن تعبر مسارا حافلا من مسرحية "أولاد اليوم" إلى فرقة "مسرح اليوم"، مرورا بفرقة "الشهاب" وفرقة "المعمورة" و"القناع الصغير"، ثم العمل في "مسرح الطيب الصديقي"، وتجارب ومواهب أخرى...

لم يكن مهما أن يتم تعيينها وزيرة للثقافة في المغرب، هي التي تحتل منصبا كبيرا في قلوب المغاربة

درب السلطان

ثريا جبران هي خريجة درب السلطان، أحد أقدم وأعظم أحياء مدينة الدار البيضاء، ومهد الكفاح الوطني ومسرح الشهداء. وفي هذا الحي سقط خالها المقاوم المعروف بـ"السي علي" شهيدا في شارع الفداء. ودرب السلطان هذا هو مسقط رأس العديد من المشاهير المغاربة، مبدعين وفنانين ورياضيين، وهو درب الرجا، ودرب الأب جيكو وبيتشو والظلمي، من نجوم الكرة، والحاجة الحمداوية ورجاء بلمليح في الغناء، والشناوي والتسولي وصلاح الدين بنموسى وعبد القادر مطاع وسعاد صابر وعائلة البدوي، في المسرح والتمثيل وكل فنون الآداء.

هنا، في درب السلطان، ولدت "ثريا المسرح المغربي"، كما يسميها صديقها الشاعر المغربي عبد اللطيف اللعبي، وكان ذلك زمن الاحتلال الفرنسي للمغرب. والمفارقة أن ثريا ولدت في حي يدعى "حي الإسبان"، وهو يحمل اسم المستعمر الإسباني الذي كان يحكم قبضته على شمال البلاد.

بعد سنتين، وتحديدا، سنة 1954، سوف تنتقل أسرة ثريا إلى درب الشنتوف، في درب السلطان دائما. التحقت ثريا بـ"مدرسة الفداء بنات"، في الشارع نفسه الذي سقط فيه خالها "السي علي" بطلقات من "رصاص موليير"، وهي كانت ضمن الفوج الأول من التلميذات المغربيات اللواتي تخرجن من المرحلة الابتدائية مع فجر استقلال المغرب.

في هذه المرحلة، سوف تعيش الطفلة ثريا مخاضات الانتقال من الحماية إلى الاستقلال، كما يحكي لنا رفيق دربها في المسرح وفي درب السلطان أيضا، الكاتب المسرحي محمد بهجاجي. ومن هنا، شكلت ثريا ولا تزال، جزءا من "ذلك الحلم الذي عانقه جيل الاستقلال ورافق انكساراته وتعثراته"، وهو ما يقوله الكاتب المغربي محمد برادة ذات شهادة في حق ثريا.

قصيدة مسرحية

إذا كان المسرح قد بدأ شعرا، فإن ثريا جبران، في حد ذاتها، قصيدة مسرحية بلا منازع. ذلك أن "الشعر بالنسبة إلى ثريا هو المسرح الأصفى"، كما يقول الشاعر المغربي محمد بنيس. وقد استطاعت ثريا جبران أن تصعد بالشعر العربي إلى خشبة المسرح، كما لم تقو قصيدة على ذلك. فمع الطيب الصديقي، في "مسرح الصديقي"، قدمت سنة 1980 مسرحية "ديوان عبدالرحمن المجذوب"، التي أبدع نسختها الأولى سنة 1967، وهي تستعيد فيها الشاعر الصوفي الشعبي المجذوب، وحكمه الخالدة، كما قدمت في مسرح الصديقي مسرحية "أبو نواس" سنة 1984.

في سنة 1985، قدمت مع الطيب الصديقي عملا مسرحيا عربيا كبيرا، من خلال المسرحية التاريخية "ألف حكاية وحكاية في سوق عكاظ"، في إطار فرقة الممثلين العرب، التي أسسها الصديقي رفقة اللبنانية نضال الأشقر، بمشاركة ممثلين من العراق وسوريا والأردن وفلسطين، وثريا جبران من المغرب.

في سنة 1987، سوف تسطع شمس ثريا جبران في فرقة "مسرح اليوم"، من خلال عملها الأول "حكايات بلا حدود"، وقد اقتبسها زوجها المخرج عبدالواحد عوزري عن نصوص للشاعر السوري الراحل محمد الماغوط، وهو "البدوي الأحمر" الذي كتب نصوصا مفعمة بالسخرية والمفارقات التي ضمنت الفرجة المسرحية لهذا العمل، حيث تألقت به فرقة "مسرح اليوم"، في يومها الأول، ودشنت لتجربة جديدة في المسرح المغربي، بل والعربي عامة. وقد عرضت المسرحية في مهرجان بغداد المسرحي في تلك السنة، وفي مهرجان دمشق للفنون المسرحية سنة 1988.

إذا كان المسرح قد بدأ شعرا، فإن ثريا جبران، في حد ذاتها، قصيدة مسرحية بلا منازع.

مسرح محمد الخامس في العاصمة المغربية الرباط، وهي المكان الذي تألقت فيه ثريا جبران في أكثر من زمان.

وفي تجربة مسرحية شاعرة، مع عبد اللطيف اللعبي، ومن خلال الاشتغال على ديوانه "الشمس تحتضر"، ومسرحته مسرحة مؤثرة، استدرجت ثريا اللعبي إلى خشبة مسرح محمد الخامس، وهو يفتح ديوانه، ويقرأ ما تيسر منه.

يتذكر المغاربة كيف تحولت المسرحية إلى أمسية شعرية، قرأ فيها اللعبي بصوته، وقرأت فيها ثريا بصوتها وتعبيراتها وإيماءاتها الباذخة. عن تلك اللحظة المسرحية يقول اللعبي، وهو يتحدث عن صديقته، التي جاورته وحاورته شعريا ومسرحيا: "يبدو لي أنها كانت تقرأ في جراحي بقدر ما كنت أقرأ في جراحها. ولم نكن في حاجة للكلمات قصد التعبير عن ذلك".

انتهى كلام اللعبي، وانطلق كلام الجسد، مع ثريا جبران. ذلك أن هذه الممثلة، ومع فرقة "مسرح اليوم"، استطاعت أن تحقق الدعوة التي أطلقها المخرج المسرحي السويسري أدولف آبيا من أجل "إلغاء دراما الكلمة"، وإعطاء الكلمة للجسد، حتى ينطق ويتكلم حين يتألم. لكن روح ثريا جبران المرحة والشاعرة ظلت أكثر تعبيرية وجمالية، واشد قدرة على معانقة ارواح المغاربة. لذلك، فهي حين ترحل عنا اليوم فلكي تقيم في قلوبنا إلى الأبد.

ساعات شاتيلا

أما العرض المسرحي "أربع ساعات في شاتيلا"، الذي يعود إلى سنة 2001، وهو نص للكاتب الفرنسي جان جنيه، بترجمة محمد برادة، فلم يكن يقل شاعرية، وهو يستعيد روائع الشعر الإنساني، من ملحمة جلجامش إلى قصيدة "حالة حصار" للراحل محمود درويش. هذا مع التذكير بأن أقوى اللحظات التي عاشتها ثريا جبران، وهي وزيرة للثقافة المغربية، كانت يوم سلم "بيت الشعر في المغرب" جائزة "الأركانة" للشاعر الراحل محمود درويش، سنة 2008، على خشبة

مدير النشر	عبد الواحد المهتاني	التوزيع	سابريس
رئيس التحرير	يزيد البركة	العنوان	رقم 1 زنقة أحمد الكرناوي الطابق الأول ساحة ماريشال، الدار البيضاء.
سكرتير التحرير	عبد الغني عارف		شارع المقاومة رقم 58 حي المحيط الرباط.
المدير الفني	إسماعيل المتقي	البريد الالكتروني	attarik.journal@gmail.com
المدير الإداري والمالي	لحسن خطار	الهاتف	07 08 80 90 87
الإيداع القانوني	16/2018 ص ح.	رقم الحساب البنكي	BMCE: 011794000045210000323097
المطبعة	ايكوبرينت	النسخة الالكترونية	www.attarik.net
عدد السحب	5000 نسخة	دورية الجريدة	أسبوعية / شهرية (مؤقتا)
رقم الايداع	2019PE0068	الرقم الدولي المعياري للدوريات	ISSN 2658 -8161

تحف فنية....

الطفل الفلسطيني

أليسيا بيلونزي، إيطاليا، 2017

وتأتي الرسامة الإيطالية أليسيا بيلونزي، لتعطي لدعاة التطبيع درسا قاسيا في مفهوم الانتماء، وهي تنجز رسما مبدعا، يتمثل العلم الفلسطيني محاكاة لصورة فوتوغرافية للمصور الفلسطيني عبد الهشلمون، أنجز الرسم في 7 دجنبر 20017، وهو يصور اقتياد الشاب فوزي جنيدي ذي 16 ربيعا، بكل شموخه من قبل 23 جنديا صهيونيا..

تقول أليسيا: "بالنسبة لي، من المهم جدًا إظهار أنه، حتى من الخارج، يمكننا أن نقرر أن نكون في الجانب الصحيح من هذه المعركة.. لضمان العدالة التي يستحقها الفلسطينيون".

أُكِلنا يوم أُكِل خروفُ العيدِ

إن البحث في الأصول التاريخية للأضاحي، تكشف أنها كانت سابقة لظهور الإسلام، وبالغوص في تاريخ الأديان، يتضح أن الديانات الكتابية حتى قبل الإسلام، كانت معروفة أيضا بذبح الأضاحي، تقربا من الله، ويشير الكتاب المقدس عند المسيحيين أن أسرة مريم العذراء قدّمت حمامتين كأضحية عند ميلاد المسيح، كما يعتبر نحر الأضاحي عادة معمولا بها عند المسيحيين الأرمن والأرثودكس، ذات الشيء بالنسبة للديانة اليهودية والتي عرفت أيضا بذبح الأضاحي من أجل المغفرة والثوبة لله، ويمكن أن تكون بكل أنواع الماشية، لكن اكتمال الطقوس الدينية اليهودية القديمة تكون بذبح بقرة حمراء.. وهو نفس مسار الديانات والحضارات القديمة الأخرى، حيث كانت الأضاحي ركنا أساسيا في طقوسها من هندوسية وحضارات الأزتيك والأنكا والقرطاجيين والفراعنة والصينيين، وحتى عند العرب الوثنيين..

إن العودة لتأصيل الحكمة من الأضحية، عند المسلمين، كافتداء للنبي إبراهيم الخليل ذبح ابنه اسماعيل، تجد معناها في الآية 37 من سورة الحج: (لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقوَى مِنكُم كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُم لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَبَشِّرِ المُحسِنِينَ)، فالحكمة الخالصة من عيد الأضحى ليست الأضحية في حد ذاتها ولا لحمها ولا دماءها، ولا هوس الطقوس الدموية ولا اكتناز اللحم ونهم افتراسه، بقدر ما أن كنه هذا الطقس هو التذكر والتفكر في قيم الافتداء، وعمق احترام البشر، وحب بناتنا وأولادنا والتآزر الاجتماعي، ونوع أيضا من الفرح الإنساني بالعيد.. إذن فالحكمة الإنسانية من يوم العيد تتجاوز طقس النحر ذاته، والتهافت على لحم الذبيحة..

وعودة للنقاش الدائر حول مقترح حزب الطليعة، لإلغاء أضحية العيد بسبب تضرر البلاد والعباد، من وباء كورونا، نعود أولا لنقاش عقلاني لتعاطي علماء الدين مع إكراه عدم مقدرة الناس على تحمل الأعباء المادية للأضحية، فقد أجمع العلماء على أنه ليس هناك ما يدل على وجوبها، والقول بالوجوب قول ضعيف، وحتى من قالوا بالوجوب اشترطوا ضرورة الغنى.. وسواء سلمنا بأن الأضحية واجبة أو مستحبة، إلا أن رجاحة العقل وإجماع العلماء أكدوا على أنه لا يجب الاستدانة من أجل شراء الأضحية، لأنها ليست واجبة على غير الغني باتفاق العلماء. وحتى ابن تيمية الذي عرف بتشدده، جعل الأمر مخففا وبدون إجبار، حين رفض وقيد مسألة استدانة الناس من أجل أضحية العيد حين قال : "إن كان له وفاء فاستدان ما يضحي به فحسن، ولا يجب عليه أن يفعل ذلك"، يقصد أن السلفات لاقتناء الخروف غير مقبولة ولا يجب الإقدام عليها، خصوصا في هاته الظروف الوبائية العصيبة، التي جعلت أكثر من 5 ملايين أسرة بدون مدخول، وتنتظر دعم الدولة لتستمر في عيشها ولكي تبقى على قيد الحياة، زيادة على أن أزيد من 120 ألف أجير فقدوا عملهم، وانهارت عائلات بأكملها، فكيف تآمر البعض ضد الشرائع الدينية والإنسانية بالتنصب ضد رحمة الدين وتسامحه ومقاصده، ودفعوا الناس لإجبارية اقتناء خروف العيد ضدا على مقدرتهم وانهيار القدرة الشرائية بشكل مهول.. إنه هراء واستمرار بالمتاجرة بدين المغاربة، وهو يذكرنا بفتاوي بعض الفقهاء الجهلة حين حاولوا فرض فتح المساجد بالقوة مع ذروة اجتياح الوباء لبلادنا.. إنها نفس النعرات المريضة مرة أخرى فرضت أمور لا عقلانية ولا منطقية خارج إرادة وقدرة الأسر المغربية.

إذن فموقف حزب الطليعة بإلغاء طقس نحر الأضحية هاته السنة، كان له سنده الديني والاجتماعي والاقتصادي والإنساني، فكان يمكن أن تعم فرحة العيد بإقامة مأدبة بديلة يوم العيد، فتعم الاحتفالية بتآزرنا لنخرج جميعا من فترة الحجر، بدون أن نحمل المغاربة ما لا طاقة لهم به.. وزيادة في تدقيق مقترح حزب الطليعة، فلماذا لم يساهم التجار الكبار من رأسماليي ولوبيات قطعان الأغنام في مد الأزقة والحواري بأضحيات العيد، ليكون الاحتفال جماعيا ومحليا دون تنقل، ولكي تتحقق الحكمة والمغزى لمفهوم الافتداء والتآزر بين الأسر.. وأيضا بدل خرجات وزير الفلاحة غير الموفقة بزيادة قهر الناس بتبرير فرض اقتنائهم للخرفان، كان عليه وضع خطة لتخفيف الضرر عن صغار الكسابة بالبوادي، باقتناء مواشيهم المعدودة على رؤوس الأصابع، ومساعدتهم لكي لا يتضرروا من هاته الأزمة المركبة للوباء والجفاف، فمُعْوِزُو البلد والكسابة الصغار في كفة واحدة، والحل كان عند لوبيات رأسمال شناقة المواشي، وليس في الجيوب المثقوبة للأسر المغربية.

ها نحن الآن أمام كارثة وبائية بسبب التعنت في الطقوسية التقليدية لعيد الأضحى، وقد انتشر الفيروس بشكل سرطاني في كل مناطق المغرب، وتسرب من المدن للقرى والقبائل النائية.. وثبت انعدام المسؤولية عند من يسوس البلاد بدون حكمة واستجابة للوبيات المال والقطعان بدل التنبهات الصادقة لحزب الطليعة.

قسيمة الإشتراك

الطريق

السيد رئيس تحرير جريدة الطريق المحترم
تحية طيبة وبعد، أرجوقبول اشتراكي السنوي في جريدة الطريق، وارسالها على العنوان الموضح جانبه.

الاسم الكامل :.....
العنوان :.....
.....
.....
.....
البريد الالكتروني :.....
الهاتف :.....

نوع الاشتراك	بالمغرب	خارج المغرب	الاشتراك التشجيعي
	☐ أفراد 200 درهم	☐ أفراد 400 درهم	مفتوح
	☐ مؤسسات 500 درهم	☐ مؤسسات 600 درهم	

رقم الحساب البنكي : BMCE: 011794000045210000323097
البنك المغربي للتجارة الخارجية - وكالة البستان - الدار البيضاء

ترسل صورة قسيمة الاشتراك وصورة وصل التحويل البنكي على البريد الالكتروني التالي:
attarik.journal@gmail.com